

سلاام الفتاك

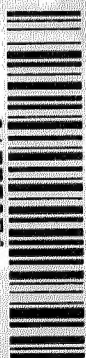
سلاام أشد هولاً

من الحروب



ج. ١٣٨٨

01333076



Bibliotheca Alexandrina

محمد خليفة

السلام الفتاك

سلام أشد هولاً من الحروب

محمد خليفه

السلام الفتاك

سلام أشد هولاً من الحروب

المؤلف : محمد خليفة

الغلاف : توفيق الحو

الإخراج الفني : د . يحيى عبد الظاهر

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٥



الناشر :

الجمع والصف الالكتروني:

٤ شارع العلمين - ميدان الكيـت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ٩٤/١١٤٠١

الترقيم الدولي : I.S.B.N.977-5121-68-x

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ أَعْلُوًا كَبِيرًا .
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ
أُحْسِنْتُمْ أَحْسَنَتْكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا " .

صدق الله العظيم

سورة الإسراء (الآيات ٤-٧)

قال رسول الله ﷺ

" لا تقوم الساعة حتى يجتمع اليهود فى فلسطين ، ويقتتل المسلمون واليهود .
فينطق الحجر والشجر ، فيقول يا مسلم ورائى يهودى فتعال واقتله . إلا شجر
الحردل ، فهو من شجر اليهود "

حديث صحيح

الإهداء

إلى أرض فلسطين العربية
الأرض التى باركها الله
قبلة المسلمين الأولى ومثابتهم الدائمة
أرض الإسراء والمعراج
الأرض التى اختلط ترابها برفات الأنبياء والرسل
الأرض التى ارتوت بدماء الفاتحين والصحابه والمجاهدين والصالحين
إلى أرض الانتفاضة العظيمة
إلى الأرض التى سيشع منها فجر المستقبل العربى مرة ثانية
كما نبأنا الله فى قرآنه الكريم وشرنا رسوله الصادق الأمين

محمد خليفة

مقدمة

أرى - فيما أرى - دولاً توزع كالهدايا !

شعر : محمود درويش

أرى من الأهمية بمكان أن أبادر سلفاً لتبديد انطباع فكري قد تخلفه قراءة هذا الكتاب المتواضع في ذهن القارئ الكريم ونفسه، انطباع بأننى أحملُ الطرف الفلسطيني القسطن الأعظم من المسؤولية عما آلت إليه «عملية التسوية» والسلام في الشرق الأوسط» من استسلام للعدو الصهيوني، وتفريط جسيم بالحقوق العربية والإسلامية الثابتة التي لا يحق لأى جهة التصرف بها. هذا في حين أن الإنصاف يفرض على الباحث النزية أن يحمل المسؤولية للأنظمة العربية مشتركة، وأن ينظر إلى الطرف الفلسطيني كـ(ضحية) لذلك النظام العربى الواحد، بقدر ما هو ضحية وهدف للعدوان الاسرائيلى أيضا، لأنه دُفع دُفعاً لا طوعاً للقبول بما عرض عليه في المفاوضات الأخيرة. والحق أن هذه المقولة بقدر ما تتضمنه من صواب، فإنها تنطوى على مخالقات غير هينة تتطلب إيضاح بعض النقاط الفكرية والمسائل الذاتية. لا سيما أن التيار الفلسطيني - الفلسطيني - أعنى المتشدد في قطريته - قام في الأعوام الماضية بعملية تأصيل وتنظير لأطروحة زائفة عن (الاضطهاد العربى للشعب الفلسطينى) وهى أطروحة ليست كاذبة وحسب، ولا هى ذريعة لتبرير الكيانية المتطرفة فقط. بل أنها فى الواقع نتاج التأثير المرضى للفلسطينى المغلوب بجلاده اليهودى الغالب، تأثرا مركبا. إذ أنها - أولا - ترجمة لنظرية الاضطهاد العالمى لليهود، وهى - ثانيا - أهم الأسافين التى غرستها الصهيونية فى العقل السياسى الفلسطينى بغرض فصل القضية الفلسطينية عن إطارها القومى العربى ومحيطها الإسلامى ومسئولياتها واختزالها فى صورة تخق تقرير المصير لعدد محدود من الناس، تمهيدا لجعلها قابلة لمزيد من المسخ والاختزال، الامر الذى أتاح له فى النهاية تسويتها فى

شكل (حكم ذاتى) محدود فقط . ومن المعروف أن تلك الأطروحة الزائفة تغلفت فى فكر ووعى حركة المقاومة الفلسطينية وتترجمت إلى ممارسات ومواقف ومفاهيم وثقافة بل أنها صارت (عقدة) فى النفس الفلسطينية . وأذكر أننى كتبت مرة فى صحيفة "الحياة" شيئا فلم يعجب مسؤولا فلسطينياً، فاتصل بى هاتفياً ليتهمنى بأننى (معاد) للشعب الفلسطينى . . هكذا ببساطة . وبنفس البساطة كانت تلك العبارة قد أمست تهمة جاهزة وسلاحاً أبيض يطعن به أى عربى عندما يعترض أو ينتقد سياسة منظمة التحرير ومواقفها ويدين بعضاً من ممارساتها المراهقة أو المنحرفة أو الخاطئة... الخ وما أكثرها ! ...

إلا أن أكثر المعطيات التى لا تقبل الشك فى صحتها أن منظمة التحرير لم تعد ، منذ منتصف السبعينيات ، وبالتحديد بعد تورطها فى الحرب الأهلية اللبنانية ، ثورة شعبية، وحركة كفاح مسلح ، بل باتت دولة تركز إلى أجهزة سلطوية ، وجهاز بيروقراطى ضخ ، ومؤسسات موزعة فى أماكن واسعة من الدول العربية خصوصاً ، والعالم عموماً . حتى أنه صار لها استثمارات مالية وتجارية هائلة وثابتة فى دول افريقيا السوداء ودول أميركا اللاتينية . وهى منذ ذلك العهد صارت نظاماً من النظم العربية ، بكل ما فى الكلمة من معان ، وباتت شريكاً رئيسياً وفعالاً لكل الدول والأنظمة والسلطات العربية القائمة فى صنع وصياغة وتوجيه الأوضاع والسياسات العربية العسكرية والأمنية، والاجتماعية ، والفكرية . بل انقلبت إلى عون وحليف للحكومات العربية ضد قوى المعارضة وحركات التحرر ومنظمات النضال فيها ، بدعم وتبنى بعض القوى المعارضة العربية، لحاجتها إلى استخدامها فى صراعاتها وعلاقاتها المتقلبة والمضطربة مع هذا النظام أو ذاك من غير أن يغير هذا الأمر الاستثنائى من تلك الحقيقة شيئاً . فالنظم العربية نفسها وجميعها ، كانت ومازالت تتبع نفس الوسيلة فى نزاعاتها البيئية الدائمة ، ولكنها لا تلبث أن تتخلى عن حلفائها المعارضين عندما تحين ساعة الصلح الحتمية مع النظم الشقيقة !

وإذا كان ثمة اتفاق على تلك الأوضاع العربية بكل ما حفلت به من انحرافات ، وما حفلت به من شرور شيطانية هى التى أفضت إلى الانهيار العربى فى مطلع التسعينيات ، فإن من البدهى القول أن منظمة التحرير الفلسطينية ، وبالأحرى النظام الفلسطينى ساهم مساهمة جليلة وجسيمة فى خلق المقدمات والأليات التى أوصلتها إلى حتفها .

والأهم من هذا ، وقبله ، هو أن المنظمة باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد للشعب (العربى) الفلسطينى- كما تحب أن تسمى وتصر أن تكون- يجب أن تتحمل وحدها مسؤولية مضاعفة بقدر ويسبب إصرارها ذاك ، وهو الإصرار الذى قاد إلى إصرار ثان على القرار الوطنى المستقل والذى أضحى فى واقع الممارسة قراراً انفرادياً بل فردياً إلى أدنى وأضيق نطاق !

والحق أن المنظمة بنهجها الخاطئ ، وانحرافها عن الفطرة والطبيعة السوية للقضية الفلسطينية قزمتها وقلصتها حتى صارت كما ذكرنا مشكلة إقليمية صغيرة قابلة للاحتواء والمتاجرة بها ، من قبل هذا النظام العربى تارة، ومن ذاك النظام تارة أخرى ، ومن إسرائيل تارة أخيرة ! وهذا بالضبط أيضا الأساس الذى بدأ منه طريق التسوية ، وأغرى الأنظمة العربية بتبنيده وتحبيده ثم قواها على محاصرة الشقيق الفلسطينى من جميع الجهات والمنافذ الجغرافية ، والسلماسية ، والمالية . فلم تدع أمامه سبيلا للقرار سوى إلى أحضان العدو عبر طريق التسوية ، باعتباره طريقا إجباريا .. وذا الاتجاه واحد .. والقبول بأى شئ حتى ولو كان الحماية الاسرائيلية والتحالف معها بلا تكافؤ .. أى التحول إلى تابع وعميل !

لكن من أهم الملاحظات ، أو المفارقات دلالة أن منظمة التحرير التى تزعم أنها أكرهت على اختيار طريق التسوية ، غدت السير من لحظة أن وضعت قدميها عليه ، بل هزلت وقفزت فى الهواء .. وحرقت المراحل ، حتى تسبق الجميع !

ولا معنى لمحاولات القيادة الفلسطينية تبرئة الذات فى ريع الساعة الأخير ، فى حين أنها هى التى خلقت الذرائع للنظم العربية لكى تكرر معها سياسة اليهود الأوائل مع النبو موسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا .. إنا هنا قاعدون) وهى التى وضعت حجر الأساس وأوجدت (القاعدة الشرعية) لتتصل النظم العربية من مسؤولياتها القومية فى تحمل أكلاف الصراع مع العدو الصهيونى ، واستعادة الحق العربى (لا الفلسطينى) فى فلسطين . وهى التى أعطتهم براءات ذمة من تبعات التدخل فى الشأن الفلسطينى حتى غدا أحسن المواقف العربية وأخلصها وأنبليها فى نظر القيادة الفلسطينية ، هو الموقف القاتل : لا نتدخل فى القضية الفلسطينية ، ونقبل منا تقبله القيادة الشرعية ، وكفى الله المؤمنين شر القتال !!

لولا ذلك الأساس لما تجرأت النظم العربية على الاستقالة من القضية المقدسة ، واحداً بعد الآخر ، ولكان بإمكان الشعب العربى الفلسطينى وقواه الشرعية أن يشهروا قضيتهم كسلاح قاطع فى مواجهه أى تخاذل وأى تراجع من جانب هذا أو ذاك من الأطراف العربية . ولولا أن المنظمة فككت علاقاتها وقطعت شرايينها مع الشعوب العربية وقواها الثورية وانتسبت إلى نادى النظم العربية . لكان بإمكانها أن تضغط على جميع النظم والحكام بسيف القضية المقدسة التى تحتل ضمير الشعوب العربية والإسلامية كما لا تحتله قضية أو مسألة أخرى ، مستعينة بالقوى الشعبية وحركات التحرر . لكنها لم تفعل ذلك ، بل اختارت أن تكون فى صف الحكومات والحكام مرتضية لنفسها أن تكون العضو الأضعف والأصغر الذى يضغط الجميع عليه فى السر ، ويتاجر بقضيته فى العلن من دون أن يقوى ولو على رد الإهانات !

أضف إلى ذلك أن انحرفات وخطايا الجانب الفلسطيني لم تقتصر على المنهج والمبدأ والاستراتيجية ، بل وصلت إلى العمق في التكتيك والاسلوب وفي التفاصيل كذلك . ولا يجب أن ننسى للحظة أنه كان بإمكان الطرف الفلسطيني الحصول على اتفاقيات أقل فداحة وخسارة من صفقة "أوسلو" الخاسرة لو التزم الحد الأدنى من التنسيق مع الأطراف العربية الأخرى على رغم كل ما يمكن أن يقال عن هذه الأطراف وما يمكن أن يتهم به بعضها . بل لو التزم الحد الأدنى من الآليات الديمقراطية في تقرير المسار أو هذا الخيار المصيري مع باقى الفعاليات والقوى التى تضمها المنظمة والساحة الفلسطينية ، وعلى رأسها جميعا الانتفاضة التى هزمت اسرائيل وجيشها (الاسطوري) هزيمة نكراء فى ساحة الصراع ، كما لا يجب أن يغرب عن بالنا أن صفقة "أوسلو" لم تكن ثمرة من ثمرات عملية التسوية التى بدأت فى مؤتمر مدريد بل ثمرة لنهج راسخ وتاريخى من الإتصالات والحوارات السرية بين قيادة المنظمة بالتحديد وبعض الأجهزة السرية فى الدولة العبرية ، بدأ منذ مطلع السبعينيات ونما وتطور حتى صار النهج الوحيد لنضال المنظمة !

وأخيرا وعلى ضوء ما تقدم فلا يمكن لعاقلة إنكار أن اتفاقيات التسوية الفلسطينية - الاسرائيلية التى ولدت فى "أوسلو" . ما كانت نتيجة حتمية وطبيعية لموازن القوى ومستويات الصراع بين العرب واسرائيل ، ولا يمكن إنكار أنه على رغم الإختلال والاعتلال فى موازين القوى كان بالإمكان الوصول إلى تسوية أفضل والحصول على حقوق أكثر !!

* * *

هذا بالنسبة للنقاط الموضوعية ، أما بالنسبة للنقاط الشخصية التى أراى مضطراً للتنويه إليها .. فهى أن هذا البحث غير متأثر بأى مشاعر سخط أو نقمة مبدئية تجاه حركة فتح أو تجاه قياداتها بالذات ، بل العكس هو الصحيح تماماً . لأننى كنت على الدوام أشعر بالتعاطف الإيجابى والتضامن معها كحركة تحرر وطنى فلسطينية وعربية تضم التيار الوطنى والثورى العريض فى الساحة الفلسطينية. ولقد تفاعلت معها منذ بداياتها ، لا مجرد تفاعل فكرى وعاطفى وحسب ، بل تفاعلا سياسيا وتنظيمياً أيضا ومع أننى لست فلسطينياً بمعايير الجنسية القطرية السائدة اليوم فى الوطن العربى ، فإننى - كالكثيرين جداً من أبناء الأمة العربية - كنت منذ طفولتى وبقاى فلسطينى القلب ، وعندما نضجت أصبحت فلسطينى الفكر أيضا ، ومازلت وسأبقى فلسطينى الروح دائما ، فلقد أيقنت بقوة وعمق أن العروبة فى هذا العصر هى فلسطين كما أن فلسطين هى العروبة . وها هى التجربة التاريخية تبرهن أن انحسار العروبة أدى إلى انكسار القضية الفلسطينية ، بينما كان الصعود القومى فى الماضى ، توهجا فدائياً رائعاً فى روح الشعب الفلسطينى وحركته.

عندما أصبحت الثورة الفلسطينية (أنبل ظاهرة تنجبها الأمة العربية فى ليل الهزيمة المدلهم) بعد

عام ١٩٦٧ ، كنت فى مقبّل الشباب ، فانتسبت إلى حركة فتح انتساباً تنظيمياً فعلياً وكانت تلك أولى تجاربى السياسية المنظمة . وقد تطورت لاحقاً إلى مشاركة فى عدة دورات ومعسكرات تدريبية على السلاح ، وكنت مستعداً دائماً للمشاركة فى أى عمل فدائى يطلب منى . وحين اشتعلت حرب ايلول الأسود (١٩٧٠) وجدتنى بتلقائية فى مقدمة المتنافسين للسفر إلى ميدان القتال فى الأردن . وتكرر الأمر عام ١٩٧٨ يوم اجتاحت اسرائيل جنوب لبنان ، أما فى عام ١٩٨٢ فقد عشت تجربة المقاومة الرائعة ضد الاجتياح الاسرائيلى للبنان ، وما حفلت به من صمود بطولى عروسة العواصم العربية بيروت ، وعندما غادر الفلسطينيون عبر البحر ودعونى لمشاركتهم رفضت . إلا أن صلتى التنظيمية بحركة فتح قطعتها منذ منتصف السبعينيات بعد ما أحسست أن خطها السياسى والفكرى انحرف عن الثوابت الشورية والقومية ، وانشغلت فى ابتداع (الكينونة الفلسطينية) بينما اكتفت من العروبة بأحلك مافى واقعها المعاش وهو التحالف مع الأنظمة العربية والإرتهان لاستراتيجيتها السياسية .

بيد أن علاقائى الشخصية والإنسانية مع عشرات من الشخصيات والكوادر والقادة فى حركة فتح ، لم تنقطع ، واستمرت حتى الساعة . وربما كان مناسباً التنويه إلى أننى لم أشعر بأى تعاطف ايجابى مع الحركات الفلسطينية المعارضة لفتح . حتى بعد أن اختلف موقفى من هذه ، وظل رأيى فى تلك أن سلبياتها أعظم من سلبيات فتح ، فمعظمها مجرد أدوات تأمر وألعاب (أتارى) فى أيدى الأنظمة العربية وأجهزة الاستخبارات فيها .

* * *

وعلى هذا الأساس ، ولتوكيد ماسبق ، فأننى حين عازمت على إجراء هذا البحث حول عملية التسوية الراهنة ، وخططت لتحليل اتفاق "اوسلو" بين القيادة الفلسطينية والعدو الاسرائيلى فأننى قصدت وتعمدت مسبقاً ألا أستشهد بأى تصريح أو رأى أو موقف أو كتاب لأى جهة أو شخصية أو منظمة ممن يمكن إدراجهم أو تصنيفهم فى قائمة المعادين بشكل ثابت لحركة فتح ، أو لمنظمة التحرير ، أو لقيادتها ، أو لعملية السلام والتسوية ، بل اننى تقصدت وتعمدت أن يكون جميع من أستشهد بآرائهم ، سواء كانوا فلسطينيين أو عرباً أو أجانب ممن هم فى خط فتح ، ومنظمة التحرير وقيادتها ، وفى صف التسوية وعملية السلام ، وبعضهم أيضاً من اليهود والأجانب والاسرائيليين . ولم أستشهد ولا مرة واحدة بأى رأى أو عبارة لأحد أو لجهة ممن يصنفون اليوم فى اطار القوى المعادية للسلام ، والقوى الأصولية المتطرفة (اسلامياً أو قومياً) أو القوى الارهابية .. وما إلى ذلك .. وكان هدفى هو الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الموضوعية .

فهل هناك (محاكمة) أكثر عدالة وحيادية من هذه العملية التى لم تستدع إلا شهوداً عرفوا

دائماً بانحيازهم وتعاطفهم الأكيد مع المتهم ١٢٢ وهل هناك نزاهة أكثر من أن (المحكمة) لم تصدر أى حكم أو قرار على الاتفاقات إلا بعد استنطاق مفصل لجميع الشهود وتمكينهم من الإدلاء بأقوالهم .. ويعد أن وضعت فى الحسبان والميزان جميع العوامل الإقليمية والدولية ، فضلاً عن العوامل الذاتية والداخلية التى كان لها تأثير فى دفع الطرف الفلسطينى لارتكاب خطيئته أو جريمته بحق القضية الفلسطينية التى افتأت عليها ، واحتكر سلطة التصرف بشأنها فخان الأمة والأمانة ١٢٢٢

* * *

وتبقى كلمة أخيرة - أراها أكثر ضرورة من كل ماسبق - وهى أنهم يخطئون خطأ جسيماً، أولئك الذين يظنون (ظن السوء) أن القضية الفلسطينية انتهت بعد صفقة اوسلو . وأن الصراع العربى - الاسرائيلى قد خمد بعد المصالحات والاتفاقات السابقة واللاحقة بين النظم العربية والعدو الاسرائيلى. ذلك أن الأمة العربية ، صاحبة الولاية الشرعية والأصيلة على فلسطين . لم تحضر ولم تشارك فى مفاوضات التسوية منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فهى غائبة ، والأحرى أنها مغيبة قسراً وقهراً منذ سنين طويلة .. والذين ذهبوا إلى مدريد واوسلو وواشنطن وتل أبيب (وسواها) بدلاً منها وباسمها زاعمين أنها (ماتت) وأبرزوا وكالات وتفويضات منها لهم ، تعطيهـم الحق فى التصرف بأملاكها وتصفية تركتها وميراثها ، هى وكالات وتفويضات مزورة شكلاً ومضموناً ولا بد أن الكل يعلم أن الأمة العربية : مغيبة نعم ، وأنها مقهورة وأسيرة نعم .. ولكنها ليست ميتة أبداً ، وأن القوى التى تسلطت عليها واغتصبت تمثيلها ، زائلة حتماً ، وأن كل ما بنى وترتب على الباطل سيظل باطلاً بلا تقادم ، وأنه فى النهاية لن يصح إلا الصحيح . والصحيح أن (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) ، وأن الصراع العربى - الإسرائيلى ، والصراع العربى - الامبريالى ، وكذلك الصراع العربى ضد العصابات والطغم المستولية على إرادة الأمة والمستندة إلى شرعية الاعتراف بها من جانب الأعداء وتستمد سلطتها من اتفاقيات ومعاهدات من نوع إتفاقية اوسلو وكامب ديفيد وواشنطن والعقبة ... الخ هى طغم وعصابات فاشية ، وستتهاوى حتماً وأقرب مما يتوقع الكثيرون.

" أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم .
 طهر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها " صدق الله العظيم

محمد خليفة

استوكهولم فى ١٣/٩/١٩٩٤



مدخل عام

من قرن ١٠٠ إلى قرن

" انه ثانی أكبر انتصار

فی تاریخ الحركة الصهيونية"

عاموس أوز

شخصية اسرائيلية فى حركة السلام الآن

لا يحسن قراءة التاريخ ولا الإحساس بتحولاته الكبرى ، من لا يدرك بالقدر الكافى أهمية الأحداث والاتفاقيات والنتائج التى انبثقت عما بات يصطلح على تسميته اعتبارا من عام ١٩٩١ (عملية أو مسيرة السلام فى الشرق الأوسط) ويقع فى الخطأ نفسه ، أيضا ، من يقلص أبعادها أو يحصرها فى جانب أو مجال من المجالات السياسية أو الاقتصادية ، أو يحدد آثارها فى عدد من الدول أو البلدان العربية والإسلامية فقط . أو يقصر تفاعلاتها على مدى زمنى محدد فى المستقبل .

لقد دخل الشرق الأوسط ، والوطن العربى ، والعالم الإسلامى ، بل والعالم بأسره عهدا جديدا ، منذ أن دخلت الوفود العربية إلى قصر المؤتمرات فى مدريد تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٩١ . ولقد تكرر هذا التحول بعد عامين ، فى اتفاقيات السلام التى توصلت إليها اسرائيل وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وأضحى بمثابة تحول كيميائى لا إمكانيه للعودة عنه وتستحيل إعادة الأوضاع فيه إلى سابق عهدها ، من غير أن يعنى ذلك البتة ، أن خيار هذا الاتجاه كان فى الأصل قدرا مقدرا على العرب أو حتمية تاريخية لا مناص منها . وغنى عن التأكيد ان تفاعلات هذه العملية ستستمر ، وسوف تتطور وتتعمق وتتوالى تداعياتها وانعكاساتها إلى نهايتها الطبيعية (حين تتولد معطيات وشروط جديدة فى الساحة العربية ، والعالمية) وستشمل الوطن العربى والعالم الإسلامى بأسرها مع اختلاف فى النسب والدرجات . وستغطى هذه الحقبة المفترضة النصف الأول من القرن القادم على الأرجح ، وهو أقل ما يمكن للباحث أو المحلل أن يبنى عليه افتراضاته قياسا إلى حجم العملية ونتائجها المتوقعة ، وعلى ضوء المعادلات الدولية الراهنة والمتنظرة . ولا سيما دور الولايات المتحدة

الأمريكية كقوة عالمية عظمى .

ولعل أكثر ما يؤكد الأبعاد الاستراتيجية والتاريخية (لعملية السلام) التى تشبه "جراحة" حقيقية فى جسد المنطقة لزرع قلب غريب ، تزامنها وارتباطها بثلاثة أحداث أو استحقاقات لا يرقى الشك إلى أهميتها وأبعادها :

أولاً : مرور مائة عام على ميلاد حركة القومية العربية فى صيغتها المعاصرة ، وهى الحركة التى ولدت فى مرحلة احتضار الفكرة أو الدولة العثمانية ، وما أسفرت عنه فى قيام وتشكل للوطن العربى فى الصورة التى عرفت منذ بداية القرن العشرين إلى نهايته . مع التشديد على دور العوامل الأوروبية فى تشكيل الخريطة الجغرافية والتقسيمات السياسية للدول والكيانات داخل الوطن العربى ، وفى التأثير على معظم التوجهات والتيارات والخيارات التى تمت . فالاستعمار الأوروبى هو الذى خلق فى صورة شبه مباشرة معظم الدول العربية (وكذلك الإسلامية الأخرى) ووضع لها الحدود وبنى النظم والمؤسسات ، بل وخلق لها مسارات وتوجهات ثابتة ، ظل يحميها ويقمع أى خروج عنها حتى بعد انسحاب جيوشه منها ، واعطائه الاستقلال السياسى لها ، وهى العملية التى عرفت رمزياً باسم تقسيمات سايكس بيكو ، نسبة لوزيرى خارجيتى بريطانيا وفرنسا فى مطلع العشرينيات ، وليس خطأ على الاطلاق القول أن (عملية السلام) التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية اليوم هى أول تعديل حقيقى يدخل على خريطة سايكس - بيكو .

ثانياً : مرور مائة عام على ميلاد الحركة الصهيونية التى خططت ونفذت مشروع اسرائيل الكبرى ، كدولة يهودية استيطانية على أرض فلسطين العربية المسلمة ، وعلى أنقاض حقوق شعبها الأصلي ، وكنقيض لهويتها القومية والدينية والحضارية . وهذه المناسبة ليست مجرد مصادفة زمنية ، فأكبر وأعظم علماء (اسرائيل) وعقولها يرون أن الصهيونية ، تدخل طوراً ثانياً ومختلفاً مع بداية القرن الثانى فى عمرها . من عناوينه انتقال اسرائيل من طور التأسيس والبناء والاستيعاب إلى طور الاستقرار والحصول على اعتراف أعدائها بها . ومن دور أو طور القوة العسكرية المسيطرة على الشرق الأوسط إلى دور أو طور القوة الاقتصادية المهيمنة . ومن مرحلة الدولة المعزولة المرفوضة إلى مرحلة الدولة المفروضة والمنفتحة أو من دور الدولة المحمية من الغرب عسكرياً واقتصادياً إلى دور الدول الحامية لمصالح الغرب والشريكة له والقادرة على الاعتماد على ذاتها لتوفير عناصر البقاء والحياة والتطور ، وليس كدولة تتبع النظم الغربية فى الحكم والديمقراطية والاقتصاد وحسب ، بل كدولة من دول الغرب انتاجاً ومناقسة وتصديراً وابداعاً وقدرة على المزاحمة .

ثالثاً : ميلاد ما يدعى بالنظام العالمى الجديد ، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو تطور

وثيق الصلة بعملية السلام فى الشرق الأوسط ، إذ أن أمريكا هى الدولة الكبرى الوحيدة التى أُلقت بثقلها خلف المشروع الصهيونى واسرائيل ، كما أُلقت بكل قوتها وجبروتها ضد العرب لإجبارهم على الرضوخ والإذعان للواقع الإسرائيلى ، وللمشروع الامبريالى الذى تقوده فى العالم أو المنطقة . وأمريكا هى الراعية والشريك فى عملية السلام ، وهى الضامن الدولى الوحيد لكل ما ستمخض عنه من اتفاقات ومعاهدات .

وإذا كان القرن العشرين قرناً أمريكياً على الصعيد العالمى بنسبة كبيرة ، فإن العالم يستقبل القرن الحادى والعشرين وهذه الامبراطورية تفرض هيمنتها (السياسية والعسكرية والثقافية) على العالم بلا منازع تقريباً . وتتزعّم عملية إعادة ترتيب شؤون العالم ومنظّماته الدولية ، بل وتعيد تركيب معظم دول العالم من الداخل وفق رؤاها وايدىولوجيتها الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن السياسية .

وقد شاء القدر أن يكون الشرق الأوسط (بسبب مصادر الطاقة أساساً) قاعدة النظام العالمى الجديد وبنفس الكيفية والأهمية التى كانت تمثلها أوروبا الغربية فى بنية النظام العالمى السابق بعد الحرب العالمية الثانية . ولذلك فإن عملية السلام بين اسرائيل والعرب وما سيتبعها من أوضاع وترتيبات وعلاقات اقليمية ستدخل فى صلب النظام العالمى بل ستكون بمثابة الأساسيات والقواعد الأولى لهذا الهمم الدولى . ومن هنا كان اصرار أمريكا وتصميمها على طرح مشروع السوق الشرق أوسطية موازياً لمشروع السلام العربى الاسرائيلى ، وبصورة تفوق اصرار اسرائيل فى بعض الأحيان والمجالات ، كما سنرى لاحقاً .

ان هذه العوامل الثلاثة إذ تثبت السمة التاريخية والاستراتيجية لعملية السلام ، من ناحية، تثبت - من ناحية ثانية - أن العالم كله ، يشهد تحولات وتغيرات نوعية مع دخوله القرن الحادى والعشرين، من نوع التحولات التى تحدث كل مائة سنة مرة . ولا عجب أن تكون أعظم الأحداث والتحولات التى يشهدها المسرح الكونى فى نهاية القرن ، تشكلت هى نفسها فى نهاية القرن السابق أو من بداية القرن الحالى . كقيام وانهيار الإمبراطورية السوفياتية أو تشكل الخريطة العربية القومية وانهاية مقوماتها السابقة . بين بداية القرن ونهايته . وخروج أمريكا من عزلتها الأطلسية فى مطلع القرن ، وبلوغ قوتها أوج الزعامة فى نهايته . ويدهى أن تضيف هذه الملاحظة (القرنية) عنصراً اضافياً على الأهمية التاريخية لعملية السلام إياها



الفصل الأول

العوامل الدافعة لـ (عملية السلام)

الجزء الأول : العوامل الموضوعية :
الشرق الأوسط قاعدة الهرم الدولي

الجزء الثاني : عوامل ذاتية :
الطريق إلى أوسلو

الجزء الأول

العوامل الموضوعية

الشرق الأوسط قاعدة الهرم الدولي

« إن الطرف الآن مناسب لحل أزمة الشرق الأوسط المستعصية، لاسيما بعد التغييرات التي حصلت في الاتحاد السوفياتي، وكذلك النتائج التي انتهت حرب الخليج إليها ».

جيمس بيكر

رئيس الدبلوماسية الأمريكية

ومهندس عملية السلام عام ١٩٩١

عندها أطلقت الادارة الأمريكية العنان لدبلوماسيتها في منتصف عام ١٩٩١ مستهدفة ايجاد تسوية سياسية ونهائية لأزمة الشرق الأوسط ، لم تكن تعتمد فقط على مقدراتها وامكانياتها كدولة عظمى على الحركة والمبادرة والضغط على الأطراف المختلفة ولكنها كانت في الواقع تستثمر مجموعة من العوامل المحلية والإقليمية والدولية التي تهيأت أو نضجت وتوافرت في وقت واحد وجعلت من الممكن للآلة الدبلوماسية أن تتقدم على طريق معبدة . أهمها :

أولاً: العوامل الخاصة بأطراف النزاع :

١ - الانتفاضة الفلسطينية :

تلك الثورة المدنية العظيمة والمدهشة في تنظيمها وفعاليتها ما مكنها الاستمرار منذ انفجرت في مطلع ديسمبر / كانون الأول عام ١٩٨٧ بلا توقف ، وجعلها تولد معطيات وظروفا جديدة في الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي . محلية وخارجية ، فلقد استطاعت مثلاً ابراز القضية الفلسطينية عالمياً كقضية شعب مستعمر احتلت أراضيه واغتصبت حقوقه ، في معزل تام عن الدول العربية من

ناحية ، وعن منظمة التحرير الفلسطينية من ناحية ثانية ، ولم تعد اسرائيل قادرة على رمى مسؤولية التوتر فى المنطقة على جيرانها العرب أو على منظمات (المخرين) الإرهابية ، فقد أمست المواجهة فى عقر دارها بين كل فلسطينى وسلطة الاحتلال ، وعجزت كل الوسائل والأساليب التقليدية عن قمع الانتفاضة أو تخفيف حدتها ، رغم أن الذين اعتقلوا بتهمة المشاركة فى نشاطاتها زاد عن مائة ألف خلال السنوات الثلاث الأولى من عمرها ، ورغم المعاناة الانسانية والاجتماعية الناجمة عن آلاف الشهداء وعشرات ألوف الجرحى والمصابين ، ورغم أن الأضرار المادية بسبب انخراط الفلسطينيين الشامل فى برامج الانتفاضة قد عمت الجميع ، فإن (الروح الفلسطينية) كانت تبدو فى أحسن حالاتها ازدهاراً وقوة وخصوبة ، مما دفع الكثيرين من الباحثين إلى القول أن الروح الفلسطينية تخرق الكيانية الاسرائيلية وتتفوق عليها ^(١) . ولم يكن هذا القول من فراغ ، فالاحصاءات الرسمية للحكومة اليهودية كانت ترسم صورة مأساوية لحصيلة الانتفاضة على الجانب الاسرائيلى :

- حوالى عشرة بلايين دولار ، خسائر اقتصادية بسبب الانتفاضة أو تكلفة قمعها (خلال ٣ سنوات فقط و ١٧ بليون دولار حتى نهاية ١٩٩٣) .

- ارتفاع مذهل فى معدلات الجرائم بين جنودالجيش الاسرائيلى وكذلك عمليات الانتحار ، واستخدام المخدرات والعقاقير المهدئة ، والأمراض النفسية ، حتى أصبح كل اثنين من ثلاثة جنود ممن اضطروا لزيارة الأطباء والمصحات النفسية وتلقى العلاج ، فضلاً عن حوادث الهرب من الخدمة ورفض ادائها فى الضفة الغربية وغزة ... الخ .

- هزيمة الجيش الاسرائيلى أمام الانتفاضة ، هزيمة ساحقة ، مهينة بعد أن كان يفاخر بغرور أنه الأسطورة العسكرية التى لا تهزم .

واستطاعت الانتفاضة منذ البداية سرقة الاهتمام الدولى الإعلامى والسياسى واجباره على متابعتها ، مما أدى أن تكون هزيمة اسرائيل على مرأى ومسمع من العالم كله فضيحة مدوية ، كما أدى بالمقابل أن تكون عزيمة الشعب الفلسطينى وتصميمه على نبيل حقوقه استحقاقاً دولياً أخلاقياً لا مجال لإنكاره ويفرض نفسه فرضاً على اهتمامات الدول الكبرى والمؤتمرات والمحافل الدولية .

٢ - حاجة اسرائيل للتفرغ لشؤون التوسع البنىوى ، بعد أن وصلت إلى أقصى نقطة تستطيع بلوغها فى التوسع الجغرافى الأفقى ، على حساب أراضى الدول العربية : ففى نهاية الثمانينيات وفى الوقت الذى كانت الانتفاضة تحمّل الاقتصاد الاسرائيلى ثلاثة بليون دولار (وسطياً) كل عام بصورة اضافية على نفقاتها الأمنية والدفاعية الروتينية التى تزيد عن ستة بلايين دولار (١٧ ٪ من موازنتها العامة) . كانت اسرائيل بحاجة ماسة للإنفاق على استيعاب شلال من

المهاجرين يتدفق عليها من الإتحاد السوفياتى ، وهو شلال لا تستطيع الاستغناء عنه لأن فوائده على المدى البعيد لا تحصى ولا تقدر ولكنها بحاجة لتوظيف عشرات بلايين الدولارات لتوفير السكن وفرص العمل للمهاجرين القادمين من دول أوروبية - اشتراكية كانت توفر لهم مستوى لائقا من الحياة تخلوا عنها باحثين عن (الجنة الموعودة) فى اسرائيل . وقد تلقت اسرائيل عام ١٩٨٨ فقط نحو تسعة بليون دولار على شكل مساعدات وهبات وتبرعات من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، ومع ذلك كانت بحاجة لمساعدات وقروض أضعاف هذه المبالغ . خصوصا وأن عوامل الوهن والإنهاك ظهرت فى اقتصادها ، فارتفعت البطالة إلى أكثر من ١١ ٪ والتضخم إلى أكثر من ١٠ ٪ ، وكانت الحكومة وكذلك القوى الرأسمالية اليهودية العالمية والمحلية عاجزة عن توظيف امكاناتها المالية الضخمة فى مشاريع جاهزة ومعدة ومضمونة النتائج الوفيرة على اسرائيل بسبب استمرار الانتفاضة فى الداخل ، والتوتر فى الشرق الأوسط واستمرار المقاطعة العربية ، وانعدام الظروف السياسية الاقليمية الملائمة لمشاريع السياحة والاستثمار والإتفاق على تطوير الصناعات المتقدمة وغير ذلك من الخطط .

لقد أدركت اسرائيل فى نهاية الثمانينيات أنها لا تستطيع الاستمرار كقلعة حربية مسورة، ومعزولة عن محيطها ، وان بلوغ السلام لا يمكن أن يتم بلا (تنازلات) جوهرية من جانبها مهما تعاضمت قوتها العسكرية ، ومهما وفرت لها أمريكا والدول الغربية الحماية السياسية ، والمساعدات الاقتصادية ، وان السلام أصبح شرطا لبقاء اسرائيل وتفوقها وازدهارها .

٣ - المثال المصرى للسلام :

كانت اتفاقية كامب ديفيد التى أبرمت بين الحكومة المصرية واسرائيل فى ربيع عام ١٩٧٩ قد نقلت من الجانبين واستنفذت أغراضها السياسية بينهما بانسحاب اسرائيل التام من سيناء ، والتزام مصر بإلغاء المظاهر الرسمية لحالة الحرب ، وتبادل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين الطرفين . وهكذا أضحت (حالة السلام) بين كبرى الدول العربية وأولاها وبين اسرائيل ، نموذجا صالحا للدرس واستخلاص العبر من الجانبين ، فى نهاية الثمانينيات أى بعد عقد كامل من السنين .

فمن ناحية أولى ، استطاع (هذا السلام) أن يفرض مفاعيله لا بالنسبة لمصر وحسب ، ولكن بالنسبة لعموم العرب أيضا فلقد عنت المصالحة العربية مع النظام المصرى فى صيف عام ١٩٨٩ وعودة مصر إلى الأسرة العربية ممثلة بجامعة الدول العربية على اثر مؤتمر القمة العربية فى المغرب ، بلا أى شروط بل بإلغاء الشروط السابقة لقمة بغداد (عام ١٩٧٩) والتى كانت تطالب القاهرة بالعودة عن معاهدات كامب ديفيد ، قبل أى مصالحة ، عنت ضمن ماعنته ، (قبولاً) عربياً بحالة

السلام المصرية - الاسرائيلية . وكان هذا (المعنى) قد أخذ يرسخ متواتراً عن الأطراف العربية بصورة ثابتة ، بموازاة رسوخ (كامب ديفيد) . فمنظمة التحرير الفلسطينية وهى الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى الطرف الرئيسى فى الصراع العربى - الاسرائيلى أخذت منذ هزيمتها فى لبنان عام ١٩٨٢ ، واضطراها للتسحاب منه ، والاتقسامات التى ظهرت فى صفوفها بعد عام ١٩٨٣ وصراعاها المفتوح مع النظام السورى والذى تجسد فى طرابلس والباق وحرب المخيمات التى تصاعدت واستمرت حتى عام ١٩٨٨ ، أجبرت على الاقتراب من القاهرة ، بل اضطرت لخلق محور مشترك معها إلى جانب الاردن والعراق لإعادة تثبيت حضورها فى معادلات الشرق الأوسط المتغيرة ووسط كثبان الرمال العربية المتحركة . وكان عليها أن تدفع ثمن هذا الخط بتراجعات سياسية ومبدئية من خطها وميثاقها الوطنى ، فأعلنت عام ١٩٨٥ قبولها بمبدأ (نبذ الإرهاب) من القاهرة . ثم أعلنت فى دورة المجلس الوطنى التاريخية فى الجزائر ، خريف عام ١٩٨٨ تلبية الشرط الأمريكى الرئيسى وهو القبول بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ والاعتراف بإسرائيل والتأكيد مجدداً على نبذ الإرهاب .

وبموازاة الخط الفلسطينى ، كانت عمان ثابتة فى سعيها للسلام والاعتراف بإسرائيل ، سيما بعد تصاعد قلقها من احتمالات لجوء حكومة الليكود اليمينية إلى القوة لتنفيذ مخطط تحويل الاردن إلى وطن أو دولة بديلة للفلسطينيين وتهجير فلسطينى الضفة الغربية إليها لاستيعاب اليهود المهاجرين من شرق أوروبا .

وبموازاة ذلك كانت دول عربية أخرى تقترب من الاعتراف بإسرائيل أو تتخلى عن التزاماتها القومية السابقة ، كالمغرب الذى استقبل رئيس الحكومة اليهودية شيمعون بيريز فى جبال الأطلسى عام ١٩٨٦ ، والجزائر التى أفرجت عن جنود كوماندوس اسرائيليين أسرتهم ، وصافح وزير خارجيتها أحمد طالب الابراهيمى نظيره الصهيونى فى العاصمة السويدية وكذلك كان نظام جعفر النميرى فى السودان يتورط مباشرة فى تسهيل هجرة اليهود الاثيوبيين (الفلاشا) إلى اسرائيل ، وكانت بغداد عاصمة الرفض العربى سابقا وقائدة التحركات لمقاطعة مصر بعد كامب ديفيد قد تخلت عن (رفضها) وحولته إلى تحالف وثيق مع مصر ، وتأييد لخط التراجعات والتنازلات من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية كنتيجة طبيعية للحرب الطاحنة والطويلة التى ورطت نفسها بها مع ايران .

وكانت اسرائيل تستقرئ هذه التحولات المتتالية فى المواقف العربية منها ، وأهمها على الاطلاق المصالحة العربية لمصر عام ١٩٨٩ بدون التطرق لمسألة كامب ديفيد .

ومن ناحية ثانية فإن النموذج المصرى - الاسرائيلى للسلام لم يؤد إلى تحقيق كل الآمال التى دغدغت مشاعر الاسرائيليين عام ١٩٧٩ إذ سرعان ما دخل هذا السلام مرحلة التحنيط على أيدي

المصريين وأصبح يشبه (موميا) محفوظة ولكن بلا روح ولا نضارة ، تغلفها الأسرار ومظاهر الغموض . فالسلطات المصرية نجحت فى حصر السلام وحفظه فى حيز محدود داخل « متحف » يديره الحكم ومؤسسات الدولة ، وتكفل الشعب المصرى بمقاومة التطبيع بقوة والتعبير عن رفض السلام القائم . وتعددت مظاهر المقاومة وتعبيراتها ، لكن أعظمها شأنًا ودلالة تبقى (ثورة مصر) تلك المنظمة السرية التى اغتالت عدداً من الدبلوماسيين ورجال الاستخبارات الاسرائيليين فى مصر ، ذلك أن هذه المنظمة حددت الاتجاه السديد والسليم للرصاص الوطنى اذا ما أراد الانطلاق بدلاً من أن يتجه إلى صدور المصريين تحت شعارات اسلامية زائفة فى أغلب الأحيان .

وبعبارة مختصرة ، لقد هیأت (كامب ديفيد) الساحة العربية ، لقبول مبادرات السلام مع اسرائيل ، ولكنها لم تنجح أن تكون بديلاً عن السلام مع الأطراف الأخرى ، خصوصاً الطرف الفلسطينى .

٤ - صعود القوة العربية :

لم تكد اسرائيل تكمل غبظتها وفرحتها من التخلص من القوة العربية الكبرى التى واجهتها على ساحة الصراع منذ قيامها عام ١٩٤٨ ممثلة بمصر ، وتكبيلها بشروط والتزامات صارمة لتخفيض قوتها العسكرية وتسليحها فى ظل رقابة أمريكية مباشرة ، حتى ظهرت فى الساحة العربية مراكز قوة حقيقية هنا وهناك أهمها على الإطلاق ، المركز العراقى الذى بنى فى الثمانينيات ، وفى ظل صراعه الضارى مع ايران ، وفى ظروف استثنائية ، قوة مسلحة استثنائية بكل المعايير أثارت المحللين والمراقبين فى العالم وانتزعت اعجابهم وفضولهم ودهشتهم وخوفهم على حدسوا : " ناهيك عن اسرائيل التى استبد بها القلق أياً استبداد وهى تراقب عن كثب سرعة نمو هذه القوة وقربها من معادلة القوة الاسرائيلية ، واقتحامها لخطوط التفوق الاستراتيجى ، كالسلاح النووى ، والقدرة على التعبئة والجاهزية القتالية .. الخ .

لقد بلغت القوة العراقية عام ١٩٨٨ ، نحو مليون جندى مقاتل معبأ تحت السلاح ، ونحو ٥٥٠٠ دبابة معظمها حديث ، وأكثر من ثمانية آلاف مدرعة وناقلة جنود ومركبة وأكثر من ثلاثة آلاف مدفع وما يزيد على مائتى منصة متحركة وثابتة لإطلاق الصواريخ ، وكذلك قدرة مجربة على صناعة وتعديل وتطوير الصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى (من نوع الحسين والعباس) وبرامج ضخمة لتطوير الأسلحة غير التقليدية بما فيها النووية ، والكيميائية والبيولوجية ، وتكون أعداد كبيرة من العلماء المتخصصين والخبراء والهيئات المتمرسه فى هذه المجالات الحساسة . وكانت اسرائيل قد نجحت عام ١٩٨١ فى تدمير أول منشأة نووية فى العراق بواسطة سلاحها الجوى ، غير أن العراق أعاد بناء

برنامجه فى شروط أفضل راعت التبرص الصهيونى ، وعلى أساس حتمية التناقض والمجابهة . وفى عام ١٩٨٨ اعتبرت اسرائيل الخطر العراقى فى ذروة الأخطار التى تحدق بها ، دون أن تستطيع فعل شئ يذكر أمام حجم القوة العراقية ، فلجأت إلى حليفها وحاميتها الكبرى ، أمريكا لأنها وحدها القادرة على انقاذها من الشر العراقى الذى أحيا فى الوعى اليهودى ، ذكرى الهجوم العراقى الأول فى التاريخ على مملكة اسرائيل فى القرن السابع قبل الميلاد ، والذى انتهى بدمار المملكة اليهودية وطرد اليهود من فلسطين .

وقد استطاعت فعلاً الولايات المتحدة عام ١٩٩٠ جرّ القيادة العراقية إلى شرك الكويت ، خالقة الذريعة اللازمة لتحطيم القوة العربية فى هذا البلد ، ثم محاصرة شعبه وتجريده من وسائل القدرة العسكرية والحربية ، وفرض وصاية مباشرة وطويلة الأمد عليه . غير أن كل هذه الاجراءات لم تقنع اسرائيل ولا أمريكا بأن العراق بات عاجزاً عن مواصلة أو إعادة احياء قوته وينائها من جديد ، سيما أن القاعدة التحتية لهذه القوة متوفرة ، خاصة المصادر المادية والاقتصادية والعلمية والبشرية .

واذا تجاوزنا العراق ، فإن اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لا تخفيان ولا تنفيان مخاوفهما من النتائج الاستراتيجية التى ترتبت على دخول الأسلحة غير التقليدية إلى الشرق الأوسط ، وامتلاك عدة دول عربية للصواريخ ، وللأسلحة الجرثومية والكيميائية وهى تعادل إلى حد ما القوة النووية التى تمتلكها اسرائيل ، ومن هذه الدول سوريا ومصر ، وليبيا ، وسواها ، إضافة إلى دخول ايران إلى حلبة الصراع مع اسرائيل ، بصورة شبه مباشرة ومحاولاتها لبناء قوة مسلحة استراتيجية أينما بما فيها الأسلحة النووية وتصنيع الصواريخ وشراؤها . وكذلك وصول باكستان إلى مرحلة انتاج القنبلة النووية ، وهى دولة اسلامية كبيرة ، أيضاً ، وتزداد فيها قوة التيار الإسلامى المطالب بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية لمجابهة اسرائيل خصوصاً بعد ما ثبت سعى هذه إلى التعاون مع الهند ومع أمريكا للقضاء على محاولات انتاج القنبلة النووية الباكستانية . إن هذه التطورات (التكنولوجية والعسكرية) أحدثت انقلاباً فى الترتيبات الأمنية التى كانت اسرائيل قد أقامتها للمحافظة على وجودها وتفوقها وردعها واحتلالها لأراضى الدول العربية المحيطة بها ، فقد ألغت العامل الجغرافى أو العمق كعنصر من عناصر الأمن مما أبطل جدوى احتلال الأرض الزائدة عن حاجتها فى سيناء أو الجولان مثلاً ، وجعل دولاً بعيدة جداً لم تكن تحسب لها حساباً فى الماضى كإيران أو باكستان بمثابة دول محاذية لها شأنها شأن دول الطوق العربى ، مضطرة للإستعداد لها كما ألغت هذه التطورات عامل التفوق الصهيونى ، الذى كان محققاً بامتلاك اسرائيل لما يتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ قنبلة نووية بل أن هذا العامل الذى وفر لها التفوق انقلب كابوساً عليها ، ذلك أن اسرائيل هى الطرف الذى يغامر أو يقامر بوجوده كاملاً فى أى مواجهة نووية أو بأسلحة الدمار الشامل ، بينما يتحمل

الجانب العربى والإسلامى كل النتائج التى قد تنجم عن استخدام اسرائيل لقدراتها النووية حتى ولو دمرت عشر مدن ١١.

ويزخر كتاب شيمعون ببرز (الشرق الأوسط الجديد) بصفحات مطولة عن دلالة هذا التطور فى زرع الشك فى الشعور الاسرائيلى السابق باليقين الأمنى النووى . وفى توليد القناعة بضرورة الوصول إلى سلام مع الدول العربية . وتقديم بعض التنازلات ، والعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية لإقامة نظام اقليمى جديد يشمل دول الشرق الأوسط كافة (عربية واسلامية) ويوفر لها (اسرائيل) ، علاقات نسيجية عميقة وراسخة مع محيطها ويحقق لها التفوق الاقتصادى والسياسى والعلمى بديلاً عن التفوق العسكرى .

٥ - بروز التيارات والنزعات الدينية فى المنطقة :

كان قيام اسرائيل (كدولة يهودية عرقية) أصلاً سبباً قوياً لإثارة واستفزاز المشاعر الدينية فى المنطقة ، سواء الإسلامية أو المسيحية وتكفل الصراع المستمر بين الدول العربية واسرائيل بما تكشف عنه من صلف يهودى ، وعدوان مستمر على المقدسات الاسلامية فى فلسطين ، وفى رفض المبادرات والمحاولات المستمرة لايجاد تسوية (عادلة) مع النظم والقوى اليسارية والقومية والعلمانية فى العقود الثلاثة الماضية التى أعقبت عدوان ١٩٦٧ ، إلى تدمير هذه القوى وافشال بعض الفرص التى توفرت لقيام نوع من الهدنة الطويلة ، وأفضت الظروف الناجمة عن الهزائم التى ألحقتها اسرائيل بالجيوش والدول العربية متفرقة ومجتمعة طوال خمسين سنة إلى بعث النزعات الدينية الاسلامية بقوة، خصوصاً أن هذه الظروف عينها قد قوت أيضاً النزعات الدينية اليهودية فى اسرائيل بكل ميراثها العنصرى القائم على التكبر والتجبر و (اسطورة الشعب المختار) وأوهام الثأر من المسلمين ، وإحياء مملكة بنى اسرائيل ، والتخلص من الآثار والمقدسات الاسلامية فى القدس وغيرها من مدن فلسطين والقضاء على الفلسطينيين ، واستعادة (الحقوق) اليهودية فى الشام والجزيرة العربية وسواها . وكان وصول تحالف الليكود اليمينى الدينى المتطرف بزعامة مناحيم بيغن إلى السلطة عام ١٩٧٧ أثراً من آثار هذه الظروف وتعبيراً عن جنوح النزعة الدينية اليهودية فى الكيان الاسرائيلى وبلوغها درجة أعلى من الحد الذى حرصت المنظمات الصهيونية على تحديده فى السابق لموازنة الحاجة إلى كسب تعاطف الشعب اليهودى فى الشتات من ناحية ، وكسب تأييد الدول والشعوب الغربية والأوروبية لدولة اسرائيل (الديمقراطية - العلمانية) من ناحية أخرى . وتبع وصول الليكود الى الحكم واستمراره فيه إلى عام ١٩٩٢ دعم وتشجيع التيارات الدينية اليهودية المتطرفة فكرياً وسياسياً ، وتبنى مشروعاتها فى الداخل وفى الساحة الاقليمية ، وكان لابد أن يحدث ذلك أثره فى الساحة

العربية ، لتحقيق التوازن وتلبية حاجات الصراع الوجودى والمصيرى . فظهرت التيارات الاسلامية وفنت بسرعة وقويت متغذية من الهزائم والاختناقات والاحباطات سواء على جبهة الصراع مع الدولة اليهودية والتهاون فى الاستعداد لمجابهتها ثم الاستسلام لشروطها أم على جبهة البناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة وتراكم أزمات السكن والتعليم والصحة وغيرها وعجز النظم القائمة عن القيام بأبسط وظائفها وحاجيات الشعوب .

هذا كله إضافة إلى أن وجود التيارات الاسلامية فى المجتمعات العربية والاسلامية ، ظاهرة طبيعية أصلاً نظراً لأصالة هذه الظاهرة فى الوعى الجمعى العام لأمة تدين غالبيتها العظمى بالإسلام، وتكونت تاريخياً حدودها ومقومات وجودها وحضارتها واستمرت بفضل الاسلام ، ودافعت عن نفسها دائماً بسلاح الاسلام . فضلاً عن أن جميع الرسائل السماوية ظهرت فى هذه المنطقة عبر آلاف السنين .

غير أن الجديد والاستثنائى فى الظاهرة ، هو جنوحها (على الأقل حسب بعض المزاعم) إلى التطرف والإرهاب فى التعبير عن ذاتها لمواجهة اسرائيل ، ومايتفرع عنها ، والنظم العربية التى ألغت بسبب اسرائيل ومتطلبات الحرب (المؤجلة) معها حسب زعمها ، معظم الحقوق البديهية والفقيرية للمواطن العربى ، من حريات فردية وجماعية لم تستطع حتى النظم الاستعمارية السابقة مصادرتها وتقييدها كما فعلت هى ، الأمر الذى أدى إلى كوارث وزلازل ضرت الجماعة أو المجتمعات فى معظم البلدان العربية ووضعت المواد الأولية للتطرف والاحتقان والحروب الأهلية ووضعت (الحالة الاسلامية) فى ظروف غير طبيعية تدفعها دفعا نحو الإرهاب والعنف والمزيد من الجنوح إلى التطرف ، خصوصاً أن دول الغرب ذات الماضى الاستعمارى القديم (فرنسا مثلاً) والامبريالية الحديثة (أمريكا) دخلت على خط الصراع مع التيارات الاسلامية بنفس الضراوة التى خاضت فيها الحرب على التيارات القومية الراديكالية فى الخمسينيات والستينيات حتى انهكتها . وربما أكثر . وعلى الأخص ، أن اسرائيل تتزعم منذ عدة سنوات تغذية المخاوف من خطر الأصولية الإسلامية فى العالم كله ، وخاصة فى أوروبا وأمريكا ، ويقف مفكروها وعلماءها اليهود وكذلك قادتها وسياسيوها خلف معظم الدعوات والنبوءات والحملات العنصرية والصليبية ضد التيارات الاسلامية الدينية بدون أى تمييز بين الإيجابى منها والسلبى ، بصرف النظر عن الحركات التى تلجأ للعنف أو تلك التى تمارس نشاطها كحركات سياسية مشروعة تلتزم القوانين والنظم العالمية بما فيها الديمقراطية . وتضع تلك الدعايات كل (التيارات والحركات الإسلامية) فى كفة واحدة وفى خانة العداء والتناقض مع الحضارة الغربية العالمية) وكخطر داهم ودائم على الديمقراطية والاستقرار والسلام فى ربوع الشرق الأوسط والعالم كله .

ويعيداً عما هو (دعائى) تحاول اسرائيل الإفادة منه لكى توجد بديلاً عالمياً عن دورها السابق فى مواجهة الإمبراطورية السوفياتية - الشيوعية يوفر لها الدعم والمساندة من دول الغرب ، فإن اسرائيل تشعر بالقلق والخوف حقا من نمو التيارات والحركات الاسلامية فى الساحة العربية والاسلامية ، ذلك أن هذه التيارات لا بد أن توقظ وتحبى وتبعث المشاعر الاسلامية ضد اليهود ولا بد أن تخلق حواجز منيعة تعترض أى تطبيع وأى سلام قد تتوصل إليه مع الحكومات والنظم ، وإذا كانت مغتربة لإتحاف بعض الحركات الاسلامية عن الصواب والمنطق وسقوطها فى منزلق الإرهاب الأعمى ، فإن اسرائيل تعى أن هذه الحركات لا تمثل الظاهرة الاسلامية الجديدة كلها وأن هذه الظاهرة أوسع وأعظم وأقوى من بعض النماذج المنحرفة لها ، ويتركز القلق الاسرائيلى فى استمرار تأصل الصحوة الاسلامية وترشدها وتبلورها فى برامج ومشروعات فكرية واجتماعية وسياسية تشكل امتداداً لتيار التجديد الحضارى ومشروع النهضة العربية الإسلامية منذ قرن ونصف بلا انقطاع .

ولو دققنا النظر فى مجمل العوامل الاقليمية السابقة والتي أجبرت اسرائيل على إعادة حساباتها لوجدنا أن (العنصر الاسلامى) يدخل فى صلبها جميعاً . فالانتفاضة بدأت فى غزة ومن جانب التيار الاسلامى لا التيار التقليدى لمنظمات فتح وشقيقاتها اليسارية التى تشكل منظمة التحرير الفلسطينية ، وطوال سنوات الانتفاضة أثبتت المنظمات الاسلامية الجديدة ، خاصة حماس والجهاد الاسلامى ، قدرتها على مزاحمة منظمة التحرير والقوى التقليدية ، وتوجيه ضربات موجعة لإسرائيل وتعبئة الشعب الفلسطينى . وقيادة الكفاح والجهاد ضد اسرائيل حتى بعد توصل هذه وقيادة منظمة التحرير إلى سلام أو سلو المزعوم .

وفى صعود القوة العربية ، والاسلامية ، تجد الحواف الاسرائيلى فى اتساع نطاق الحركات الاسلامية فى الدول العربية أو فى الدول الاسلامية ، وخاصة ايران ، وباكستان ، وكذلك تركيا ، فضلاً عن ظهور دول اسلامية متقدمة فى وسط آسيا بعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفياتى مثل كازاخستان ، ووجود نماذج من الحركات الاسلامية التى توائم وتوحد بين العوامل القومية والوطنية والاسلامية والديمقراطية كما هو شأن النموذج الجزائرى أو التونسى، وهذه النماذج تخلق الأساس لشورات وطنية اسلامية عميقة الجذور وتنسف عملية السلام على النطاق العربى .

إذن ، فاسرائيل التى لم تكتمل فرحتها بالقضاء على (تيار القومية العربية) تواجه تياراً لا يقل قوة ورسوخاً وتجذراً هو التيار الإسلامى الذى يتطور بسرعة نحو تحديد ويلورة مشروعه النهضوى المصطلم بالضرورة مع المشروع الامبريالى - الصهيونى . ومع أن اسرائيل نفسها تنامى فيها التيارات والحركات الدينية المتطرفة ، فإنها تخشى أن يتخذ الصراع بينها وبين أعدائها الطابع الدينى

السافر . لأنه وإن كان يوفر لها المزيد من الدعم الغربى والأمريكى ، فإنه يضعها فى مواجهة عالم إسلامى تتزايد صحوته وقوته وتتقارب مصالحه مع الوقت ومع إزدياد التناقض بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب . وعلى المدى البعيد تخشى اسرائيل أن يصبح الصراع يهودياً - إسلامياً سافراً ، لأن (المصالح) قد تجبر العالم الغربى (المسيحى) على الوقوف على الحياد والتخلى تدريجياً عن بضعة ملايين يهودى من أجل المصالح الهائلة مع مليار مسلم .

٦ - العامل النفطى ، ودوره العالمى :

لم يكن هذا العامل فى أى يوم مضى ضامراً أو محدوداً بل كان دائماً ، ظاهراً وأساسياً فى معادلات القوة والمصالح فى الشرق الأوسط وفى صلب خلفيات الصراعات والحروب منذ مائة سنة وحتى الآن . غير أن هذا العامل يزداد بروزاً وتضخماً ويفرض نفسه أكثر فأكثر مع دخوله القرن الثانى من عمره أى القرن الحادى والعشرين . إذ لا تلوح فى الأفق أى بادرة عن يديل له فى مصادر الطبيعة حتى الآن . ومن المتوقع أن يستمر الحال على ما هو عليه إلى منتصف القرن القادم على الأقل حسب تقديرات الخبراء . فى الدول الصناعية التى تزداد ارتهاناً لحاجتها لهذه السلعة أو المادة الاستراتيجية غير العادية والتى لا تكاد تشبه المواد أو العناصر الخام الأخرى فى الطبيعة على الإطلاق .

والبتروى كسلعة حيوية للصناعة والحضارة بل وللحياة نفسها فى السلم أو الحرب ، ليست سلعة مطلقة ، بل قابلة للتنفاد ومصادرها محدودة مهما كانت احتياطياتها وفيرة . ويشترتب على هذا استمرار التنافس على السيطرة عليها ، واستمرار تصاعد اسعارها واستمرار تزايد أهمية البلدان أو المناطق التى تتوفر فيها . وفى مقدمتها على الإطلاق الشرق الأوسط ، أو بعبارات أدق : الوطن العربى ، والعالم الإسلامى . من نيجيريا إلى إيران . كما تزداد قيمة وأهمية الأمن والاستقرار والتعاون (ثلاثة عناصر متداخلة) بين جميع الدول المنتجة والمستهلكة والدول التى تمر بها الأنابيب والناقلات والممرات ، مما يعقد هذه الحاجة ويزيد من حيويتها .

ولقد كانت أمريكا بصورة خاصة ، مدينة منذ بداية القرن العشرين بقوتها وثروتها ومكانتها الدولية للنفط ، وبصورة خاصة للنفط العربى إلى الحد الذى دفع أحد السياسيين البارزين فى الإدارة الأمريكية للرئيس فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٣ للقول : « بدون البتروى فإن أمريكا بالشكل الذى نراه الآن لم تكن ممكنة قط » (٢) .

وقد أثبتت العقود اللاحقة دقة وسلامة هذه النظرية ، فكل سياسات الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط تتمحور حول حماية مصالحها ووارداتها من النفط ، بما فيها دعم ومساندة الكيان

الاسرائيلى، الذى أنيطت به مهمة الدفاع الاستراتيجى عن هذه المصالح ، وهى مهمة ثابتة ومستمرة طالما استمرت وتعاظمت أهمية البترول العربى فى وسط الأنواء والعواصف والاضطرابات السياسية والديمقراطية والاجتماعية التى تحيط به .

وإذا ما نظرنا إلى المستقبل فسنجد أن اعتماد أمريكا وأوروبا على البترول يزداد حتى بلغ الآن ٥٠ ٪ للأولى و ٩٠ ٪ للثانية ، مع أن أمريكا كانت الى أمد قريب تصدر النفط ولا تستورده .

والبترول فى أماكن كثيرة فى العالم ينقد أو وشيك النفاذ كما هو شأن روسيا ، والصين والقوقاز وجنوب شرق آسيا ، بينما يقدر عمر النفط العربى بما يزيد على خمسين أو سبعين سنة بمعدلات الانتاج الحالية .

يتوقع أن يبلغ سعر النفط مستوى عالياً أضعاف ما هو عليه اليوم إذ سيصل حسب التقديرات الغربية إلى ٧٥ دولاراً للبرميل الواحد مع بداية القرن الجديد، ونحو ١١٠ دولار للبرميل الواحد عام ٢٠١٠ وهو سعر سيجعل فاتورة البترول فلكية لمعظم الدول التى تحتاجه لصناعاتها كاليابان وأوروبا الغربية، وسيجعلها أشبه بالرهائن فى قبضة من يتحكم بالنفط. (٣)

على هذا الاساس يمكن أن نقدر حاجة الولايات المتحدة الأمريكية للبترول العربى والايرانى، وحاجتها لإحكام سيطرتها عليه فى وجه المنافسة الضارية القائمة والمحتملة من شريكاتها الأورويات وحاجتها كذلك لضمان علاقاتها ونفوذها فى الشرق الأوسط وكذلك للأمن والاستقرار فى هذه المنطقة وللتعاون بين جميع هذه الدول لحماية الممرات وشبكة المصالح التى تربطها فيما بينها ، وفيما بينها وبين المركز فى واشنطن أيضاً. على أى حال ، يوصلنا هذا العامل تلقائياً إلى مجموعة العوامل والدوافع العالمية وراء عملية السلام الراهنة .

ثانياً: الدوافع والعوامل العالمية .

١ - انتهاء الحرب الباردة :

من الحقائق البديهية لواقع الساحة الدولية فى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية أن الحرب الباردة كانت تعكس ظلالها على جميع بؤر التوتر والنزاعات فى العالم ، فما بالك بصراع الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل وهو أحد أبرز نقاط التوتر الساخنة طوال هذه الحقبة ؟

لقد كانت الحرب الباردة بين المعسكرين السوفياتى والأمريكى عنصراً أساسياً من عناصر معادلة الصراع العربى - الاسرائيلى ، على رغم أن معظم العرب كانوا فى صف الولايات المتحدة ودول

الغرب ومعادين للنظام السوفياتى . كما أن هذه الحقيقة ظلت ماثلة حتى بعد تغيير أنور السادات لعلاقات مصر مع الاتحاد السوفياتى من التحالف إلى المجابهة وتعهده لأمريكا بطرد السوفيات من الشرق الأوسط . ولم تتغير الا عندما قرر السوفيات الانسحاب من تلقاء أنفسهم ، أى بعد أن اعترفوا بهزيمتهم فى (الحرب الباردة) أمام الخصم الأمريكى.

وجاء الإعلان عن انسحاب السوفيات على شكل كارثى ، فى أتون أزمة الخليج بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق بعد اجتياح الكويت عام ١٩٩٠.

وكذلك تبدى هذا الانسحاب فى صورة انقلاب شامل فى طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى وموازن القوى ، منذ أن استجابت موسكو لمطالب واشنطن وتل أبيب بالسماح للميوني يهودى سوفيائى بالهجرة إلى الدولة العبرية ، وفى وقف تقديم الأسلحة المتقدمة إلى سوريا ، والتراجع عن الدعم السياسى لمنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا وباقى الدول العربية بشأن حقوقهم المتفق عليها دولياً فى الحد الأدنى .

ولقد أدى انتهاء الحرب الباردة إلى نتائج كثيرة ، يخصنا منها هنا أن المنطقة أصبحت بعد هذا التحول العالمى ، عموماً ، وبعد تدمير قوة العراق فى حرب الخليج الثانية ، خصوصاً ، منطقة خاضعة بالكامل للنفوذ الأمريكى ، وأصبحت السياسة الأمريكية تستحوذ فعلاً على ٩٩ ٪ من أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط ، بعد عقدين من قول السادات للعبارة الشهيرة. ولم يعد بإمكان أى دولة حتى ولو كانت تساورها الرغبات قادرة على تحدى السياسة الأمريكية فى توجهاتها العامة على الأقل .

وتوافرت لواشنطن ، اضافة إلى النفوذ والهيمنة ، واطافة للفرصة التاريخية الملائمة ، الدوافع والمصالح الخاصة لاقتناص الفرصة ، واستغلال نفوذها لدى أطراف الصراع الدراماتيكى الذى طالما هدد مصالحها فى المنطقة ، من أجل وضع تسوية سياسية له طويلة الأمد وإقامة ترتيبات وتحالفات وتشكيلات جيوبوليتيكية ثابتة وراسخة تحفظ لها مصالحها النفطية ، والاستراتيجية ، ليس فى مواجهة الأخطار المحلية العربية والاسلامية فقط ، ولكن فى مواجهة المنافسات والتهديدات العالمية أيضاً بما فيها تلك الصادرة من شركاء وحلفاء كالأوروبيين . أو حتى لو كانت هذه التهديدات محتملة وليست حالة أو آتية ، كالمزاحمة اليابانية مثلاً .

من هنا ، يمكن فهم مغزى الاعلان الأمريكى عن بداية التحرك الجاد لإيجاد التسوية للصراع العربى - الاسرائيلى ، والمشكلة الفلسطينية ، فى نفس اللحظة الى أعلنت فيها ادارة الرئيس جورج بوش شن الحرب على العراق ، وإن كان هذا التزامن قد جاء فى صيغة تعهد وكأنه يلهى مطلباً عربياً

ملحاً أو يقدم تنازلاً للشعوب العربية ، والدول التي تحالفت مع واشنطن في الحرب ضد العراق ، على حساب إسرائيل !!

ومن هنا يمكن فهم التحرك الأمريكى السريع والمبادرات التي قادها وزير الخارجية جيمس بيكر في أعقاب حرب الخليج الثانية مباشرة والتحضيرات التي انتهت بإطلاق عملية السلام ، وعقد مؤتمر مدريد في سبتمبر من عام ١٩٩١.

ومع أن هذه العملية ، قدمت تحت رعاية راعيين دوليين هما واشنطن وموسكو ، فإن الأمر قد بدا في بعض الأحيان مكشوفاً ومدعاة للسخرية ، إذ كان الراعى الروسى قد أمسى مجرد شاهد أخرس على الدور الأمريكى المستفرد بإدارة المفاوضات بين الأطراف وتحديد توجهات اللجان في المفاوضات المتعددة حتى بالنسبة إلى أماكن الاجتماع ، والعواصم التي يجوز اللقاء فيها أو التي لا يجوز ، ويضبط وتنظيم العملية برمتها بدون تدخل يذكر من جانب موسكو.

٢ - تضاؤل القوة الأمريكية :

رغم أن السنوات القليلة التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة ، هي أعظم فترة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية لا منذ تحولها إلى قوة عالمية كبرى بل منذ ظهورها على الخريطة العالمية قبل خمسة قرون ، فإن هذه الحقيقة التي تبدو للبعض بدهية إلى درجة الايمان بها كيتين مطلق ، واضفاء هالة من القداسة عليها فإن الفكر والنظر النقدي الجاد ، يكشف بسرعة عن خطأ مثل هذه التقديرات المتسارعة ، بل يكشف عن هبوط حاد في القوة الأمريكية يشمل كل المقومات والمجالات التي تجعل منها قوة عالمية ربما باستثناء القوة العسكرية ، مؤقتاً .

صحيح أن أمريكا أجبرت الاتحاد السوفياتى في منتصف القرن العشرين على الدخول معها في سباق طويل ومضنى ، جعله يعجز عن مواصلة التسابق وجعله ينفق معظم موارده الاقتصادية على سباق التسلح ، وأن هذه المباراة قد انتهت بفوز الولايات المتحدة ونيل الجائزة ، إلا أن هذا المشهد الاحتفالى الذى بنى عليه أولئك المفكرون المتحمسون نظريات عالمية - ذات محتوى أسطورى ، هو فى واقع الأمر مشهد لا يعكس حقائق الأشياء إذ أن هذا البطل الفائز فى سباق استمر نصف قرن ، وصل هو الآخر إلى نهاية الشوط منهكاً ، ومستنزفاً وإن كان أقل مما تكبده خصمه المهزوم ، وأنه بمجرد استلام جائزة الفوز ، سيتهاوى على الأرض من شدة الإرهاق . وهذه ليست صورة رمزية أو أدبية من انتاجنا ، بل هي فكرة دقيقة أو فحص سربرى لمسؤول أمريكى رفيع المستوى هو لورنس إيجلبيرجر ، مساعد وزير الخارجية فى إدارة الرئيس جورج بوش .

وكان الزعيم الفرنسى الراحل شارل ديغول قد تنبأ بنتيجة هذه المباراة منذ الستينيات .

ومظاهر الضعف الأمريكى كثيرة تشمل الاقتصاد ، حيث تراجع النمو ، والكساد وارتفاع البطالة والتضخم وانتشار الفقر ، وازدياد المديونية إلى أرقام خيالية تفوق مجموع ديون العالم الثالث (أكثر من ٣٠٠ بليون دولار عام ١٩٩٠) ذلك أن الحقبة الريحانية (١٩٨١ - ١٩٨٨) قد انهكت الاقتصاد وحملته فوق طاقته حين قررت زيادة الانفاق العسكرى وتحقيق مشاريع خيالية (كمشروع حرب النجوم ١) بهدف إشفاء الإرادة الأمريكية التى حطمتها هزيمة فيتنام واستعادة الزعامة الأمريكية فى العالم .

وفى عام ١٩٩٠ - ١٩٩١ ، صدر فى الولايات المتحدة نفسها ماثات الكتب التى ألفها علماء وباحثون رصينون لا يرقى الشك إلى جديتهم وورصاتهم ، عن معدلات الهبوط والانهيار الأمريكى المتسارع فى الإنفاق على البحث العلمى ، والصحة ، ومشاريع البنية التحتية والأساسية ، والتعليم والسكن ، وعن انتشار الفساد والعجز والفقر ، والاحتمالات المترتبة على ذلك فى بلاد قارية يزيد سكانها عن ٣٥٠ مليون نسمة ولا يجمع بين معظم شعوبها وأقلياتها وفئاتها سوء الولاء للثروة والازدهار ، والانتماء لدولة قوية . وهى عناصر متحولة غير ثابتة ، مرتبطة بعصر الازدهار والثراء الأمريكى .

والولايات المتحدة حالياً دولة عاجزة تجارياً أمام اليابان بأكثر من مائة بليون دولار سنوياً . وتواجه منافسة ضارية من مشروع أوروبا الموحدة .

وإذا كانت هذه المنافسة ، والمشاكل الداخلية والخارجية لا تزال اليوم فى النطاق الاقتصادى ، فإنها سرعان ما ستتقل إلى المجالات الأخرى كافة ، فالاقتصاد أساس القوة وعصبها .

وإزاء هذه الحالة التى يدرك المسؤولون والمخططون الأمريكيون أبعادها ونتائجها أكثر من أى طرف آخر ، فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة تستهدف تكريس الزعامة العسكرية على العالم الغربى والدول الصناعية المتقدمة ، وعلى العالم ، وتحاول تكوين معادلة مفادها توزيع الأدوار تقضى بالتسليم بالقوة الاقتصادية لدول شرق آسيا بزعامة اليابان وباقتسام الزعامة السياسية مع أوروبا الموحدة ، وباحتكار الزعامة العسكرية . والتحول إلى دور الأسطول الحربى أو المظلة النووية والعسكرية لحماية الدول الصناعية من أى أخطار منبعثة من الدول النامية التى تضطرم وتموج بالاضطرابات والأزمات والثورات التى ستزداد مع اتساع الفجوة فى الثروة والرفاه والتقدم العلمى بين الشمال والجنوب.

لقد ظهرت ملامح هذا الدور فى حرب الخليج الثانية ، ضد العراق ، حيث نجحت إدارة بوش فى إقامة التحالف العالمى الواسع ووزعت الأدوار وفرضت الجزية والحصص على الجميع ومولت حرباً

تحتكر هي قراراتها ومكاسبها في جيوب شركائها الذين لاناقة ولا جمل لمعظمهم فيها . ولذلك لم يكن خطأ تصوير البعض لهذه السياسة بأنها تشبه أساليب (الفتوات) . كما ظهرت ملامح هذا الدور لاحقاً في عملية توسيع حلف الناتو العسكري بقيادتها وضم دول شرق أوروبا إليه ، بعد أن كانت دول غرب أوروبا جدياً حل الحلف لزوال مبرراته بعد انحلال حلف وارسو.

٣ - التعدييات الأوروبية والآسيوية :

تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في المرحلة القادمة ، وعلى امتداد الأفق المرئى في القرن القادم (الحادى والعشرين) ما هو أكثر بكثير من المنافسة أو المزاومة التجارية أو الاقتصادية إذ ستواجه بصورة دقيقة ، تحديات حقيقية من جانب عملاقين عالميين يتشكلان اليوم هما :

أولاً : العملاق الأوروبي الذى تقوده ألمانيا ، وهى دولة عملاقة حتى بمفردها ويضم إلى جانبها معظم دول أوروبا الجنوبية والوسطى والشمالية ، ويتوقع أن يستوعب دولاً أخرى فى غضون سنوات قليلة ، وسيصبح الاتحاد قوة اقتصادية وبشرية تفوق الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يتفوق عليها من حيث الموقع والقدرة على التأثير فى العالم الثالث (أفريقيا - آسيا) .

وثانياً : العملاق الآسيوى بزعامة اليابان التى تعتبر منذ نحو عقدين أعظم قوة اقتصادية فى العالم ويتفوق ميزانها التجارى على أمريكا وحدها بأكثر من مائة بليون دولاراً واستطاعت اليابان أن تشتري وتسيطر على معظم الشركات الأمريكية المتعددة الجنسيات حتى فى قلب الولايات المتحدة ! وهذا العملاق يقود مجموعة من النور الآسيوية القريبة منه ثقافياً واقتصادياً وجغرافياً مثل كوريا الجنوبية وتايوان ، وأندونيسيا وماليزيا .. الخ وتشكل هذه المجموعة ، تحدياً قاسياً للولايات المتحدة فى احدى أخطر المناطق التى ظلت تعتبرها دائماً منطقة مغلقة تحتكر فيها الزعامة السياسية والعسكرية والاقتصادية منذ هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية واجبارها على الاستسلام وتوقيع معاهدات ارتباط وتبعية وحماية معها مازالت قائمة فى شكلها العسكرى وحسب .

وتخشى الولايات المتحدة أيضاً أن تتوصل اليابان إلى تفاهم ما مع العملاق الآسيوى الآخر ، الصين ، وحتى إذا لم يحصل ذلك فإن الصين ستظل تشكل عملاقاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً يهدد مصالح أمريكا فى منطقة أوسع بكثير من حدود شرق آسيا . فهى دولة تطمح إلى زعامة دولية بعد فترة هدنة تريد استثمارها فى تجديد طاقاتها وتحديث التكنولوجيا فى صناعاتها .

إن هذه التحديات المستقبلية ستجعل من أمريكا إحدى القوى القطبية فى العالم ، بدلاً من مكانتها الحالية كقوة وحيدة على رأس الهرم الدولى . بل ربما جعلتها فى غضون عقود قليلة دولة من الدرجة الثانية . ولذلك سعت منذ نهاية الثمانينيات إلى إحكام سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط

باعتبارها المنطقة التى تحتوى أهم كنز فى العالم ، وهو النفط . ومن خلال هذه السيطرة تستطيع التأثير الحاسم على أعدائها ومنافسيها الجدد سواء فى شرق آسيا أو فى أوروبا وكلتا المجموعتين تعتمدان على نفط الشرق الأوسط بنسبة تزيد على ٩٠٪ من حاجياتهما . وستزداد هذه الحاجة مع نضوب النفط فى معظم مناطق العالم والاتفات إلى منابع والاحتياطات الاستراتيجية فى الشرق الأوسط .

ويعتقد المخططون الأمريكيون الذين يفكرون بعقلية (الفتوة) أو (رامبو) أن مزاجتهم بين قوة عسكرية مطلقة فى البحار والمحيطات والفضاء وبين سيطرة محكمة على مصادر الطاقة فى الشرق الأوسط تكفل استمرار قوتهم الاقتصادية وازدهار بلادهم فى حد أدنى مقبول واستمرار زعامتهم العالمية بشكل مطلق .

غير أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب سرعة توفير شروط السيطرة على مصادر النفط وممراته وتعميق النفوذ وتوسيعه فى الدول والمجتمعات التى ينبع النفط منها أو يمر من خلالها إلى أسواق أوروبا واليابان . وفى مقدمة هذه الترتيبات تأتى عملية التسوية السياسية للصراع العربى - الإسرائيلى ، وجعل المنطقة كلها بما فيها إسرائيل ، حلفاً استراتيجياً يزعمه واشنطن أولاً ، وبالشراكة مع الدولة العبرية ثانياً .



الجزء الثانى

عوامل ذاتية الطريق إلى أوصلو

" اختار الإسرائيليون أوصلو ، وتجنبوا واشنطن
لكى يعطوا للمفاوضات بعض المصداقية " !
نعوم تشومسكى
مفكر يهودى معارض للصهيونية

رسمياً ، انطلقت عملية السلام ، فى مؤتمر مدريد فى تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩١ . واحتكرت
الدبلوماسية الأمريكية تنظيم العملية وتوجيهها وفقاً لفلستفتها ومشيتها ، بالتعاون والتفاهم
والتأمين مع إسرائيل . بعد أن أصرت هذه على عدد من الشروط ، أهمها :

١ - استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ، كممثل شرعى للشعب الفلسطينى والاستعاضة عنها
بوفد يمثل (السكان الفلسطينين فى قطاع غزة والضفة الغربية باستثناء القدس) . وأصرت إسرائيل
على عدم مشاركة أى شخصية معروفة رسمياً بعضويتها فى منظمة التحرير . وعدم مشاركة أى
شخصية من القدس .

٢ - أصرت إسرائيل وأمريكا على عقد المؤتمر على مستوى سياسى رفيع . فحضر وزراء خارجية
سوريا والأردن ولبنان على رؤوس وفودهم ، وكذلك وزير خارجية مصر .

٣ - أصرت إسرائيل على استبعاد أى حضور أو تمثيل أو دور للأمم المتحدة لا شكلياً ولا فعلياً
فى أعمال المؤتمر أو فى سير المفاوضات بين الأطراف لاحقاً . وعلى إلغاء مرجعية الأمم المتحدة ،
وقصر (الصفة الدولية) على مراسم الإفتتاح فى مدريد ، وعلى انتقال الوفود بعد تلك الجلسة
الوحيدة واليتيمة إلى مفاوضات ثنائية ومباشرة بين كل دولة من الدول العربية ، وإسرائيل على حده
إضافة لممثلى (السكان الفلسطينين) .

٤ - اشترطت إسرائيل استبعاد أى حضور أو تمثيل لجامعة الدول العربية فى مراسم حفل افتتاح المؤتمر ، تعبيراً عن رفضها القاطع للطابع القومى المشترك لصراعها مع جيرانها ، وقد حاول الأمين العام للجامعة د . عصمت عبد المجيد الحضور ولو بصفة مراقب ولكن إسرائيل أصرت على شرطها ، الأمر الذى دعاه للقول : كيف تقبل إسرائيل التفاوض مع العرب وهم أعضاء فى الجامعة ، وترفض حضور منظمته الإقليميه ؟؟^(٤) غير أن التساؤل لا يبدو ذكياً ، لأن معنى الموقف الإسرائيلى لا يحتاج لتفسير .. فهى تتعامل مع دول وأطراف مستقلة ، وقد ظلت على هذا (المبدأ) منذ اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٨ . وهى تريد التأكيد على أن عملية السلام الجديدة تعنى حتمية استبعاد الجامعة العربية كمنظمة للتعاون والأمن والتكامل القومى بين الأقطار العربية فى هذه المنطقة . وإقامة منظمة جديدة للشرق الأوسط تضمها وتضم دولاً أخرى غير عربية .

لكن إسرائيل إلى جانب هذا الموقف ، أصرت على حضور ممثلين للتجمعات والكتل العربية ، لتكون مشاركتهم الشكلية خطوة فى اتجاه الإعتراف الرسمى بها ونوعاً من المشاركة والإلتزام الجماعيين فى (عملية السلام) . وهكذا أسفرت الإتصالات خلف الكواليس عن حضور الأمير بندر بن سلطان سفير المملكة العربية السعودية فى واشنطن كممثل لبلاده ولمجلس التعاون الخليجى ، ووزير الخارجية المغربى عبد اللطيف الفيلالى كممثل لبلاده وللدول (إتحاد المغرب العربى) معاً .

وقسمت الولايات المتحدة الأمريكية عملية المفاوضات أو عملية صنع السلام إلى محورين: الأول : هو المفاوضات الثنائية على المسارات السورية ، الأردنية ، اللبنانية ، الفلسطينية ، كل على حده مع وفد إسرائيلى مستقل . والثانى : هو المفاوضات التى أطلقت عليها المتعددة الأطراف ، والتى تشارك فيها الدول العربية القريبة والبعيدة عن إسرائيل ، وفق اختيارات أمريكية قائمة على نوعية القضايا التى تبحث فى اللجان . ودول أخرى متفرقة من أوروبا والغرب وآسيا ، أهمها اليابان والصين وكندا وتركيا ودول شمال أوروبا فضلاً عن دول أوروبا ، بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا وبلجيكا .. الخ ، وتم تقسيم أو تشكيل لجان متخصصة لبحث قضايا إقليمية ودولية مثل : البيئة ، المياه ، نزع السلاح ، السياحة ، التعاون الإقليمى ، شئون اللاجئين .. الخ . ولم يكن هناك ضوابط أو معايير محددة لتشكيل اللجان أو اختيار الدول المشاركة ، سوى حرية وسلطة الراعى الأمريكى فى توزيع الأدوار على الأطراف وهدفت هذه المفاوضات لإعداد ترتيبات جيوبوليتيكية واستراتيجية وخلق أوضاع جديدة فى الشرق الأوسط ، تخدم مصلحة النظام العالمى الجديد عموماً أو الولايات المتحدة بشكل خاص . ولذلك تمت دعوة أكبر عدد ممكن من الدول المعنية بهذه القضايا أو التى سيكون لها دور فى التمويل أو المشاركة فى الترتيبات والضمانات . ودعيت معظم الدول العربية للمشاركة فى هذه اللجنة أو تلك حتى بلغ عددها ١٤ دولة . وذلك بهدف تحقيق اللقاء بينها وبين الوفود

الإسرائيلية على طاولة واحدة وتحقيق أولى خطوات التطبيع والسلام والتعاون ، وكسر الحواجز والمحرمات التي كانت تحظر مثل هذه اللقاءات .

وفى أثناء سير هذه المفاوضات تبين أن إمكانية تحقيق التقدم فى المفاوضات المتعددة الأطراف أكبر وأسرع ، وتبين أن هذه هى خطة الراعى الأمريكى ، والشريك الإسرائيلى ، والغاية منها تحقيق التطبيع والسلام حسب المفهوم الأمريكى - الإسرائيلى قبل أن يتحقق انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وهو (حسب المفهوم العربى) الغاية الجوهرية من عملية السلام برمتها والمفاوضات الثنائية طبعاً . أى أن إسرائيل وأمريكا تريدان الحصول على الثمن والجائزة قبل أن يسلموا البضاعة .

ولهذا السبب امتنعت سوريا عن المشاركة فى المفاوضات المتعددة الأطراف ، وتضامن لبنان معها ، وانتقدا مشاركة الدول العربية الأخرى فيها ، قبل أن تسفر المفاوضات الثنائية عن أى تقدم يذكر ، وقبل أن تعلن إسرائيل أى التزام بالانسحاب من الأراضى المحتلة ، وإعطاء الشعب الفلسطينى حقوقه . غير أن اعتراضات وانتقادات دمشق لم تجدد أذاناً فى أى عاصمة عربية ، بما فيها عمان أو الرياض أو الرباط . بل أن دولاً عربية اشتهرت فى الماضى بتقاعسها عن أى مشاركة أو اهتمام بالقضية الفلسطينية مثل سلطنة عُمان ، أظهرت حماساً حاراً للمشاركة فى المفاوضات المتعددة الأطراف واستضافت هى وقطر اجتماعين للجنة المياه والطاقة ، وطالبتا فى إطار الجامعة العربية بإلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل قبل توفر الشروط المطلوبة لمثل هذه النقطة الكبيرة . وكان من الواضح أن الدبلوماسية الأمريكية تستغل كل نقاط الضعف فى الوضع العربى لصالح التطبيع والسلام الموعود قبل إنجاز المهمة الأساسية من جانب إسرائيل ، وفى مقدمة نقاط الضعف : التشرذم العربى ، وغياب التضامن القومى ، وبحث كل دولة عن مصالحها القطرية الخاصة بمعزل عن الأشقاء من الأسرة الواحدة . وكانت دول الخليج العربى أول من ضغطت أمريكا عليها ، نتيجة لهشاشة مقاومتها أمام هذه الضغوط من ناحية ، وتلبية لرغبات إسرائيل فى إقامة العلاقات معها نظراً لوفرة المغريات والمكاسب فى الخليج من ناحية ثانية .

هذا فى الوقت الذى مارست فيه إسرائيل أساليبها المعهودة فى التهرب من التزاماتها واستحقاقاتها الدولية ، حتى فى إطار هذه اللجان المتعددة الأطراف ، فامتنعت عن بحث قضية الأسلحة النووية التى فى حوزتها ، وامتنعت عن بحث قضايا اللاجئين الفلسطينيين الذين طردتهم من بلادهم منذ عام ١٩٤٨ وكفلت قرارات الشرعية الدولية لهم (حق العودة) ورفضت إسرائيل فى مرة ثالثة بحث قضية المياه التى تسرقها من جنوب لبنان أو نهر الأردن بشكل جاد ورفضت الإدلاء بمعلومات صحيحة عن كمية المياه التى تسرقها من الضفة الغربية. أما المفاوضات الثنائية فقد اتضح

منذ اليوم الأول أنها ستتبه في مسار حلزوني ، يجعلها تدور حول نفسها وتستغرق سنوات وسنوات ، بدون أى التزامات من جانب إسرائيل أو الراعيين الدوليين اللذين أعربا دائماً عن عدم تدخلهما في عملية المفاوضات بينما كان الطرف الأمريكى فى الواقع يمارس أقصى الضغوط على الجانب العربى لتقديم التنازلات بعد التنازلات لصالح الجانب الآخر واعترف رئيس الحكومة إسحاق شامير فى ذلك الوقت أن المفاوضات قد تستغرق عشر سنوات وهى تبحث فى شكل وحجم الطاولة ووضع الكراسى التى سيجلس عليها المتفاوضون قبل الدخول فى المسائل الجوهرية !! وحتى عندما تغيرت الحكومة فى إسرائيل وجاء حزب العمل إلى الحكم على أساس برنامج (تحقيق السلام) مع العرب ، والمشاركة فى المفاوضات بجدية ، فإن العملية على الصعيد الرسمى لم يطرأ عليها أى تغيير نوعى ، إذ استمرت تراوحت فى مكانها ، خاصة على المسار السورى ، والمسار اللبنانى .

واتضح أن الجانب الإسرائيلى كان يمارس لعبة المراوغة ، بين الأطراف العربية إذ يسرب إحياءات للطرف الفلسطينى بأن المفاوضات مع السوريين توشك على الوصول إلى اتفاق ، كما تسرب إلى الطرف السورى الأمر نفسه معكوساً ، وتوحي إلى الجانب اللبنانى أن دمشق تقايع على مستقبل لبنان .. وهكذا .

وفى منتصف عام ١٩٩٣ ، كانت المفاوضات على المسارات الأربعة قد وصلت إلى طريق مسدود بلا أى نتيجة أو حصيلة ايجابية تذكر وكان ذلك بحكم الأمر الهدى نظراً للثغرات والسلبيات المقصودة فى تنظيم العملية التفاوضية والسلمية برمتها فى الأساس .

١- فقد أصرت اسرائيل وأمريكا أن تكون العملية بلا أى مرجعية قانونية محددة . والمقصود اغفال كل القرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة طوال سنواتها ، واغفال القوانين الدولية العامة التى تنطبق على مشاكل الشرق الأوسط ، والتى تتعارض والمصلحة الاسرائيلية.

٢- وأصرت اسرائيل ألا تبحث القضية باعتبارها مشكلة احتلال اسرائيلى بل باعتبارها مشاكل اقليمية ، وكذا قضية حقوق الشعب الفلسطينى أى باعتبارها قضية حقوق انسان ، لا باعتبارها حقوقاً وطنية وقومية ثابتة ، ومرعية بموجب الشرعية الدولية .

٣- اصرار أمريكا واسرائيل على إلغاء بعض القرارات الدولية فى الأمم المتحدة كقرار اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية ، وإلغاء القرار رقم ٢٤٥ الخاص باحتلال اسرائيل لجنوب لبنان ، وفرض التفسير الاسرائيلى للقرار ٢٤٢ الذى جاء ذكره فقط فى مقدمة الرسالة التى وجهت للأطراف لدعوتها للمشاركة فى مؤتمر مدريد باعتبار تنفيذه هدفاً من أهداف العملية السلمية ، ولكن بموجب التفسير الاسرائيلى الذى يرى أن القرار لا ينص على وجوب الانسحاب من كل الأراضى

العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ .

٤- اصرار اسرائيل وأمريكا على احراز بعض الخطوات الجوهرية من جانب العرب بحجة توفير الثقة قبل أن تقدم اسرائيل ولو على اعطاء تعهد بالانسحاب من الأراضي المحتلة . وكان ملحوظاً منذ البداية أن أمريكا مصممة ومستعجلة لإلغاء المقاطعة العربية على اسرائيل اكثر من هذه .

وقد وصف محللون وخبراء (عملية السلام) كما خططتها الولايات المتحدة الأمريكية بأنها من أغرب المبادرات والمفاوضات في التاريخ لأنها لا تستند إلى أى أساس ولا تلتزم بتحقيق أى أهداف محددة . وقال الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل أن المشاركة (العربية) في هذه العملية تشبه الرحلة في قطار لا يسير على قضبان ، ولا تعرف الجهة التي سيتحرك نحوها ولا خطة معروفة للرحلة ، وكل شيء متوقف على الثقة بقائد القطار الذي (يرعى) الرحلة وحده . وهو أمريكا .

من الطبيعي إذن أن تنتهي المفاوضات الثنائية إلى طريق مسدود بعد عامين من مؤتمر مدريد الاحتفالي ، غير أن هذا الفشل كان كما يبدو على ضوء النتائج فشلاً مطلوباً ومعدلاً له ، وهو أمر منطقي لعدم توفر أسس التفاوض الناجح في الأصل كما رأينا .

لماذا ؟.. لأن خطة العملية السلمية كما اتضح فيما بعد راعت أن تكون - هذه العملية - معتمدة على ثلاث مستويات من التفاوض لا مستوى واحد . أولها الاجتماعات التي تعقدها الأطراف والوفود الرسمية في واشنطن . ثانيها هو الدور المباشر للدبلوماسية الأمريكية عبر خبراء وزارة الخارجية في واشنطن ، وعبر الجولات المكوكية - الدورية لوزير الخارجية ومساعديه في منطقة الشرق الأوسط سواء على عهد جيمس بيكر أو خلفه وارن كريستوفر (وهذه الاستمرارية تعكس وجود الخطة سلفاً). وهدف هذا المستوى تكريس الزعامة الأمريكية ونفوذها وتذكير الأطراف دائماً بأن أمريكا وحدها هي المرجعية والمركزية في كل ما يتعلق بالعملية ، وحتى تظل الخطوط والخيوط محصورة في يديها ولا تفلت منها . وثالثها ، هو مستوى المفاوضات السرية . والواقع أن ما جرى بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل في العاصمة النرويجية لم يكن خرقاً لقواعد عملية السلام ولا استثناء أو انحرافاً عنها بل هو في صلب العملية ، وجزء من الخطة أعد سلفاً ومنذ البداية ، بدليل أن الأمر تكرر مع سوريا والاردن جزئياً ، وبدليل افتضاح الزعم الكاذب أن أمريكا كانت لا تعلم بالمفاوضات الجارية في اوسلو ، واتضح أنها كانت تتلقى بصورة دورية وفورية محاضر الاجتماعات والمناقشات في اوسلو ، هي ودول أخرى قليلة ، أبرزها بريطانيا ا. (٥)

لقد قصدت الخطة من البداية ايجاد مفاوضات رسمية شكلية وخلق مستوى سرى آخر للمفاوضات وممارسة الضغط والابتزاز للحصول على أكبر قدر من التنازلات من الأطراف العربية داخل غرف مغلقة

وبعيدة عن العيون والآذان تصان فيها الاسرار والعيوب ، وما أكثر هذه فى طبيعة الأطراف والأوضاع العربية بحيث تسهل لأعيب الابتزاز والمساومة والتهديدات وصولاً إلى الصفقات المطلوبة بصورة غير شرعية مع نظم وقيادات تخاف من شعوبها وقواعدها الاجتماعية أكثر مما تخاف (العدو) الاسرائيلى ، أو الأمريكى. ونتيجة لهذه الحقائق ، قبل العرب دخول المفاوضات بلا أى « مرجعية » من القوانين والمبادئ والشرعية الدولية ثم قبلوا التورط فى صفقات ثنائية ، بعد مفاوضات سرية ، على حساب الحقوق الوطنية غير القابلة للتصرف ، وعلى حساب المبادئ والثوابت الوطنية والقومية التى أنبت عليها الوحدة الوطنية منذ ثلاثين سنة ، ونصت عليها فقرات الميثاق الوطنى الفلسطينى . وقبل هذا وذاك ، سلموا كل المفاتيح والأوراق للراعى الأمريكى مفوضين إليه وبكل الثقة والحب تقرير مصائرهم والتصرف بمصالح بلدانهم وشعوبهم العاجلة والأجلة.

الصفقة السرية

الطابع السرى للمفاوضات التى جرت فى أوسلو ، ليس أمراً غائباً أو شكلياً يتطلبه العملية التسوية ولا يمكن القفز فوقه دون استجلاء دلالاته وخلفياته .

انه يتروج تاريخاً طويلاً من الاتصالات والمفاوضات السرية بين الجانبين ، فما بصورة تدريجية وتصاعدية . حتى أصبح على حد تعبير د . ادوار سعييد «مبدأ» ثابتاً فى نضال منظمة التحرير الفلسطينية . وفى مرحلة ما بعد بيروت ١٩٨٢ ، حل هذا الاسلوب محل النضال العسكرى . وبات النضال الوحيد .

وظل قادة المنظمة دائماً يقدمون التنازلات اثر التنازلات من جانب واحد للاسرائيليين والأمريكيين على حد سواء . (٦)

ولا شك أن (مبدأ السرية) بحد ذاته ينطوى على (مفهوم الصفقة) إذ لا ضرورة ولا مبرر لمثل هذا المبدأ فى أى محادثات أو مباحثات بين جانبين مالم يكن هناك (أشياء) تتطلب الكتمان ، خصوصاً إذا ما جرى هذا من وراء ظهر الأجهزة والمؤسسات ذات الصلاحيات والاختصاص فى الرقابة أو الموافقة أو إبرام هذه الاتفاقات . وعلى الأخص إذا ما جرى بين طرف قوى و ثان ضعيف فهو ينطوى بالضرورة على تنازلات فادحة يتوجب إبقائها سراً .

هذا على الصعيد العام . أما على الصعيد الخاص ، أى فى نطاق مثال أوسلو ، فإن المفاوضات السرية عكست قلباً وقالباً ، صورة الصفقة ومفهومها فى أجلى المعانى . فهى تمت فى الوقت الذى كان هناك وفد فلسطينى يمثل قادة الداخل ، يجرى مفاوضات مع وفد اسرائيلى حكومى فى إطار

(عملية السلام) فى واشنطن منذ خريف ١٩٩١ . وكان هذ الوفد أكثر شرعية وتمثيلاً للشعب الفلسطينى وتعبيراً عن المبادئ العامة ذات الإجماع الوطنى ، لأنه يمثل مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية والسياسية. وبالتالي فإن الوفد كان يخوض مفاوضات ملتزمة ومقيدة بالمبادئ والثوابت الوطنية ، وينسق مع أجهزة منظمة التحرير بما فيها قيادة عرفات ، ويراعى أيضا حساسيات الانتفاضة فى الداخل ومواقفها . وهو يضم شخصيات قيادية وشعبية معروفة ، بينما ضم وفد اوسلو عناصر من المنظمة يحركهم عرفات حسب رغبته لأنهم مدينون بوجودهم له فقط .

وعلى هذا فإن المفاوضات السرية التى فتحتها عرفات مع الأجهزة السرية فى الدولة اليهودية أى مع الموساد مباشرة وحقيقية ، كانت تعنى ضربة قاصمة لتلك الصيغة من المفاوضات ، وانحرافاً عنها ، وإلا لماذا وصلت مفاوضات (واشنطن) إلى طريق مسدود بعد عامين ، بينما وصلت صفقة اوسلو بعد شهور إلى اتفاق ١٢٢

وعلى هذا الصعيد أيضا ، جاءت مفاوضات اوسلو على حساب الأطراف العربية المشاركة فى عملية السلام أى الأردن وسوريا ولبنان . وانحرافاً عن الالتزام والتعهدات الضمنية والصريحة بين هذه الأطراف كافة التى اتفقت منذ بداية العملية على التنسيق فى مسارات التفاوض حتى لا تغتنم اسرائيل فرصة أو ثغرة موافقة العرب أصلاً على دخول العملية على شكل وفود مستقلة ، وتلافى ذلك . بل أن الحقيقة المعروفة جيداً لكل المراقبين هى أن قيادة عرفات توخت فعلاً تخطى سوريا والأردن وتجاوزهما واستباقهما إلى اتفاق مع اسرائيل ، لأن العكس لو حدث سيؤدى إلى إتفاق على حساب القضية الفلسطينية . (حسب تقدير عرفات طبعاً) . وحتى لو كان هذا التقدير صحيحاً ، فهو لا يعفى من المسؤولية التى كانت ستحمل أيضاً لنفس الطرف العربى الذى سيخرج عن الصف .

أخيراً ، فلقد شاع عقب مفاوضات اوسلو أن هناك ملاحق سرية للاتفاقات التى توصل اليها الجانبان ، ورغم النفى المتكرر فإن عرفات لم يستطع اقناع الرأى العام ذلك أن المفاوضات السرية أو الصفقات من هذا النوع ، غالباً ما أدت فى الحالات المشابهة إلى اتفاقات ومعاهدات ، نصفها يعلن، ونصفها الآخر يبقى فى طى الكتمان .

مع هذا ، وإضافة له ، فإن (طابع الصفقة السرية) لمفاوضات اوسلو ليس أسوأ ما يؤخذ عليها ، فالأسوأ هو مجموعة من الخلفيات والمشاعر والحسابات الذاتية والخاصة التى قادت الطرفين إليها أو عكستها النصوص التى توصلت اليها .

١ - الرغبة فى الانتقام من العرب :

كما هو معروف ، تأسست حركة فتح كبرى الحركات الفلسطينية بين نهاية الخمسينيات وبداية

الستينيات ، على قاعدة (خلق أو يهت القومية الفلسطينية) وفصم العربى بينها وبين (القومية العربية) التى كانت فى ذروة تألقها الفكرى وصعودها الحركى . وتلونت الطروحات والمقولات التى صدرت بها الفكرة ، بيد أنها تمحورت حول نزعة انفصالية معادية لاعتبار القضية الفلسطينية ، قضية عربية قومية أو قضية اسلامية . وتركزت التضالات السياسية دائماً حول هدف مركزى هو (انتزاع القرار الوطنى المستقل والمحافظة عليه) . وقد نجحت حركة فتح فى تكريس هذه الاتجاه ، بل واستقطبت مجموعة كبيرة من الأدباء والمثقفين المعادين للعروبة أو للإسلام أو لكليهما ويعزى الفضل فى تسييد هذا الخط المنحرف عن سوية القضية وطبيعتها ، والمغاير لمشاعر الشعب الفلسطينى الذى عبر دائماً عن عرويته وانتمائه للأمة العربية لحماً ودماءً وفكراً وتاريخاً ومصيراً .. الخ إلى الأوضاع العربية القطرية والاقليمية السائدة ، والتى ازدادت سوءاً بعد هزيمة يونيو / حزيران التى كانت فى تحليلها النهائى ، وأداً وتحطيماً للمشروع القومى العربى النهضوى المعاصر من جانب القوى الامبريالية والصهيونية والقطرية ، وكذلك رغبة النظم العربية القطرية التنصل من واجباتها ومسؤولياتها تجاه القضية الفلسطينية وإلقاءها على عاتق الشعب الفلسطينى وحده ، فكانت شعارات (القرار الوطنى المستقل) واحترام الخصوصية الفلسطينية ، ونحن مع الشعب الفلسطينى ظالماً أو مظلوماً ، ونحن لا نتدخل فى الشؤون الداخلية للشعب الفلسطينى ، ومنظمة التحرير هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، وغير ذلك من المقولات والعبارات والشعارات مجرد أباطيل أريد بها خداع الشعب الفلسطينى ، وجاءت النتائج لتؤكد أنها كانت جناية عليه لا خدمة له . ويدهى أن الحركة الفلسطينية تحالفت منذ نشأتها المبكرة مع التيارات والقوى والنظم المراهقة والمزايدة والطفولية اليسارية والرجعيات القطرية فى مواجهة التيار القومى العام الذى كان يضع القضية الفلسطينية فى موضعها الاستراتيجى الصحيح داخل المشروع الوجدوى النهضوى التحررى . كما استفادت هذه الحركة من محاولات بعض النظم العربية للسيطرة على منظمة التحرير وتسخير القضية برمتها لأغراضه ومصالحه القطرية الخاصة بذرائع ثورية كاذبة ومزاعم بحمل القضايا القومية العربية ، استفادت منها فتح لتؤكد مصداقية طرحها واقعيّاً أو براجماتياً على الأقل فى مواجهة أكاذيب خصومها من النظم العربية .

وكانت قيادة فتح ، وقيادات شقيقاتها (الجبهات الشعبية) لا تلتقى فى نقطة كما تلتقى حول هذه النقطة بالذات ، مما جعلها (عصبية فلسطينية) تلتقى من حولها وتتحد رغم التباينات الهائلة فيما بينها . إلا أن قيادة فتح ممثلة بشخص ياسر عرفات ونهجه ويطانته لها قصب السبق والطأس العلوى والشرف الرفيع فى إنجاز الكثير على هذا الصعيد ، صعيد تعميق القطرية ومكافحة المبادئ القومية والإسلامية التى تعمم الهم الفلسطينى ولم تكن العروبة أو الإسلام تعنى لها سوى وسيلة

خداع أو نفاق للجماهير ، وإذا كانت سياسة هذه القيادة فى الأردن ولبنان ، كافية للتدليل عليها ، فإن هذا الموضوع بالذات يطول الحديث فيه ويحتاج لمؤلفات ومؤلفات .. ولذلك نكتفى هنا بالقفز إلى (سنة الأساس) أى وقت انطلاق عملية التسوية ، عام ١٩٩١ . إذ كانت حصيلة سياسة عرفات العربية قد انتهت إلى مأزق مسدود فالدول العربية بعد أن سلمت للمنظمة بالقرار المستقل ، تخلت عن مسئولياتها وأصبح قيامها بها ، موسمياً أو كرمياً أو تطوعاً غير ملزم . وحين جاءت مواقف عرفات إبان أزمة الخليج ومراهنته على دور العراق ، قاطعته دول الخليج العربى التى كانت تقدم له النصيب الأكبر من المساعدات و (التبرعات) ، وأحدث ذلك أزمة خانقة للمنظمة بعد ثلاث سنوات من الحصار والمقاطعة السياسية والمالية ، والضغط القوي . ومن ناحية أخرى ظلت العلاقات سيئة والثقة مفقودة بين المنظمة وبعض النظم العربية ، مثل سوريا وليبيا ، ولأن لكل من هذه الدول والنظم طوابير ومراكز قوى داخل إطار منظمة التحرير فقد انعكست الأزمة فى شكل صراعات محتدمة داخل الهيكل الفلسطينى ، وصلت إلى أعلى القمة وإلى أقرب الدوائر المحيطة بالرأس .

وفى واقع الأمر ويعبارات دقيقة ، كانت العلاقة بين عرفات ومختلف الدول والأطراف العربية قد بلغت عام ١٩٩٣ ، مرحلة الصراع المفتوح ولم تجد معها توسلات عرفات ومحاولاته قلب الصفحة معها بل كانت لا تخفى مطالبتها بإسقاط عرفات أو حتى إيجاد منظمة تحرير بديلة ومن جانبه ، فقد تفاقمت كراهية عرفات للأطراف العربية وعدائه للعروبة إلى حالة من الرغبة فى الانتقام والثأر وتصفية الحسابات .

ومن هنا ، جاءت عملية الاتفاق والتفاهم مع إسرائيل كوسيلة للإضرار بالمصالح انعزبية؛ ولاستخدام السيف أو الخنجر الأمريكى - الاسرائيلى للضغط على العرب وتهديدهم للقبول به، وفك الحصار عنه ، وإجبارهم على دفع المساعدات له .

انها صيغة أخرى من نهج الرئيس أنور السادات وردود فعله فى لحظة اليأس من كرم الدول العربية تغذيتها فى الحالتين ، أفكار ومشاعر قطرية معادية للعروبة عميقة فى الوجدان والوعى الذاتيين .

ولا يمكن إنكار الرغبة فى الثأر من دمشق والنظام السورى بعد كل الضربات التى وجهها هذا النظام له فى العقدين السابقين ، ومحاولاته الدؤوبة للسيطرة على منظمة التحرير أو خلق بديل لها يرتهن له . لا يمكن عزل هذا البعد عن قرار عرفات تجاوز سوريا فى المفاوضات والتفاهم مع إسرائيل على خلق نموذج لمبادئ السلام سيفرض لاحقاً على دمشق فرضاً !

٢ - الاتجاه المتصهين داخل التيار القطري الفلسطيني :

بعد أن توطدت (الهوية الفلسطينية) كنقيض (للهوية العربية) وكثرت التنظيرات السياسية والأدبية حول (العصبة الفلسطينية، والوطنية الفلسطينية والمصالح الفلسطينية الخاصة) من ناحية، وحول مقولة (الاخوة الأعداء) إشارة للعرب بعد التجارب المريرة التي سببتها نظم وقوى لا تقل قطرية وعداء للعروبة عن منظمة التحرير، من ناحية ثانية، ظهرت مقولات وطروحات كثيرة تشبه المقولات اليهودية التي عبرت عن مشاعر العنصرية تجاه (الأخر)، كاعتبار أى انتقاد لسياسة منظمة التحرير أو أى معارضة لها بمثابة عداء للشعب الفلسطيني على طريقة (العداء للسامية) عند اليهود.

وقد برز عدد من كبار الكتاب الفلسطينيين، أمثال محمود درويش وامليل حبيبى وإلى حدما توفيق زياد، (وجميعهم شيوعيون سابقاً أمريكيون لاحقاً) نظروا لفكرة أن المأساة الفلسطينية، سببها (العرب) أولاً وأخيراً، وأن العرب، استعمروا القضية الفلسطينية واستغلوا ونكلوا بالشعب الفلسطيني واضطهدوه وان خلاص هذا الشعب يكمن فى الابتعاد عن العرب، أو ابتعاد العرب عنه وتركه يتصرف ويقرر مصيره بنفسه كما يريد. حتى أن (العدو) الاسرائيلى صار فى مرتبة تالية (للعو) وأكثر رحمة من هذا.

وفى طور آخر من أطوار تفاقم هذه الحالة المرضية، بدأ الحديث يكثُر عن عوامل التفوق الفلسطيني على المحيط العربى، مثله مثل الحديث اليهودى عن التفوق على العرب. وكان من الطبيعى أن يجد أصحاب هذه الفكرة (الخارقة) فى اليهود واسرائيل عنصراً مكافئاً لهم. أى أن الفلسطينيين واليهود يشكلون وحدة حال ومستوى متفوقاً على جيرانهم العرب.

وفت أفكار وطروحات التعايش مع اليهود واسرائيل وإمكان الوصول إلى تسوية سلمية بين الفلسطينيين والاسرائيليين إلى مقولة جديدة مفادها وجود عناصر وعوامل تشابه ومصالح مشتركة بين الطرفين، بمقابل عناصر وعوامل اختلاف ومصالح متباينة بين الطرفين من ناحية، والعرب من ناحية أخرى.

وكان نمو هذه الأفكار والفئات السقيمة يجد فى مناخ منظمة التحرير البيئة الصالحة ويجد فى القيادة العرفاتية كل التشجيع والمساندة والدعم. وقد تكرر هذا النهج فى الأدبيات السياسية والإعلامية التى تشرف عليها المنظمة والقيادة العرفاتية حتى أضحت طاغياً وعالى النبرة فى الأعوام الأخيرة. أنه نهج يمكن تسميته بالميل الأنثحائى نحو اليهود والصهاينة داخل تيار القطرية أو العصبة الفلسطينية. أنه النهج أو التيار الذى ولد فى مناخ الاستسلام للعدو الصهيونى - اليهودى الحقيقى لا فى مناخ المقاومة والعداء. ذلك أن التيار المقاوم والمكافح الذى قتل الانتفاضة اليوم هو

تيار اسلامى وعربى مائة فى المائة وله جذور عميقة فى المجتمع الفلسطينى ويرفض أى تميع للقضية أو تزيف لحقيقة العدو الاسرائيلى وحتمية الصراع معه حتى القضاء عليه وعلى افرازاته وامتداداته .
لقد صحت النظرية القائلة إن الشعب الذى يواجه عدواً لفترة طويلة يتأثر به ، ويكتسب بعض خصائصه وتقاليد . ويظهر ما بين ظهرائه من يتطبع به ويستبدل العلاقة الضدية بعلاقة حميمة وعاطفية معه منشؤها مرضى ، مثل اعجاب الضحية بجلادها !

لقد كان لهذا الجناح اليهودى المتصهين داخل التيار الفلسطينى الإقليمى ، أثره الدائم وتأثيره فى الوصول إلى مفاوضات أوسلو والصفقة التى عقدها الجانبان ، وهى صفقة تحققت أصلاً على أساس من مفهوم وجود مصلحة إسرائيلية - فلسطينية مشتركة ، بمقابل وجود مصلحة متباينة مع العرب ! ولولا وجود هذا المفهوم لما أمكن إبرام الصفقة .

٣ - الروح والقيم الماركنتيلية

الذين عاينوا ولامسوا التجربة الفلسطينية منذ بدايتها فى أواخر الستينيات يعلمون جيداً أن ثلاثة أجنحة أو مراكز قوى أو فئات تنافست على صناعة القرارات والاتجاهات السياسية لمنظمة التحرير .

أولها : جناح أو تيار المثقفين والسياسيين.

وثانيها : جناح أو تيار المقاتلين ، والكوادر العسكرية .

وثالثها : جناح أو تيار رجال المال والأعمال ، والمنتشرون فى دول الخليج والدول الأوروبية والأمريكية .

وفى العقدين الأولين كانت الغلبة متبادلة أو شراكة بين التيارين الأول والثانى ، أما التيار الثالث ، فلم يكن له نفوذ ظاهر فى البداية ، على رغم أن المجموعة الأولى التى شكلت فتح ، وعلى رأسها عرفات مدينة ، ومنتمية لهذه الفئة بالتحديد ، وكانت التبرعات والأموال منذ البداية مصدرها هذه الفئة . غير أن هذه الفئة نفسها تغيرت قيمها ومفاهيمها وتضخمت مصالحها بعد السبعينيات . وتوطدت علاقاتها وارتباطاتها بالدول والحكومات والطبقات الرأسمالية والطفيلية فى دول الخليج ، والوطن العربى ونما نفوذها فى داخل منظمة التحرير تبعاً لنمو حجم ثرواتها ومساحاتها فى موارد المنظمة ، وتبعاً لتضخم نفوذ دول الخليج فى المنظمة أيضاً وفى السياسة العربية بعامه .

وفى العقدين الأخيرين ، برز دور الفئات الفلسطينية الرأسمالية أو التى كونت ثروات فى الدول الأوروبية وأمريكا وكندا وتمكنت من الحصول على جنسيات تلك الدول وأقامت شبكات وعلاقات

ومصالح مع الشركات التجارية والبتروولية والمقاولات والمصارف فى الغرب والتي لها مصالح وأعمال فى الدول العربية (مثل الصباغ، الخورى ، الغصينى ، شومان ... الخ) وتزايد نفوذ هذه الفئة فى المنظمة ، وفى حلقة القيادة العليا ، واستطاعت بشكل خاص ، فتح قنوات اتصال بين مؤسسات حكومية وشبه حكومية فى الدول الغربية وقيادة المنظمة ، وخلقت تياراً يطالب بالوصول إلى أى حل سلمى وسياسى للصراع مع اسرائيل والاعتراف بواقع الدول العربية ، والارتباط بالسياسة الأمريكية ، وبالمصالح الامبريالية فى المنطقة مقابل الاعتراف بها .

وقد قادت هذه الفئة (مفاوضات واتصالات سرية) بين أمريكا وبريطانيا وقيادة المنظمة اتخذت أحياناً شكل الحوار وأحياناً أخرى شكل البريد لنقل الشروط .. وكان من نتائج ذلك مثلاً اعلان قيادة المنظمة عام ١٩٨٨ القبول بقرار مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ كصيغة من صيغ الاعتراف باسرائيل وهو شرط أمريكى . وسياسة نبذ العنف ووقف الكفاح المسلح . التى بدأت عملياً منذ منتصف الثمانينيات . وأصبحت نهجاً ثابتاً منذ ١٩٨٨ .

ومع انتشار قيم الطبقات الطفيلية والرأسمالية فى المجتمعات العربية ، وقيم (البيزنس) والاستهلاك والبحث عن الثروة والهجرة إلى مواقع المال فى الخليج وأمريكا ، مقابل القيم الوطنية والارتباط بالأرض والكفاح ، انتشرت فى الساحة الفلسطينية فى الخارج أخلاقيات ومثل وتقاليد هذه الفئات المنسلخة عن جذورها وانتماءاتها ، وفى طليعة هذه الأخلاقيات والمثل ، التخلي عن النضال ومعانيه ، والبحث عن أى تسوية مع اسرائيل والتطلع إلى اقامة علاقة شراكة عضوية مع المصالح الأمريكية الاقتصادية فى الشرق الأوسط .

والواقع ان هذا التيار أو الفئة وهذه الأفكار والمبادئ هى التى أوصلت منظمة التحرير إلى اوسلو وهى التى صاغت المقدمات السياسية والايديولوجية لاتفاق المبادئ الموقع فى العاصمة النرويجية وهى التى أدت إلى المصالحة (التاريخية) فى واشنطن وبرعاية هذه .

لقد كانت هذه الفئة هى التى تغلبت على تيار المقاتلين والفدائيين والعسكريين ، وكذا علي تيار المثقفين والسياسيين الوطنيين الملتزمين بمبادئ وقيم المرحلة الأولى ، وقيم الميثاق الوطنى، وقيم الأحزاب الايديولوجية القومية واليسارية والإسلامية التى خرج منها قادة التجربة وأسسوا المنظمة فى نهاية الستينيات . والاتفاقات مع اسرائيل تعكس غلبة هذه الفئة الطفيلية وسيطرتها على عقلية ومؤسسات منظمة التحرير منذ عام ١٩٨٨ . وقد صار معروفاً الآن أن السيد أحمد قريع (أبو علاء) لعب أهم دور فى مفاوضات اوسلو ، كما بات معلوماً أن الملاحق والأبعاد الاقتصادية هى أهم مافى الاتفاقات بين المنظمة واسرائيل . وكل ما يقال عن بروز دور الوسيط الفلسطينى بين المصالح

الأمريكية والأسواق أو المصالح الخليجية والعربية ، يمكن أن يقال أيضاً عن بروز هذا الدور الوسيط بين الكيان الفلسطيني والأطماع الاسرائيلية فى الساحة العربية . حتى أن الاتفاق المذكور لم يوضع ولم ينفذ على الأرض إلا وكان عرابو منظمة التحرير من التجار والسماسرة والمقاولين ، قد بدأوا العمل والحركة بنشاط وحبوية لتسويق مقولات التعاون بين اسرائيل وجيرانها ، وترويج الخيرات والفوائد التى ستجنيها المنطقة من الصلح الاسرائيلى - الفلسطينى - العربى ، ودور الكيان الفلسطينى فى هذه المعادلة حتى بلغ الحد ببعضهم مطالبة العرب برفع المقاطعة عن اسرائيل والشركات الأمريكية والغربية التى تتعامل معها ١

انها الماركنتيلية الفلسطينية . . وهى طبعاً ماركنتيلية زائفة وعميلة ووسيلة للمصالح اليهودية - الأمريكية - الأوروبية أولاً وأخيراً . وهى معادية لمصالح الشعب الفلسطينى بداية ونهاية . (٧)

٤ - أى شئ أفضل من لا شئ :

الأزمات البنيوية والجوهرية التى تراكت واستفحلت فى صلب منظمة التحرير وهياكلها وكذلك فى سياساتها واساليبها الكفاحية وأدواتها ، تحولت إلى إفلاس نظرى وعملى فى مطلع التسعينيات وهو أمر طبيعى على ضوء ، تجربتها ومسيرتها ، إذ لا يمكن توقع انتصارها على اسرائيل والصهيونية ، ومن خلفهما الدول الغربية والامبريالية التى ظلت وستظل تدعم اسرائيل ضد العرب ، مهما أبدى هؤلاء من الايجابية تجاهها أو تجاه الغرب عموماً . ذلك أن الصراع المصيرى مع (عدو) بهذا الحجم يتطلب حشد وتعبئة امكانات الأمة العربية والعالم الإسلامى كافة والاستمرار فى المقاومة والجهد جيلاً بعد جيل وعلى كافة المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية .. الخ بلا ملل ولا وهن .

والواقع أن الإحساس بالإخفاق والفشل والوصول إلى طريق مسدود ، إضافة إلى الاضطرابات وانفجار الصراعات والتناقضات داخل بنية المنظمة فى عام ١٩٩٢ كانت قد وصلت إلى كل خلية من خلاياها ، الأمر الذى دفع كثيرين من الانتهازيين والمقرين من القيادة إلى القفز خارج المركب هرباً من الفرق والمصير المأساوى الذى بات ينتظر جميع ركبها . وبدأ تبادل الاتهامات والتهرب من المسؤولية ، يشمل حتى أوثق الشلل والمجموعات الصغيرة إضافة لعمليات هجرة جماعية إلى دول كندا وأمريكا واستراليا ، وكذلك شيوع الفضائح والفساد والسرقات التى عبرت عن احباط عميق واحساس بدنو الأجل وغياب الأمل الجماعى ، فضلاً عن تكرر عمليات المحسوبة والامتيازات الخاصة للموالين ، والمحاربة بلقمة الخبز للمعارضين لخط القيادة أو الرافضين لإبداء الولاء والطاعة لها.

وفى حين كانت القيادة الفلسطينية فى الماضى ، تعالج مثل هذه الأزمات بالوسائل المالية ، أى بالرشاوى المباشرة أو غير المباشرة ، فإن الأزمة المالية التى ضربت المنظمة بعد أزمة الخليج قد أدت إلى تعطل فعالية هذا السلاح ، وارتفاع أصوات النقد والولوم حتى من تلك الطبقة البيروقراطية داخل المكاتب والمؤسسات والسفارات وجيش المتفرغين العاطل عن العمل إضافة للعسكريين الموزعين فى قواعد بين جبال اليمن وغابات السودان وصحراء الجزائر . فضلاً عن أعداد لا تحصى فى المخيمات وسائر المدن فى أربع جهات الأرض كانت تتلقى ممتلكات بالدولار لقاء ارتباطها بالمنظمة أو مولاتها لحظها فقط .

وحيال هذا الإفلاس التام ، النظرى والسياسى والنضالى ثم المالى فقد كانت القيادة بحاجة ماسة إلى أى حل .. إلى أى شئ ينقذها من المصير الذى ينتظرها .

وتختلف التحليلات هنا لأحداث وعوامل كثيره فى المشهد الفلسطينى والعربى ، غير أنه لا يستبعد أن يكون الحصار المالى الذى ضرب على المنظمة كحقوبة لها على موقفها المؤيد للعراق فى أثناء أزمة الخليج مجرد ذريعة أريد بها تحطيم المنظمة نهائياً بعد أن تم إضعافها وعزلها وتجريدها من أسلحتها واحداً بعد الآخر ، وربما تم ذلك بتوجيه من واشنطن . غير أن المهم فى هذا السياق هو أن تلك الأزمة أدت إلى النتيجة النهائية المعروفة . ولاشك فى أن إسرائيل وأمريكا كانتا تتابعان وتراقبان تطور الأوضاع فى الساحة الفلسطينية وداخل المنظمة ، وأنهما قررتا فى هذه اللحظة بالذات التقدم لانتشال عرفات وقيادته من المصير المحنوم ، فقدمتا له اتفاق اوسلو طوق نجاحه يتعلق به .

المهم أن عرفات ومجموعته فاوضا إسرائيل فى اوسلو انطلاقاً من (قاعدة أى شئ أحسن من لا شئ) ، وبإحساس قاتل بالفشل والإحباط . وباستتراف ضمنى أنه لا بديل آخر بعد أن تخلت المنظمة شيئاً فشيئاً عن أسلحتها وأوراقها وخياراتها ، بل عن مبادئها بلا أى مقابل سوى وعود سرابية.

لقد كان الشعور بالهزيمة حتى العظم طاغياً على قادة منظمة التحرير ، ولا يماثل سوى شعورها بأن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت قوة لا تقهر وقدرها عالمياً لا يرد ، وأن الرهان الرابع ينحصر فى التحالف معها وكسب أى موقع فى نطاق حلفائها وعملائها . حتى أن المثل الذى يقيس به قادة المنظمة مستقبل كيانهم ودوره فى المنطقة . هو المثال الاسرائيلى ، كقاعدة متقدمة للمصالح الامبريالية الأمريكية. وبعضهم تداعب خياله أحلام إمكان جعل الكيان الفلسطينى منافساً لإسرائيل فى الشرق الأوسط .

وبعض رواد هذا التوجه ، يتحدث بواقعية أكثر ، وتواضع أشد معترفون بأن الظروف أملت عليهم التنازل عن معظم الأهداف الاستراتيجية للنضال الفلسطينى سعياً للحفاظ على الذات المهددة

بالاضمحلال والتلاشى . ورغم أن تركيب المعادلة على هذا النحو ، ينطوى على مغالطة لأن (الذات) الفلسطينية لم تكن مهددة إلى هذا الحد ، وحتى لو سلمنا بالمنطق المغلوط فإننا نستعير هنا عبارة هانى الحسن ، القيادى الفلسطينى المعروف ، بأن إضاعة الهدف أو التنازل عنه لا يحقق حفظ الذات ، لأنه انتحار . (٨)

تكييف الاستسلام :

على أى حال ، فما جرى فى اوسلو لم يكن (مفاوضات) حتى بالمعايير القانونية الدولية . ذلك أن المفاوضات حسب هذه المعايير تبدأ من نقطة أساسية هى الاتفاق على هدف محدد ، أولاً ، ثم تجرى المباحثات حول وسائل وآليات الوصول إليه ، وتنفيذه من الجانبين . بينما كان ما جرى بين ممثلى منظمة التحرير واسرائيل ، لا ينطلق من أى قاعدة أو مرجعية ، ولا وجود لأى نقطة مركزية أو هدف معين ، بل كان هناك عملية تكييف لاستسلام الجانب الفلسطينى أمام الجانب الاسرائيلى .

قبل الجانب الفلسطينى باستبعاد قرارات الأمم المتحدة ومبادئ الشرعية الدولية وهى السلاح القانونى القوى الوحيد ، والمرجع الشرعى الدولى الوحيد الذى يحفظ الحق الفلسطينى ، ويبقى الاحتلال مهما طال غير شرعى ، وعليه لم يتم من الاتفاق الذى أسفرت عنه المباحثات التفاوضية سوى إشارة لقرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، بينما أغفلت أى إشارة لعشرات القرارات ذات الصلة الأقوى بالمشكلة الفلسطينية من هذين القرارين . وحتى الإشارة لهذين جاءت مبهمه لم تحسم الخلاف بين التفسيرين العربى والاسرائيلى ، ولم تقصد أو تحدد انهما منطق العملية التفاوضية ، بل كونهما « هدف » هذه العملية .

وقبل الجانب الفلسطينى أيضا ، تدعيماً للتنازل السابق ، التنازل عن كل الفقرات والمواد التى تصف اسرائيل بأنها احتلال أو اغتصاب أو دولة قامت بالقوة على أرض فلسطين ، والتى تضمنتها مواد الميثاق الوطنى الفلسطينى الذى يعتبر قاعدة الاجماع الفلسطينى والأساس الذى تكونت عليه منظمة التحرير الفلسطينية فى القدس عام ١٩٦٤ . أى أن هذا الميثاق هو الذى أوجد المنظمة لا العكس ، فكيف يمكن للفرع أن ينسف الأصل الذى قام عليه ؟

(المواد التى تم إلغاؤها : ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٣)

تحجيب بيان نويهض الحوت على هذا السؤال قائلة أن عرفات قام بأغرب إنقلاب فى التاريخ، أنه ليس انقلاب جيش على سلطة ، ولا انقلاب حزب ولا انقلاب تيار على حزب أو تيار .. بل انقلاب القيادة على الميثاق الذى أوجدها وترى الكاتبة والمؤرخة المعروفة أن الشرعية الفلسطينية هنا

تتساقط (٩)

أما رئيس لجنة الشؤون والعلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني خالد الحسن ، فهو يؤكد أن تصرف عرفات في هذا الصدد باطل من أساسه بناء على النصوص والمواثيق التي تحكم مختلف هيئات ومؤسسات منظمة التحرير ، إذ لا يوجد ما يخول القيادة تغيير الاستراتيجية الأساسية للمنظمة إلا بالعودة إلى المجلس الوطني الذي تستمد منه شرعيتها وصلاحياتها . فهناك فرق بين حرية التصرف بالتكتيك في المسائل الفرعية ، وبين التصرف بالأسس التي أصبح القائد بموجبها قائداً أو استشهد من استشهد على هديها . (١٠)

والجدير بالذكر أن عملية اوسلو جرت بين خبراء من جهاز المخابرات الاسرائيلية والموساد على قدر رفيع من الخبرة والحكمة بتفاصيل الموضوع الفلسطيني السياسي والقانوني ، من جانب ، ومجموعة من المستشارين والمساعدین الشخصيين لياسر عرفات تنقصه الخبرة والدراسة والعلم بالمسائل القانونية والصياغة . وقد عكست النصوص هذا البون الواسع بين مستوى كل منهما . إذ جاءت متخمة بالفراغات والثغرات والألغام التي وضعت عن سابق عمد وقصد بهدف تفجيرها واثارتها في المرحلة التالية للتوقيع وخلال التنفيذ وبغرض استغلالها من الجانب الاسرائيلي وتفسيرها حسبما توافق مصلحته . وقيل أن مفاوضي الجانب الفلسطيني كانوا خلال الجلسات يتحدثون بلغة قانونية ومعلومات محددة وعبارات مدروسة ومعدة سلفاً ، وبينما ذهب الوفد الاسرائيلي مسلحاً بالوثائق والدراسات والخرائط ، كان الجانب الفلسطيني يفتقر إلى أي من هذه الوثائق والخرائط حتى أن مدينة أريحا التي شملها الاتفاق ، أثارت أثناء التنفيذ مشكلة حقيقية حول المقصود بـ (أريحا) في الاتفاق أي التي ستسحب منها اسرائيل وتسلمها لسلطة الحكم الذاتي ، هل هي (مدينة) أريحا أم (اقليم أريحا) أم منطقة أريحا ؟؟ والفروق الجغرافية هائلة بين كل عبارة من العبارات الثلاث إذ تبلغ مساحة منطقة أريحا أكثر من ٣٧٠ كم ٢ ، بينما لا تزيد مساحة مدينة أريحا عن ٢٥ كيلو متراً . (١١) وعندما اشتدت المنازعات حول هذه المسألة أثناء التنفيذ تبين أن الجانب الفلسطيني لا يملك أي خريطة قديمة أو حديثة لأريحا الاقليم أو المدينة بينما في حوزة الجانب الاسرائيلي خرائط عديدة حديثة وقديمة يعود بعضها إلى عهد الادارة العثمانية .

ومعلوم أن الجانب الفلسطيني اضطر للاستعانة بالأجهزة المصرية والخبراء المصريين أثناء مفاوضات تطبيق اتفاق غزة - أريحا أولاً ، لتعويض العجز في أساليب التفاوض ، والنقص في الخبرة .

ومن الواضح أن الجانب الاسرائيلي (تساهل لفظياً) في أثناء إعداد نصوص الاتفاق في اوسلو ، لكي يمرره ويدفع الجانب الفلسطيني في الشرك ومالئث أن تحول إلى التشدد أثناء عملية تطبيق

الاتفاق ، حتى أنه تأخر نحو ستة أشهر عن الموعد المضروب لتنفيذه فى البداية (وهو ١٣ كانون الأول ديسمبر ١٩٩٣) . خصوصاً أنه يمسك كما رأينا بزمam الأمور كافة بما فيها تفسير النصوص ، وتحديد المعانى والالتزامات . وكانت عملية التأخير مقصودة لذاتها ، لأنها فترة اختبار لجدية الجانب الآخر فى الالتزام والتنفيذ وقدرته على فرض الاتفاق على القواعد الفلسطينية الشعبية والسياسية ، وغير ذلك . ولم يبدأ الجانب الاسرائيلى فى أى خطوة على طريق التنفيذ إلا بعد أن تأكد من ثبات قيادة المنظمة على الطريق الذى رسمته النصوص . ومنها على سبيل المثال إقدام عرفات على (تهذبة) الانتفاضة نسبياً فى البداية وإعطائه تعليمات واضحة لتخفيف العمليات العسكرية والفدائية التى تقوم بها مجموعات الانتفاضة فى الداخل بدون العودة المسبقة إلى القيادة فى الخارج ، ومن ضمن ذلك ، إدانة عرفات لقتل مستوطن يهودى فى شهر تشرين الثانى / نوفمبر على يد فلسطينى فى الضفة الغربية .

لقد أثارت (مفاوضات) أوسلو والاتفاقات التى نتجت عنها لغطاً وجدلاً بين الخبراء القانونيين ، إذ أكد عدد منهم أن هذه الاتفاقات غير شرعية لأنها تتناقض مع مبادئ القانون والشرعية الدولية إذ لا يجوز لأى جهة حتى ولو كانت ممثلة للشعب المعنى بصفة شرعية ، التنازل عن حقوقه الوطنية الثابتة وغير القابلة للتصرف والتى كفلتها له المواثيق الدولية كافة. لأن هذه الحقوق تتجاوز أى تفويض حصلت عليه القيادة أو المنظمة الممثلة للشعب^(١٢) . إلا أن اتفاقات اوسلو فرضت فرضاً (مبدئياً) على الشعب الفلسطينى وعلى الأمة العربية والإسلامية بدون استشارة الشعب الفلسطينى نفسه ، بينما يصر راين رئيس حكومة اسرائيل ان انسحاب قواته من أراضى الجولان السورية المحتلة يتطلب استفتاء لعموم (شعب) اسرائيل قبل الإقدام على أى اتفاق بشأنه مع سوريا ، ويسمى الاسرائيليون والأمريكيون هذا (ديمقراطية) كما أن دعمهم لخروج ياسر عرفات عن أبسط مبادئ الديمقراطية فى إقرار الاتفاقات والمصالحة مع اسرائيل والتنازل عن أقدس المقدسات الوطنية لشعبه وأمتة يعتبرونه جزءاً من مسلسل التغييرات الديمقراطية والايجابية فى العالم ، بينما كانوا يعتبرون عرفات نفسه أخطر الارهابيين فى العالم حين كان يمثل مصالح شعبه ويمارس الكفاح الوطنى المشروع دولياً ضد الاحتلال الاسرائيلى !!

الواقع أن اتفاق اوسلو ، اتفاق مفروض ، اتفاق اذعان على الفلسطينيين والعرب ، بدليل أن جبروت القوة الأمريكية وضع من خلفه بمجرد الاعلان عنه لحمايته من أى معارضة عربية أو رفض فعلى له فى الساحة الفلسطينية ولم يعد سراً أن واشنطن حذرت العواصم والأطراف العربية بأقوى العبارات من نتائج اقدامها على معارضة الاتفاق وأفهمتها بوضوح أنه ستحميه وأنها لن تقبل أن يحاصر كما حوصرت معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩ بل وطالبتها بأن تدعم تطبيقه وتنفيذه ، ولذلك

جاءت ردود الفعل العربية ، إما بانسة وخائفة ومتردة واكتفت بالتنديد بخيانة عرفات لقطياً ، وإما مؤيدة ومعلنة عن استعدادها للمشاركة فى التمويل مثل دول الخليج العربى .

لقد كرر الأمريكيون والغربيون بصفة عامة ، التأكيد على مبادئهم ومعاييرهم فى التعامل مع الزعماء والقادة العرب والمسلمين ، فمن يخدم مصالحهم يصبح زعيماً ايجابياً ومثالياً وحكيماً وتنهال عليه الأوسمة والجوائز وأكاليل الغار ، حتى ولو كان مرفوضاً من قبل شعبه بالكامل ، ومن يتجرأ على مقاومة الهيمنة والغطرسة الاستعمارية وسياسة النهب والتهديد ، والابتزاز يسمى ارهابياً ومتطرفاً وخطراً معادياً للسلام العالمى ، وتكثر المخططات والمؤامرات للتخلص منه أو معاقبته وتحطيمه حتى ولو كان يحظى بتأييد غالبية شعبه وأمتة.

أو ليس مشيراً للسخرية والألم فى آن أن يصبح عرفات نموذجاً لرجل السلام فى العالم وقيم التحضر والديمقراطية بعد أن كان بالأمس القريب ارهابياً ومجرماً وذلك فى الوقت الذى فقد قاعدته الاجتماعية والوطنية بين شعبه ، وخان طموحات ومقدسات أمتة ، وغدا يستمد قوته واستمراريته من دعم الدول الغربية واسرائيل فقط ؟؟

انه عين ماحدث مع أنور السادات وشاه ايران ، ونورى السعيد ، بمقابل ما حدث لجمال عبد الناصر ومحمد مصدق أو النجمنى أو أحمد بن بله أو معمر القذافى أو سوكارنو أو لومومبا... الخ .

لقد أصاب خالد الحسن وأجاد حين وصف (عظمة) اتفاق اوسلو وإيجابيته ورصيده العالمى الذى تكون له بسرعة بأنها لا تنبع من قيمته الحقيقية أو من محتواه أو من مساهمته الفعلية فى إحقاق الحقوق وإنصاف الشعب الفلسطينى ، وتوفير الأمن والسلام للعالم وللشرق الأوسط، ولكن تنبع من عبقرية وسائل الاعلام الحديثة وسطوتها . انه اتفاق تلفزيونى بقيادة C.N.N وبراعة اساليب العلاقات العامة الأمريكية التى أوصلت الرئيس بيل كلينتون إلى البيت الأبيض . (١٣)

الدوافع الاسرائيلية

بمقابل تلك العوامل والخلفيات الفلسطينية ، ثمة عوامل وخلفيات وهواجس دفعت الجانب الاسرائيلى إلى الوصول إلى (اتفاق) مع العدو اللدود الذى طالما أنكره الصهاينة ورفضوا الإشارة إلى وجوده ، خصوصاً أن اعترافهم بهذا العدو الذى كان يعنى للمفكرين الصهاينة نفياً مطلقاً لحقهم فى استيطان فلسطين واقامة اسرائيل عليها ، تجسد فى (منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها) بكل ماكانت تحتله فى الوعى الصهيونى ، من مكانة عدائية وصفات ارهابية ، وتثيره من مشاعر الحقد والكراهية ، بل أن رئيس الحكومة الاسرائيلية الذى أعطى الضوء لمفاوضات اوسلو ، لم يتردد

حتى بعد التوصل إلى الاتفاق من التأكيد أنه لا زال يشعر بنفس الكراهية لقيادة المنظمة وأنه يشعر بالغشيان كلما فكر بها !! ولكنه أضاف مبرراً خطوته الدراماتيكية بأنه لا بديل آخر عن (المنظمة) لعملية التفاوض وإن الرهان على ممثلي الفلسطينيين في الأرض (المحتلة) سقط بعد أن تمكن عرفات من (خصي) قيادة الداخل - والعبارة لرابين نفسه . (١٤)

اذن ما هي العوامل والخلفيات (الخاصة) التي اضطرت رابين لمده يده لمن يحس بالغشيان تجاههم ويزدريهم إلى ذلك الحد ١٤٤

لقد عرضنا في بداية البحث العوامل الموضوعية والتغييرات الخارجية على الساحة الدولية والاقليمية التي حكمت اقتراب اسرائيل من التسوية السياسية أو السلمية الراهنة . ونضيف إليها هنا أهم الخصوصيات والعوامل الداخلية ، وفي مقدمتها أن حزب العمل الاسرائيلي ربط مصيره في الساحة الاسرائيلية بمشروع التسوية السلمية لا للمشكلة الفلسطينية فقط بل للصراع مع العرب بكل أبعاده ، وتحقيق انتفاخ على (الجيران) بعد اجراء المصالحة والحصول على اعتراف ، يؤدي إلى تعزيز مكانة واستقرار الدولة اليهودية ، ويوفر للمستقبل وعود الرفاهية والرخاء والطمأنينة ، والواقع أن رفض العرب الدائم لرؤية الشقاكات والانقسامات في الصف اليهودي أو الصهيوني أو الاسرائيلي ، على حقيقتها ، يمنعهم من رؤية تفاصيل ومعطيات غاية في الأهمية في طبيعة العدو وبنيتة الداخلية. فالانقسام بين الاسرائيليين حقيقة لا يمكن اغفالها ، وعلى الأقل يمكن الحديث عن انقسام بين اليهود المتدينين واليمينيين الذين يقودهم ويمثلهم تكتل الليكود ، واليهود العلمانيين والليبراليين الذين يقودهم ويمثلهم التكتل العمالي اليساري . ومعروف أن التيار الثاني هو الذي تسلم السلطة منذ قيام الدولة حتى عام ١٩٧٧ ، وهو الذي وسع حدودها إلى ما هي عليه اليوم ، بل أن قادة الحروب التي حققت هذا التوسع (سيما حرب ١٩٦٧) يشكلون الجيل السياسي الذي يقود حزب العمل منذ بداية السبعينيات. وقد خسر اليسار الحكم أمام الليكود عام ١٩٧٧ ، وظل في المعارضة حتى عام ١٩٩٢ ، مع مشاركة جزئية في منتصف الثمانينيات في حكومة ائتلافية مع اليمين لم تحقق له عودة مظفرة للحكم . والحقيقة الواضحة أن مفاهيم متباينة كثيراً حيال مسائل داخلية وخارجية تتعلق بأعدائهم الفلسطينيين والعرب ، وسبل تحقيق أمانى وطموحات الشعب اليهودي . وبينما يرفض اليمين الديني أى اعتراف بالشعب الفلسطيني وأى تسوية مع العرب إذا كانت تتطلب منهم التنازل عن أى شبر من الأرض ، وينظر إلى الغد نظرة توراتية وعنصرية وتوسعية ويعتمد الوسائل العسكرية لتحقيق الأمن وفرض الاستقرار ، فإن اليسار العلماني ، اختط استراتيجية مختلفة منذ احتلال الأراضي العربية عام ١٩٦٧ ، إذ تبنى - بصورة تدريجية ، فكرة التسوية السياسية القائمة على اعتراف العرب باسرائيل ، وفكرة اندماج الدولة اليهودية بمحيطها ، والمشاركة في هموم

ومصالح المنطقة من موقع القوة والغلبة ، وكذلك تبني فكرة الاعتراف بالسكان الفلسطينيين، وباقامة كيان يتمتع بحكم ذاتي محدود تحت سلطة واشراف اسرائيل .

فى أواخر الثمانينيات ، بدأ أن التحولات الدولية والاقليمية تصب فى خدمة الليكود ، اذ ادى شلال الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتى إلى تعزيز رصيده الاجتماعى ، وضعف العرب بعد حرب الخليج أدى إلى تشجيع فكرة عدم تقديم أى تنازل لهم واستخدام القوة لإجبارهم على الرضوخ لاسرائيل ، ولم يبق أمام حزب العمل سوى المراهنة الكاملة على مشروع التسوية ، والتجارب مع المحاجات الأمريكية لإقامة استقرار فى الشرق الأوسط وعلاقات جديدة بين دوله .

وقد استطاع العمل تحقيق فوز جزئى على حساب الليكود فى انتخابات ١٩٩٢ بعدما رمت الولايات المتحدة بثقلها خلفه ، ولكنه فشل فى الحصول على أغلبية مريحة تمكنه من الحكم ، فاضطر للاستناد على بعض الأحزاب الصغيرة ، بما فيها أصوات العرب . وحاول حزب العمل بعد تشكيل الحكومة برئاسة اسحاق رابين الاستمرار فى استخدام بعض تكتيكات ووسائل وأساليب الليكود إلى جانب تطبيق برنامجه السلمى لكى يحصل على دعم اليمين المتدين إضافة ، إلى اليسار ، ففشل ، وكان عليه أن يحسم خياراته بشكل جذرى وقاطع ، سيما وأن (شخصية) رابين تميل إلى الرضوخ والمباشرة نتيجة لتكوينه العسكرى . وعلى الأخص أن رابين كان أول من طبق سياسة (العصا والغلظة وتكسير الأيدي) لضرب الانتفاضة وقمعها عندما كان وزيراً للدفاع عام ١٩٨٨ ، وانتهت إلى الفشل فى الوصول إلى أهدافها ، كما فشلت كل الأساليب الأخرى فى قمع الكفاح الفلسطينى فى الداخل والخارج ، وفرض الاعتراف بإسرائيل والسلام معها على العرب .

لقد كان حزب العمل وحكومته برئاسة رابين مهدين فى منتصف عام ١٩٩٣ بخسارة تفوقهما على الليكود فى الكنيست والسقوط من السلطة ، بعد أن أخذت استفتاءات الرأى العام تظهر عودة الليكود للتقدم على حساب اليسار . وكانت الدبلوماسية الخفية لواشنطن تستحث حكومة رابين على تقديم بعض التنازلات لتحقيق تقدم فى مسارات التفاوض نظراً إلى فشل كل المحاولات للاتفاق على المسائل السياسية الجوهرية وتحقيق تقدم فى المفاوضات المتعددة الأطراف التى تشمل القضايا الإقليمية التى تهم الولايات المتحدة وحليفاتها بصورة مباشرة .

لم يعد هناك من حل آخر أو وسيلة أخرى سوى القبول بالجلوس مع الطرف الفلسطينى ، بصرف النظر عن المشاعر الشخصية أو الاعتبارات العاطفية والعنصرية السابقة . أى مع منظمة التحرير الفلسطينية وبالتحديد مع ياسر عرفات . خصوصاً وأن المنظمة بقيادة عرفات دأبت فى الأعوام الأخيرة وحتى بعد تحول الانتفاضة إلى عامل له وزنه الكبير فى النضال الفلسطينى ومثلت ضغطاً ثقيلاً على

اسرائيل على تقديم الاعتراف باسرائيل بصورة مجانية ومتكررة ، وظل عرفات (يناشد) القادة الاسرائيليين أن يقبلوا لقاءه واعترافه ومفاوضته وبعد أن أعرب للكثير من الوسطاء والدول الغربية عن تخليه عن أساليب المقاومة والعمل الثوري ، والعنف .

والواقع أن الجانب الاسرائيلي عندما استجاب في عام ١٩٩٣ لوساطة وزير الخارجية النرويجية لاجراء مباحثات سرية مباشرة مع رجال عرفات فإنه لم يقدم أى تنازل نوعى أو جوهرى ، حتى أن الكاتب الفلسطينى الحبيب بالشؤون الاسرائيلية (صبرى جريس) يؤكد أن نصوص اتفاق غزة - اريحا أولاً ، كانت مكتوبة ومعدة سلفاً من الجانب الاسرائيلي وأنها لم تأت نتيجة مفاوضات ، بل طرحت منذ بداية اللقاءات على الطاولة وطلب من الجانب الفلسطينى أن يوافق عليها ، وإن المناقشات التالية دارت حول ادخال بعض التعديلات الطفيفة جداً ، والتي لم تغير من طبيعة النصوص (الاسرائيلية أصلاً وفصلاً) وأن معظم الأحاديث دارت حول الضمانات التى تكفل جدية والتزام ومصادقية منظمة التحرير (١١١) فى المستقبل ، لا العكس !! ويعلق جريس على ذلك قائلاً أن من الخطأ اعتبار ما جرى فى أواسط مفاوضات ، بل كان فرض شروط من الجانب الاسرائيلي على طريقة : اقبلوا أو انسحبوا . (١٥)

باختصار ، لقد جاء الاتفاق عندما تقاطعت مصالح حكومة رابين ، وقيادة عرفات . حسب تعبير زعيم تكتل الليكود اليهودى بنيامين نتنياهو . إذ أن مصير حزب العمل صار معلقاً بصورة مشابهة على اعتراف الحكومة الاسرائيلية به ويدوره ويدور المنظمة . (١٦)

لقد تضافرت كل هذه العوامل لتنتج الاتفاق الذى يقوم على اعتراف اسرائيلي واضح بالشعب الفلسطينى ومنظمة التحرير ، من ناحية ، ورضوخ فلسطينى كامل لكل الشروط الاسرائيلية ، وهى شروط لا تتعلق بالماضى والحاضر فقط ولكنها ترتبط وتعلق المستقبل الفلسطينى كله بإرادة الدولة اليهودية وخططها وتطوراتها فى المستقبل ، وتجعل فى (الكين) أو الكيان القزم ، مجرد اقليم داخلى مشلول ، تحت الهيمنة الاسرائيلية الشفافة ، تستخدمه لأغراض التسلل والتغلغل فى الوطن العربى ، والعالم الاسلامى ، وجنى المكاسب المادية الوفيرة وفرض المخططات الامبريالية .

وإذا كان الخلل جسيماً وفادحاً كما هو ملاحظ بين (المكسب) الفلسطينى والمكاسب الاسرائيلية العظيمة ، فإنه يعكس الخلل بين تكافؤ القوى بين الطرفين ، فى أرض الواقع ، وعلى مائدة اللقاءات السرية فى أواسط التى سماها البعض ، فرساي الفلسطينية ، نسبة إلى قصر فرساي الذى فرضت فيه شروط الاستسلام على ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى .



الفصل الثانى

اعلان الجهادى الاسرائيلى الفلسطينى وثيقة استسلام .. أقل من كامب ديفيد

دير شبيغل : لماذا لا تفعل مثل الرئيس
المصرى أنور السادات ؟
ياسر عرفات : لو فعلت فإن فتحى وهو
حارسى الشخصى سيكون أول من
يطلق على الرصاص .
فقرة من مقابلة جرت عام ١٩٧٧

الجزء الأول : الإتفاق فى نظر القانون
الجزء الثانى : الإتفاق أمنياً وعسكرياً
الجزء الثالث : نظرة إقتصادية على الإتفاق
الجزء الرابع : قراءة أدبية وأيدلوجية
الجزء الخامس : الإتفاق - تحليل سياسى

قبل أن نتناول اتفاق المبادئ الفلسطيني - الاسرائيلي بالتحليل المفصل، ربما كان من الواجب التنويه إلى "رسائل" الاعتراف المتبادل بين الجهتين اللتين وقعتا الاتفاق ومثلتا الشعبين، منظمة التحرير الفلسطينية، والحكومة الاسرائيلية . فهما قانونياً ، وثيقتان متممتان للاتفاق، وهما زمنياً سبقتا التوقيع عليه ومهدتا له . ومن الواجب أيضاً التنويه إلى كلمتي رئيس المنظمة والحكومة الاسرائيلية ، "ياسر عرفات" و"اسحاق رابين" في حفل التوقيع في البيت الأبيض بواشنطن .

بعد (المفاوضات) السرية ، انتقل الجانبان إلى مسلسل الخطوات العلنية والرسمية لوضع اتفاقهما موضع التطبيق، ففي التاسع من ايلول/ سبتمبر ١٩٩٣ حمل وزير خارجية الترويج رسالة خطية من رئيس منظمة التحرير الفلسطينية "ياسر عرفات" إلى رئيس الحكومة الاسرائيلية "اسحاق رابين" تضمنت الاعتراف الصريح (بحق دولة اسرائيل في العيش في سلام وأمن) كما تضمنت تعهدات بالتزام (مسيرة السلام في الشرق الأوسط ، وبالمشاركة في إيجاد حل سلمي ينهي النزاع) وكذلك (في التخلي عن الارهاب وأي عمل من أعمال العنف) وفي (تحمل المسؤولية بالنسبة إلى كل عناصر وموظفي منظمة التحرير الفلسطينية) ، وتعددت أيضاً (بتدارك أي انتهاك لهذه التعهدات وباتخاذ اجراءات تأديبية ضد أي مخالف لها) كما أكدت أن جميع المواد الواردة في الميثاق الوطني الفلسطيني (التي تتعارض مع التعهدات الواردة في هذه الرسالة أصبحت عديمة الأثر وغير سارية المفعول).

ومن الملاحظ أن اعتراف المنظمة بدولة اسرائيل، هو اعتراف صريح ونهائي ، أي لا يمكن الرجوع عنه، حسب القوانين الدولية . والأهم أن المنظمة التزمت بأمن اسرائيل وسلامها . وهو التزام غريب قانونياً وسياسياً إذ لا توجد دولة أو منظمة تكبل نفسها بمثل هذا القيد أو الالتزام وهي لن تستطيع الوفاء به وبالمقابل رد "اسحاق رابين" برسالة جوابية مقتضبة على رسالة "عرفات" ، جاء فيها أنه (رداً على رسالتكم .. قررت الحكومة الاسرائيلية الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل للشعب الفلسطيني) وقررت (بدء مفاوضات مع المنظمة في إطار مسيرة السلام)

ويلاحظ أن اعتراف اسرائيل بالمنظمة لم يأت مطلقاً كما هو اعتراف هذه الأخيرة بالدولة العبرية، بل جاء معلقاً ومشروطاً ونتيجة لهذا الاعتراف وما تلاه من التزامات وتعهدات وخلقاً من أي تعهدات مماثلة، مثل أمن الفلسطينيين وسلام (دولتهم) .

لقد وصف وزير خارجية أمريكا السابق "جيمس بيكر" الاعتراف الاسرائيلي بأنه (لطيف) ! وقال

أنه لم يضاف شيئاً جديداً ولم يحصل الدولة اليهودية أى مسؤولية، فكل ما فى الأمر، أنه اعتراف بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطينى وحسب . وبالمقابل قال "بيكر" فى مرة ثانية ، إن الاعتراف الفلسطينى بإسرائيل (حسب نصوص الاتفاق) يجعل أمن إسرائيل وسلامها وظيفية فلسطينية، وما لم تحسن سلطة الحكم الذاتى القيام بهذه الوظيفة خلال الفترة الانتقالية ، وما لم تؤكد قدرتها على الوفاء بها فلا حكم ذاتى ولا سواه، حسب تعبير الوزير الأمريكى المجرّب. (١٧)

لقد بدأ مسلسل السقطات الجسيمة فى رسالة الاعتراف، وكانت الفقرة الثانية فيه ، كلمة الرئيس "عرفات" فى حفل التوقيع على الاتفاق يوم ١٣ أيلول/سبتمبر فى البيت الأبيض إذ اقتضت على التعبير عن أحلام ومشاعر وردية تجاه المستقبل واقتضت إلى أى اشارات واضحة لمعاناة الشعب الفلسطينى وكفاحه الطويل فى سبيل حقوقه المشروعة، وخلت من أى تأكيد على ضرورة استكمال الاتفاق بخطوات تالية كثيرة لتوفير تلك الحقوق واعادتها إلى أصحابها على عكس كلمة "اسحاق رابين" التى تركزت على (ضحايا الشعب اليهودي) فى سبيل استتقرار دولة إسرائيل وسلامها واعتراف جيرانها بها، ورغم أن هؤلاء الضحايا، هم بكل المعايير ضحايا حرب عدوانية وجرائم احتلال، فإن "رابين" امتلك (الوقاحة) أو القدرة الأخلاقية للحديث عنهم كأبطال وشهداء للحرية والسلام!! فيما (الزعيم) الذى قدم شعبه مئات ألوف الشهداء، وملايين المشردين الذين هم وبكل المعايير الدولية ضحايا للظلم والعدوان وقتلوا فى سبيل الحرية والحقوق النبيلة ووطنيا وإنسانيا، لم يتطرق بحرف واحد إلى هذه المسألة !!

كم كان د . "ادوارد سعيد" محقا وهو يقول أن كل فلسطينى شاهد وسمع وقائع احتفال البيت الأبيض شعر بأن مائة عام من التضحيات والكفاح البطولى لم تثمر شيئا فى نهاية الأمر، بل أعطت الكلمتان انطباعاً بأن الفلسطينيين كانوا متجننين على الاسرائيليين، وهم الآن يعتذرون لهم . وأضاف « د . سعيد » : أن كلمة عرفات توحى كأنه توصل إلى (عقد ايمبار) لا إلى اتفاق سلام! (١٨)

فى اليوم التالى لحفل التوقيع قال "عاموس أوز" (وهو شخصية سياسية ناشطة فى إسرائيل فى إطار حركة السلام) لهيئة الاذاعة البريطانية تعليقا على ما حدث بأنه (ثانى أكبر انتصار فى تاريخ الصهيونية) ولا ندرى ما هو الانتصار الأول فى تقدير "أوز"، هل هو قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ أم ولادة الصهيونية عام ١٨٩٠ أم عدوان عام ١٩٦٧ . ولكننا على أى حال نعتقد أن هذا هو أول أكبر انتصار فى تاريخ الصهيونية، نظراً إلى أن كل الانتصارات السابقة مهما كانت باهرة وكبيرة فهى تبقى بلا أساس شرعي، ومهددة، أو مؤجلة بينما الانتصار الراهن، محقق ومؤكد بدليل اعتراف

الضحية بحق الجاني فى حيازة ثمرات عدوانه وفى تنازل هذه الضحية عن كل حقوقها وانتقالها من موقع المكافح لاستردادها، إلى موقع المدافع عن (حقوق العدو) ومكسباته من الجريمة .

فإذا انتقلنا إلى اتفاق المبادئ نفسه وجدنا أن نصوصه بصفة عامة تتسم بقدر كبير من الهلالية، وعدم الوضوح ، والغموض حتى أن بعض المحللين الذين تناولوه وجدوا فى بنوده الـ (١٧) تسعة وعشرين مأخذاً أو مسألة تحتاج إلى إيضاح وتحديد (١٩) . ونقل عن الرئيس السورى "حافظ الأسد" قوله : إن كل بند فى الاتفاق يحتاج إلى اتفاق خاص من عشرات البنود لتفسيره ١

ولا يعنى ذلك أبداً أن الذين أعدوا الاتفاق لا يحسنون صياغة نصوص من هذا النوع، بل يعنى أن الخبراء الاسرائيليين، أحسنوا وتفوقوا فى تجهيز نص حافل بالألغام الكثيرة جداً رغم قصره الشديد. فهم ملأوه بالثغرات والإشكاليات القانونية والسياسية واللغوية، عن قصد مسبق لكى يتمكنوا من إثارتها واستغلالها أثناء التنفيذ حسبما تقتضى مصالحهم . وعلى سبيل المثال ، فقد استغرقت (المفاوضات التنفيذية) بين الجانبين نحو تسعة شهور للاتفاق على المقصود بعبارة (أريحا) الواردة فى النص، ولكن بلا جدوى، وقد تستمر المفاوضات شهوراً أو أعواماً أخرى . فالجانب الفلسطينى فسرهما على أنها (اقلليم أريحا) كما كان من قبل قيام اسرائيل، بينما الجانب الآخر أصر على أن العبارة تنطبق على المدينة فقط والفرق هائل بين التفسيرين إذ تبلغ مساحة الاقليم (نحو ٣٧٠ كم٢) فيما لا تزيد مساحة المدينة عن (٢٥ كم٢) وهذا مجرد مثل واحد، إذ هناك أمثلة كثيرة تتعلق بمعنى (الانسحاب العسكرى للجيش الاسرائيلى) وبمعنى إعادة الانتشار العسكرى، وهل يلغى الانسحاب حق الحكومة الاسرائيلية فى حماية أمن المستوطنين أو المواطنين الاسرائيليين فى مناطق الحكم الذاتى أم لا ؟ .. وكيف وبأى وسائل؟ وهناك مسائل تتعلق بصلاحيات المجلس الوطنى الفلسطينى الذى سيجرى انتخابه .. وحقه فى إصدار القوانين (أى التشريع) فى كل المجالات أم لا ؟ .. وكذلك مسألة الولاية الجغرافية لهذا المجلس الوطنى التى تشمل الضفة الغربية وجزءاً باستثناء (القضايا التى سيتم التفاوض عليها فى مفاوضات الوضع الدائم) ١١ فما هى هذه القضايا وما هى حدودها وطبيعتها وكيف سيجرى الاتفاق عليها ؟.

وبدهى أن تفسير كل النصوص ستحتكره اسرائيل بصفة شبه تامة، فكما كانت قد أعدته مسبقاً وفرضته على الجانب الفلسطينى فى البداية سيكون بمقدورها أن تفسره وأن تفرض تفسيره على الجانب الضعيف الذى لا يملك أى وسائل للضغط فى النهاية .

وبعبارة أخرى فالاتفاق نصاً وروحاً وتطبيقاً يتوقف ويعتمد على النوايا والإرادة والمصلحة الاسرائيلية . وهذه كلها قابلة للتغير تبعاً لمسيرة السلام ومدى تطور الأوضاع الفلسطينية والعربية

أيضا بشكل يلائم المخططات الاسرائيلية فى الأعوام القليلة المقبلة ضمن (عملية السلام) أو ضمن المرحلة الانتقالية، وهى جميعاً محفوفة بمخاطر شتى واحتمالات مختلفة وغير مضمونة الأمر الذى دعا المفكر العربى المعروف د . فؤاد زكريا لاعتبار هذه الاتفاقية (من أكثر الاتفاقيات فى التاريخ اعتماداً على مستقبل غير مؤكد) وجعله يسميها بـ (الاتفاقية المعلقة). لا على النوايا الاسرائيلية فقط، بل على فرضية تبدو واهية جداً إن لم نقل وهمية . فرضية أن الفلسطينيين والاسرائيليين ، يمكن أن ينسوا العداوة بينهما بسرعة ويتجاوزوا التناقضات ، ويدخلوا فوراً ومن دون تدرج فى عهد (مناقض للسابق) من الإخاء والتعاون والمحبة . إنها فرضية أو ركييزة بنيت عليها عمارة الاتفاق مع أنها مشكوك فيها إلى درجة كبيرة فالصراع بين الطرفين ليس صراعاً على حدود أو ثروات أو بسبب عقائد، بل صراع وجودى على أرض واحدة لا يمكن أن تقبل القسمة، ولا تقبل التنازل . هو عملية نفى ونفى النفى ، كما يعرف العرب واليهود معاً .

ولا يكتفى الاتفاق الهلامى أو الغامض بإطلاق وعود خيالية عن السلام والتعاون، بل يعد وربما جاز القول أنه يتعهد تغيير مجموعة ضخمة من المفاهيم والمعانى والقيم والعقائد الراسخة فى فكر ووجدان وعوى مئات الملايين من العرب والمسلمين ، فهل هذا ضرب من الطموح الخلاق أم ضرب من الوهم الأخرق ؟؟ على الأرجح أنه لا هذا ولا ذاك ، فالخبراء الاسرائيليون يعلمون جيداً استحالة هذه الأمور ، ولكنهم أرادوا إشاعة البخور فى أجواء المنطقة بقصد الخداع فقط أما على الجانب الآخر فقبول مثل هذا الخداع يصور حجم الاختراق الاسرائيلى الفكرى والنفسى للعقل الفلسطينى خصوصاً والعربى عموماً ، وهو اختراق برزت معالمه وأبعاده فى نواح ومرات عديدة . ألا يكفى أن القيادة الفلسطينية قُضمت كفاح شعبها وأمتها إلى حد جعل غايته السامية وأهدافه العظيمة تقتصر على الحصول على (اعتراف اسرائيل بها) وضمحلل كل المطالب والأهداف والأشواق الوطنية والقومية أمام الحصول على هذا الاعتراف .. فى حين أنها قدمت الاعتراف باسرائيل سلفاً وبلا ثمن!

وما بالنا بأولئك القادة الكبار الذين أطلق عليهم لقب (خيول أو سلو) نتيجة لدورهم فى المفاوضات السرية أو للترويج له وقد تنافسوا على الإشادة بأخلاق قادة اسرائيل وصدق نواياهم ووعودهم قبل أن يجرى تطبيق نقطة واحدة من الاتفاق . ومع أن القاصى والدانى من هذا العالم يعلم وبكل موضوعية أن جميع قادة إسرائيل مجرمون ملطخون بدماء الفلسطينيين والعرب وملطخون بعار عشرات المجازر والحروب العدوانية وقتل الأبرياء وتدمير القرى وقصف المدارس والمصانع فى فلسطين والاردن ومصر ولبنان وسوريا بل وتونس وليبيا والعراق .. الخ.

لقد بلغ الحد بأحد تلك (الخيول) المدعو "سعيد كمال" أن يقول إن المرحلة الانتقالية التى ينص

عليها الاتفاق أى عدم انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة هو فرصة ثمينة وكسب للفلسطينيين لأنها تتيح لهم بناء دولتهم تدريجياً وتحصنهم من الفشل الذى وقعت فيه شعوب أخرى استقلت بسرعة ١١ (٢٠) وأما المفاوضات العتيد د . "تبيل شعث" فقد امتدح (صدق) "اسحاق رابين" و"شمعون بيريز". ذلك الصديق الذى اختبره كما يبدو فى موعد ١٣ ديسمبر / كانون الأول عام ١٩٩٣ الذى كان محدداً لتسليم غزة وأريحا لسلطة الحكم الذاتى ا

أما المخطط الاقتصادى الخطير "أحمد قريع" فقد بشرنا ببرنامج انمائى فلسطينى طويل المدى يقوم فقط على (انتهاز الفرص الاقتصادية) واستبعاد كل ماله علاقة بالأخلاقيات والعقائد والايديولوجيات.

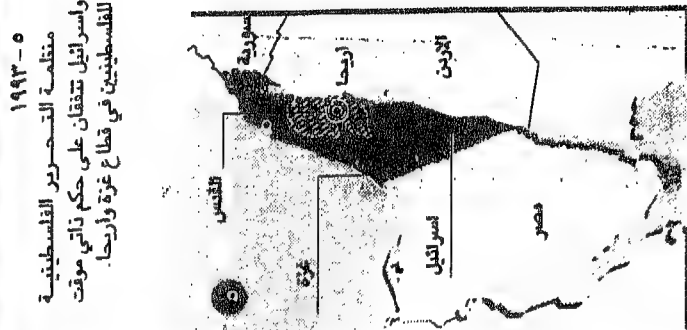
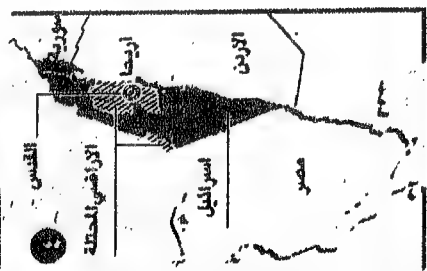
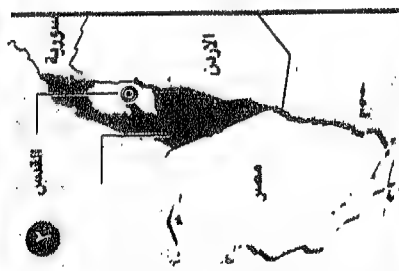
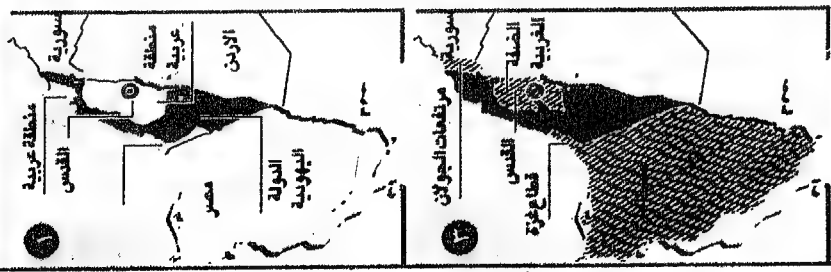
هل هناك اختراق (صهيونى) للعقل الفلسطينى - العربى أشد من أن يصيح زعماء الثورة الفلسطينية مروجين للأفكار والمخططات والمشاريع الصهيونية والأمريكية فى الوطن العربى؟

هناك من يقول اليوم أن اعتماد الفلسطينيين على العرب فى الماضى أضاع بلادهم وبدد جهودهم، فيما يؤدى الاتفاق والاتصال مع الاسرائيليين إلى استعادة حقوقهم والتحول إلى مجتمع حضارى بسبب الشراكة مع اسرائيل الدولة المتقدمة والديمقراطية الوحيدة فى المنطقة .



[Illegible handwritten notes]

تاريخ إسرائيل من ١٩٤٧ إلى ١٩٦٣



١٩٤٧ - ١
خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين
إلى دولة عربية وأخرى يهودية
خصص لها ٥٦ في المئة من
أراضي فلسطين.

١٩٤٩ - ٧
العرب يرفضون الخطة في العام
١٩٤٨ وأعلن قيام دولة إسرائيل
وانشغال الحرب. وفي العام ١٩٤٩ توقيع
الهدنة وإسرائيل تسيطر على ٧٥ في
الفاة من فلسطين. القدس، سورية،
إسرائيل، مصر، الأردن.

١٩٦٧ - ٣
إسرائيل تدمج القدس الشرقية
والضفة الغربية وقطاع غزة المحتل
وقشية جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان
بعد حرب الأيام الستة.

١٩٨١ - ٤
في العام ١٩٧٩ إسرائيل تتخلى عن
سيناء بعد اتفاق كعب سيفيد مع مصر
وتضم مرتفعات الجولان في العام
١٩٨١ وتواصل احتلال الضفة الغربية
وقطاع غزة.

حقوق النشر محفوظة لـ / رويتر

الجزء الأول

الاتفاق فى نظر القانون .. والشرعية الدولية

" الكيان الفلسطينى الذى يؤسسه الاتفاق يشبه
دولة "بانتوستان" الوهمية الخاضعة لسيادة
جنوب افريقيا العنصرية "

د . " أورى ديفيس "

مفكر يهودى

معاد للصهيونية واسرائيل

رسم اتفاق المبادئ استراتيجية - لتسوية المشكلة الفلسطينية وحلها حلاً نهائياً - تنقسم إلى
ثلاثة مراحل :

الأولى : مرحلة غزة - أريحا فقط .

الثانية : مرحلة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة .

الثالثة : مرحلة الوضع النهائى .

ولا يمكن للباحث الحديث بشكل محدد ودقيق إلا عن سمات وحيثيات المرحلة الأولى ، لأنها
مجسدة فى نص الاتفاق المذكور وملاحقه وفى نصوص الاتفاقيات التطبيقية التى توصل إليها
الجانبان الفلسطينى والاسرائيلى .

أما المرحلة الثانية فيمكن الحديث بشكل أقل دقة عن ملامحها ومعالمها التى أشار إليها الاتفاق .
أما المرحلة الثالثة ، فلا يمكن التطرق إليها لأنها مازالت فى رحم الغيب وإذا كان بمقدور التحليل
السياسى الخوض فى مثل هذه المحاولات بناء على دراسة الاحتمالات المختلفة فإن البحث القانونى
ليس بمقدوره فعل ذلك على الإطلاق لأن ميدانه وموضوعه ، الظواهر المادية القائمة فى الواقع . وبناء
على ذلك فالحديث فى هذا الجزء من البحث لن يتطرق إلا إلى المرحلة الأولى والثانية . وهذا الإيضاح

مهم لأن الكثيرين من مؤيدي الاتفاق، يبنون تأييدهم على الآفاق النهائية والأخيرة للمسيرة السلمية، ويعترفون أن المسألة تنطوي على (مراهنة غير مضمونة) ولكنهم يشددون على أن الاتفاق خلق آليات دفع ذاتي وأوضاعاً جديدة يستحيل العودة عنها، ولا بد أن تتحرك في اتجاه ايجابي عام وتتولد عنها معطيات مستمرة . ومن البدهى أن مثل هذه المراهنات أو المجازفات لا مجال لها في كنف القانون ونطاقه .

أولاً : مسألة الاعتراف :

الاعتراف الفلسطيني - الاسرائيلي المتبادل ، مسألة مركبة لها أكثر من بعد وزاوية فإذا بدأنا من نقطة الميثاق الوطني الفلسطيني حيث ألغت المنظمة المواد (٢ - ٩ - ١٠ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣) نجد أن عملية الإلغاء استهدفت استبعاد الإشارة إلى أن (اسرائيل) قامت على أرض فلسطين ضد رغبة وإرادة شعبها . وهي نقطة مهمة أدبياً، وتشكل مقدمة من الناحية القانونية للاعتراف بدولة اسرائيل الراهنة . وهو اعتراف نهائي من وجهة نظر القانون الدولي أى لا إمكانية للتراجع عنه مستقبلاً من الجانب الفلسطيني . أما اسرائيل فعلى العكس تستطيع الرجوع عن اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية لأنها هيئة عسكرية سياسية وليست دولة والاعتراف يمثل هذه الهيئات والمنظمات اعتراف ذو طبيعة واقعية، حسب المادة السادسة من معاهدة مونتيفيديو للعام ١٩٣٣ . هذا فضلاً عن أن اعتراف اسرائيل بالمنظمة جاء معلقاً على شروط يتعين أن تقوم بها حتى يبقى قائماً . وأهم هذه الشروط الاستمرار في (عملية السلام في الشرق الأوسط) ثم إن منظمة التحرير يجب أن تحل نفسها بعد اجراء الانتخابات الفلسطينية لاختيار مجلس وطني يمثل الضفة الغربية وغزة خلال فترة (لا تتعدى تسعة شهور بعد دخول اعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ) ف٢ البند٣.

والأهم مما سبق هو الاقتران بين اعتراف المنظمة باسرائيل، والتزامها بأمن وسلام اسرائيل، انه تجاوز كبير لمفهوم الاعتراف القانوني بين الدول ويحمل الجانب الفلسطيني أعباء لا سابق لها في القانون أو حتى في العرف الدولي مثل مكافحة الارهاب أى مناهضة المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني لاسرائيل ، وبالقوة ، إذ يتعين على المنظمة وسلطة الحكم الذاتي (تأديب المخالفين) .

ثانياً : مسألة الاحتلال :

ويرتبط بالملاحظات القانونية التي يثيرها (الاعتراف) ملاحظات أخرى تتعلق بإسقاط صفة

(الاحتلال) لا عن دولة اسرائيل فى فلسطين (١٩٤٨) فقط بل عن وجود اسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٦٧) .

وهذه مسألة أخطر من الاعتراف ، وهناك شك قوى بصلاحيه منظمة التحرير (كممثل للشعب الفلسطيني) أن تنفى صفة الاحتلال عن جزء من فلسطين اعتبرت القوانين والشرعية الدولية (احتلالاً) وأصدرت بشأنه مجموعة كبيرة من القرارات والإجراءات وتشكلت منظمات خاصة به . بل هناك شكوك قوية أيضاً فى صلاحية الاتفاق الثنائى بين المنظمة واسرائيل أن يخالف القانون الدولى فى هذا الصدد .

فالقارات ٢٤٢ وما تلاه بعد عام ١٩٦٧ حتى القرار ٧٩٩ لعام ١٩٩٣ كلها تؤكد وتبنى مفهوم الاحتلال على الوجود الاسرائيلى فى الضفة الغربية وغزة . ولهذه القرارات حجية أعلى من حجية ومنزلة القوانين الوطنية أو الاتفاقات الثنائية حسب ميثاق منظمة الأمم المتحدة (م ٢٥ و ١٠٣) .

لقد اقترفت القيادة الفلسطينية أجسام أخطائها فى التنازل عن قوة وحجية أحكام القانون الدولى، ومرجعيتها فى التعامل مع اسرائيل ، فالأراضى العربية المحتلة حسب الاتفاق لم تعد (محتلة) ولكن متنازع عليها وموضع تفاوض حر بين الجانبين ، وعليه فإسرائيل ليست ملزمة بالانسحاب الشامل من الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وسوف يكون من حقها الاحتفاظ بأجزاء منها وتعديل حدودها فى معزل عن قرارات الأمم المتحدة، وأحكام القوانين الدولية وهذا الأمر ظلت اسرائيل تسعى إليه دائماً ، وباستمرار منذ عدوان ١٩٦٧ وصدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى فسره اسرائيل على أنه لا يلزمها بالانسحاب من جميع الأراضى التى استولت عليها بالقوة . فيما بقيت الأطراف العربية وعدد كبير من دول العالم متمسكة بالتفسير الذى يرى أنه يلزم اسرائيل بالانسحاب التام والشامل . ومعروف أن اسرائيل ظلت دائماً مستعدة للانسحاب من بعض المناطق المحتلة ، ولاسيما غزة ، وقد عرض «مناحيم بيجين» وهو أكثر قادة اليمين تطرفاً فى اسرائيل تسليمها لمصر منذ نهاية السبعينيات، كما تضمن المشروع الذى قدمه وزير الدفاع الاسرائيلى "اريل شارون"، وهو أكثر زعماء اسرائيل تطرفاً وتوسعية، مبدأ الانسحاب من بعض المناطق فى الضفة الغربية وكل غزة بل أن اسرائيل كادت تنسحب من غزة من جانب واحد وتتركها لمصيرها فى نهاية الثمانينيات لولا الاعتبارات الأمنية التى حذر منها الخبراء اليهود .

ثالثاً : مسألة حق تقرير المصير :

يعتبر حق تقرير المصير، حقاً ثابتاً فى الشرعية الدولية لكل الشعوب الخاضعة لسلطة احتلال .

منذ أن أصدرت الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ الإعلان الخاص بإعطاء الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة . وبالنسبة للشعب الفلسطيني فقد صدرت قرارات كثيرة عن المنظمة العالمية تضمن (حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف، وحقه في تقرير المصير) أهمها القرار ٣٣٨ . لكن الاتفاق أدى إلى ضرب هذا الحق ، حاضراً ومستقبلاً . فمن ناحية أولى ينص الاتفاق على أن الانتخابات في الضفة الغربية وغزة لتشكيل مجلس وطني يمثل الفلسطينيين، خاضعة لاتفاق ثنائي (فلسطين - اسرائيل) يحدد نظام الانتخابات وينظم حقوق فلسطيني القدس ويحدد صيغة المراقبة الدولية والقوانين والاجراءات المتعلقة بالحملة الانتخابية، وهذه المشاركة الاسرائيلية ، تتعارض تماماً مع مبدأ الحرية الذي نص عليه إعلان المنظمة الدولية ، أي حرية الشعب في اختيار مستقبله ونظامه وبناء دولته ومنظماته التشريعية والتنفيذية. ومن البدهي أن التدخل الاسرائيلي يستهدف تسيير عملية الانتخابات وتوجيهها في طريقة تضمن ألا تأتي نتائجها ضد مصالحها . ومصالح النظام الفلسطيني المتعاون معها. أي منع وصول المعارضين والمناهضين لاتفاق السلام إلى مقاعد المجلس الوطني .

أما بالنسبة للمرحلة الثانية ، فإن الاتفاق تضمن تشكيل عدد كبير من اللجان المشتركة بين الجانبين ، مختصة بالتخطيط والتقرير في مجالات التنمية الاقتصادية والتعليم والموارد الطبيعية وغير ذلك . ومن البدهي أيضاً أن سلطة اسرائيل داخل هذه اللجان أقوى من سلطة الجانب الفلسطيني، وستعمل اسرائيل من داخل هذه الهيئات لكي تبقى الكيان الفلسطيني خاضعاً لسلطتها ونفوذها ومنسجماً مع مصالحها دائماً، وهذا يتنافى ويتعارض مع حق تقرير المصير، ومع أهداف العملية السلمية في إزالة الاحتلال عن الضفة الغربية وغزة وحق الشعب الفلسطيني تقرير خياراته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بملء حريته . ومن الطبيعي أن يصل الاتفاق إلى مثل هذه المعطيات طالما أنه استبعد الضمان القانوني الدولي ولم يشر ولو بكلمة واحدة إلى وجود (احتلال) .

والأخطر من كل ما سبق ، أن الاتفاق يحدد وبكل وضوح (البند ٨) ، أن مستقبل الكيان الفلسطيني سيظل مرتبطاً بل مرتيناً لاعتبارات الأمن الاسرائيلية . فهو سيكون مجرداً من القوة العسكرية وسيكون الدفاع الخارجي من اختصاص جيش اسرائيل ، وسيكون من اختصاص سلطات الأمن الاسرائيلية التدخل أيضاً لحماية المستوطنين والمواطنين الاسرائيليين في مناطق الحكم الذاتي ، بل لحماية (النظام العام) وهي عبارة عامة ويمكن تطبيقها على أي شأن أو موضوع حسب مزاج السلطة الاسرائيلية . ولا شك أن هذه الاعتبارات تجعل حق تقرير المصير الفلسطيني ، مجرد صورة زائفة تخفي الوجه البشع للاحتلال العسكري المباشر وهي تتناقض تناقضاً صارخاً مع منطوق معاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ التي تنص مادتها التاسعة على أن الأرض تعتبر محتلة عندما توضع بالفعل تحت سلطة جيش معاد ، سواء كانت هذه السلطة مباشرة أو غير مباشرة . وعليه

فإن الكيان الفلسطيني سيبقى خاضعاً للاحتلال الاسرائيلي من وجهة نظر القانون الدولي حتى نهاية الحكم الذاتي - على الأقل - وما بعد ذلك إذا أسفرت نتائج المفاوضات النهائية عن استمرار سلطة الاحتلال، وهو أمر متوقع بناء على اصرار اسرائيل وتصميمها أن يظل الكيان الفلسطيني منزوع السلاح ومرتهنا بعوامل الأمن الاسرائيلي .

وجدير بالذكر أن (تدريج) أو تجزئة الاستقلال الفلسطيني إلى مراحل هو بحد ذاته عملية مخالفة للقانون الدولي نظراً إلى أن إعلان الأمم المتحدة المشار إليه يمنع تأخير الاستقلال بحجة نقص الاستعدادات لدى الشعب المستعمر .

رابعاً : هوية الكيان الفلسطيني :

على ضوء الشروط التي فرضتها اسرائيل على الجانب الفلسطيني، وبالنظر إلى الخصائص والسمات التي سيظهر بها الكيان الفلسطيني خلال المرحلتين الأولى والثانية (على الأقل) ، يمكن القول أن هذا الكيان لا يرقى إلى مستوى (الدولة) بمعايير القانون الدولي ولن تكون له هوية فلسطينية (قانونية) فهو حسب الاتفاق ، لن يكون بمقدور سلطته الذاتية منح المواطنين الفلسطينيين، هوية أو جواز سفر . وفي الوقت نفسه يحافظ حق المستوطنين الاسرائيليين فيه بجنستهم الاسرائيلية . كما لن يكون من حق الفلسطينيين القاطنين فيه ، حمل الجنسية الأجنبية ، كما هو الحال في السابق أي الجنسية الاردنية أو المصرية مثلاً . (٢١)

أما بالنسبة للمرحلة النهائية ، فيمكن القول أن جميع التصريحات الاسرائيلية والأمريكية (وسواها) تؤكد وتجزم منذ الآن أن المفاوضات على أي حال لن تقضى إلى قيام (دولة فلسطينية مستقلة) وسيتعين على الفلسطينيين أن يختاروا الكونفيدرالية مع اسرائيل أو مع الاردن ا

وقد تنشأ كونفيدرالية ثلاثية على غرار (السينلوكس) الثلاثي الذي يضم هولندا وبلجيكا ولوكسمبورج . مع التشديد على أن الكيان الفلسطيني بالذات لن يتمتع بالسيادة مطلقاً لأنه يستطيع ، لو توفرت له ، الانسحاب من الاتحاد الكونفيدرالي وقتما يشاء . وهذا ما يتناقض مع الشروط الاسرائيلية - الأمريكية التي تحكم أفق التسوية الأخير . وتجدر الإشارة هنا إلى ما قاله البروفسور "أوري ديفيس" وهو يهودي ، بريطاني من أصل فلسطيني معارض لاسرائيل والصهيونية ويعمل مدرساً في الجامعات البريطانية ، إذ روى أنه قرأ ودرس نصوص الاتفاقات بما فيها الملاحق والبروتوكولات ومحاضر الاجتماعات التي نشرتها (ميدل ايست ميرور) في مطلع ايلول/ سبتمبر ١٩٩٣ ولم يجد فيها ما يشير ولو بشكل عابر إلى (السيادة) ضمن المسائل المذكورة بوضوح في

لائحة الفقرات التي ستطرح في المفاوضات الخاصة ببحث الأوضاع الدائمة في فلسطين . ويضيف : هناك بالمقابل ذكر للحدود ، ولكن هاتين المسألتين ليستا شيئاً واحداً . فقد تكون هناك حدود معترف بها بين دولة فلسطينية مستقبلاً وكل من اسرائيل والاردن من دون أن تتمتع هذه الدولة بالسيادة .

ويضرب "ديفيس" مثالا على هذا النوع من الدول (الوهمية) أو ناقصة السيادة بدولة (بانتوستان) وهي كيان قائم على الخريطة العالمية، ولكن لا أحد يسمع بها ، فضلاً عن ممارستها للسيادة فهي مجرد كيان يقع داخل حدود دولة جنوب أفريقيا ، ومتحد معها اتحاداً فيدرالياً ، وتتمتع بسلطات داخلية محلية ، ولكنها لا تتمتع بخصائص السيادة التي تحتكرها الحكومة العنصرية (سابقاً) في جوهانسبرج . ولا يرى "ديفيس" أي اختلاف أو فارق بين (الدولة الفلسطينية) التي تكونت في رحم اتفاق المبادئ ودولة بانتوستان^(٢٢)



الجزء الثانى

الاتفاق امنياً... وعسكرياً

أظهر رسم كاريكاتيرى رئيس وزراء إسرائيل واقفاً
 بقدميه على صدر مواطن فلسطينى ممدد على
 الأرض ويقول له :
 " إننى مستعد لصنع السلام معك لكننى لست
 مستعداً بأى حال للنزول عن صدرك " !
 صحيفة ايديعوت احرونوت
 ١٩٨٩/١/٢١

قراءة نصوص الاتفاق وملاحقه ، قراءة أمنية وعسكرية تعطي فكرة واضحة عن التخطيط
 العسكرى الإسرائيلى فى مرحلة (مسيرة السلام) والمستقبل عمومياً ، ويمكن أولاً إيراد الملاحظات
 التالية على محتويات الاتفاق :

١- لا يشير الاتفاق إلى (جلاء) للقوات العسكرية الاسرائيلية عن الضفة الغربية - بصفة خاصة -
 فهو يفرق بين انسحاب من غزة واريحا من ناحية ، وبين إعادة انتشار للقوات الاسرائيلية فى الأراضى
 المحتلة من ناحية ثانية ، وهذا التفسير ما أكدّه أيضاً رئيس أركان الجيش الإسرائيلى الجنرال "يهود
 باراك" حين قال : إن الاتفاق لا يتضمن أى ذكر للإنسحاب التام من الضفة ، بل يعنى إعادة التوضع
 فى بعض النقاط والمواضع الحساسة للدفاع . (٢٣)

وحسب التقارير والدراسات التى تعدها المؤسسات الصهيونية ، فالجيش الإسرائيلى ، سينشر
 قواعد تجمع صغيرة لقواته فى أنحاء الضفة الغربية ، وعلى امتداد نهر الأردن ، تكون قادرة على
 مواجهة أى غزو خارجى وعرقلة تقدمه ، وإغلاق المعابر مع الأردن ، وسيبنى الإسرائيليون محطات
 للإنذار المبكر فى أنحاء الضفة الغربية لكشف أى محاولة غزو فى وقت مبكر . (٢٤)

٢ - الكيان الفلسطيني حسب الاتفاق ، سيكون منزوع السلاح بالكامل وسيكون ممنوعاً على سلطة الحكم الذاتي (وعلى الأرجح فيما بعد أيضاً ، أى فى المرحلة النهائية) إنشاء جيش وطنى لمهمات الحرب والدفاع الخارجى ، وستنشأ هيئات خاصة لمراقبة التسليح الفلسطينى الذى سيقصر على الأسلحة الخفيفة التى تستخدمها قوات الشرطة وقمع الشغب الفلسطينية وحسب ، بما فى ذلك فرض رقابة دائمة على الموانئ الفلسطينية وتفتيش السفن لمنع وصول أى أسلحة تزيد عن حاجة الشرطة حجماً ونوعاً . وسيكون محظوراً على السلطة الفلسطينية بناء أى تحصينات حربية فى الضفة والقطاع من شأنها إعاقة تحرك القوات الإسرائيلية وقت الحاجة .

٣ - نشر قوات دولية عسكرية على غرار تلك الموجودة فى سيناء بين مصر وإسرائيل بموجب معاهدة كامب ديفيد .

وعلى الأرجح ستكون هذه القوات (أمريكية) ولن تكون ذات صفة دولية - أى تابعة للأمم المتحدة - لأن هذه مستبعدة بداية ونهاية من أى دور فى نطاق التسوية .

وسيكون على هذه القوات الأجنبية مراقبة ضفتى نهر الأردن والبحر المتوسط خارج غزة ، ومراقبة اجراءات نزع السلاح فى الكيان الفلسطينى ، وعدم وصول أى أسلحة .

٤ - تشكيل لجان عسكرية وأمنية مشتركة بين الجانبين الفلسطينى - الإسرائيلى ، لمتابعة المسائل الخاصة بهذه الشؤون .

٥ - توقيع اتفاقيات أمنية بين الجانبين لفترات طويلة قد تزيد على ١٥ سنة .

٦ - إيجاد صيغة مناسبة للتنسيق والتعاون بين إسرائيل والكيان الفلسطينى وكل من الأردن ومصر لمكافحة الإرهاب فى المنطقة ، والمقصود بالعبارة : مآثره إسرائيل إرهاباً ، وما يمس الأمن الإسرائيلى بصفة خاصة .

وسيكون (أعداء السلام) فى مقدمة من يشملهم التنسيق والتعاون ، وأعداء السلام هم كل القوى الفلسطينية وغير الفلسطينية المعارضة للاتفاق وللتسوية والمناهضة للإحتلال الإسرائيلى والناشطة ضده .

وقد تشمل الإجراءات القوى الناشطة ثورياً أى باستخدام القوة والعنف ، وكذلك القوى التى تدعو لرفض التسوية وتطالب باستمرار مقاومة النفوذ والغزو الصهيونى فى المنطقة ، باعتبار أن مثل هذه الدعوة جزء من الإرهاب الفكرى والعملى .

٧ - حسب مركز (يافى) للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب فإن الجيش الإسرائيلى سيعبر فى المفاوضات النهائية للتسوية الإقليمية مع الدول العربية على تحويل المملكة الأردنية إلى (كيان عازل) يحمى إسرائيل من الخطر العربى القادم من الشرق (٢٥) (من العراق تحديداً) وهو ما

يفرض على الأردن إدخال تعديلات جوهرية على مؤسسته العسكرية والتسليحية ، وتخفيض حجم قوته وعتاده ، ويفرض أيضاً إيجاد هيئات ومؤسسات رقابية .

٨ - الواقع الداخلى للكيان الفلسطينى حسب الاتفاق ، يحتوى مفارقة مذهلة فأغلبية السكان ، أى الفلسطينيون ، سيكونون محصورين بين نارين ، نار القوات الإسرائيلية التى تحاط بهم ، ونار قوات الشرطة الفلسطينية التى التزمت أو ألزمت بقمع أى عمليات عنف ضد الإسرائيليين ومكافحة أى مقاومة لوجود الاحتلال . وبالمقابل سيتمتع المستوطنون الإسرائيليون بحماية أمنية مضاعفة ، من السلطة الفلسطينية المحلية ومن القوات الإسرائيلية المحتلة .

وقد ظهرت النتائج الأولية لهذه المفارقة بمجرد توقيع الاتفاق ، إذ عملت قيادة منظمة التحرير بسرعة على (تهديث) الإنتفاضة الفلسطينية كدفعة على الحساب للإسرائيليين ولتأكيد جديتها ومصداقيتها فى مسيرة السلام ، بينما ضاعفت قوات الجيش الإسرائيلى من عمليات القمع ضد الفلسطينيين ، وكشفت من ملاحقة الفارين والمطلوبين وقامت بقتل عدد من أبرز رموز وقادة حركة فتح نفسها بعد أن كانت قد طمأنتهم وأعلنت وقف التحريات عنهم .

وربما كانت (مذبحة الحرم الإبراهيمى فى الخليل) فى منتصف رمضان ١٩٩٤ ، مثلاً مبكراً عن التدابير الأمنية التى وضع الاتفاق أسسها وقواعدها .

أمّا على الصعيد العام ، فإن الاتفاق يوفر لإسرائيل فرصة ذهبية ثمينة لإنقاذ جيشها من جحيم الانتفاضة الذى غرق فيه منذ سبع سنين ، وأدّى إلى خسائر مادية هائلة ، ومضاعفات معنوية ونفسية لا يمكن تقديرها وتقدير نتائجها وأبعادها فى حيز ضيق ، إضافة للإدانة الدولية الواسعة لسياسة القمع التى اتبعتها إسرائيل ضد الانتفاضة ، وتأثيرها على سمعتها .

وسيتعين على سلطة الحكم الذاتى ، والشرطة الفلسطينية القيام بدور الجيش الإسرائيلى وقمع الإنتفاضة والمقاومة . أى أن إسرائيل ستحقق بواسطة الشرطة الفلسطينية ما عجزت عن تحقيقه بواسطة جيشها .

وبالطبع لن تبدأ الشرطة الفلسطينية بقمع الشعب الفلسطينى ، فوراً . ولن يكون فى سياستها أو مخططاتها مثل هذا الهدف المشين . غير أن طبيعة الأمور كما رتبها الاتفاق ستقود تدريجياً وبشكل طبيعى إلى الاصطدام .

وليس صدفة بلا دلالة أن يولى الجانبان الفلسطينى والإسرائيلى وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى المعنية مسألة الشرطة الفلسطينية وتسليحها وتدريبها وتحديد وتدريب نفقاتها وموازنتها السنوية ، وتضخيم عددها إلى ثلاثين ألف شرطى ، فى مقدمة القضايا والمسائل وقبل سواها . أى أن أدوات القمع جاءت فى مقدمة الهياكل والأدوات التى تم توفيرها للسلطة

الفلسطينية . وهناك كثيرون من المحللين والخبراء والسياسيين بل والقادة الفلسطينيين يحذرون اليوم من تطور الأمور إلى اقتتال فلسطيني أو حرب أهلية بذورها إسرائيل في نصوص الاتفاق . ولا يخفى الإسرائيليون أن الأولوية المطلقة في تنفيذ الاتفاق مع الفلسطينيين ستكون لوقف الانتفاضة ومكافحة التيارات الإسلامية (الأصولية) ، وهذا ما أعرب عنه الباحث الإسرائيلي "أما تزيبا بارعام" في جامعة حيفا .

وليس تلك الفرصة الوحيدة التي يوفرها (السلام) لإسرائيل ، بل هناك فرصة ثمينة أخرى ، وهي العمل على تحديث وتقوية الجيش الإسرائيلي وإعادة تأهيله في ظل ظروف (إقليمية) مواتية تنعدم فيها التهديدات والأخطار كما لم يحدث منذ قيام هذا الجيش حتى اليوم .

ويكشف "جوزيف الفر" مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب عن تلك الحقيقة فيقول أن الاتفاق يمنح الجيش الوقت الكافي لتطبيق خطة تحوله إلى جيش متقدم يعتمد على أحدث التكنولوجيا الحربية والرقابية دون أن يضطر لاستخدام وتعبئة أعداد كبيرة من الجنود . ويقول "الفر" أن هذه الخطة التي تحمل اسم (الخطة ٢٠٠٠) تتضمن ثورة تكنولوجية هائلة ، يفترض أن يتم إنجازها واستيعاب أهدافها مع العام ٢٠٠٠ (٢٦) وأهم بنودها :

(١) تطوير سلاح الجو إلى ٧٠٠ طائرة حربية حديثة ، عمودها الفقري الطائرة F.15 والتي تستطيع مهاجمة قواعد الصواريخ على بعد يزيد عن ألف كيلومتر .

(٢) إعداد القدرة التعبوية والجهازية لاستيعاب ستمائة ألف عسكري .

(٣) توفير مئات ملايين الدولارات التي كانت تنفق على قمع الانتفاضة وإدارة الاحتلال اليومية ، لإنفاقها على تحديث البنية التحتية والإنشاءات الأساسية للجيش والمؤسسات والمواقع الحربية .

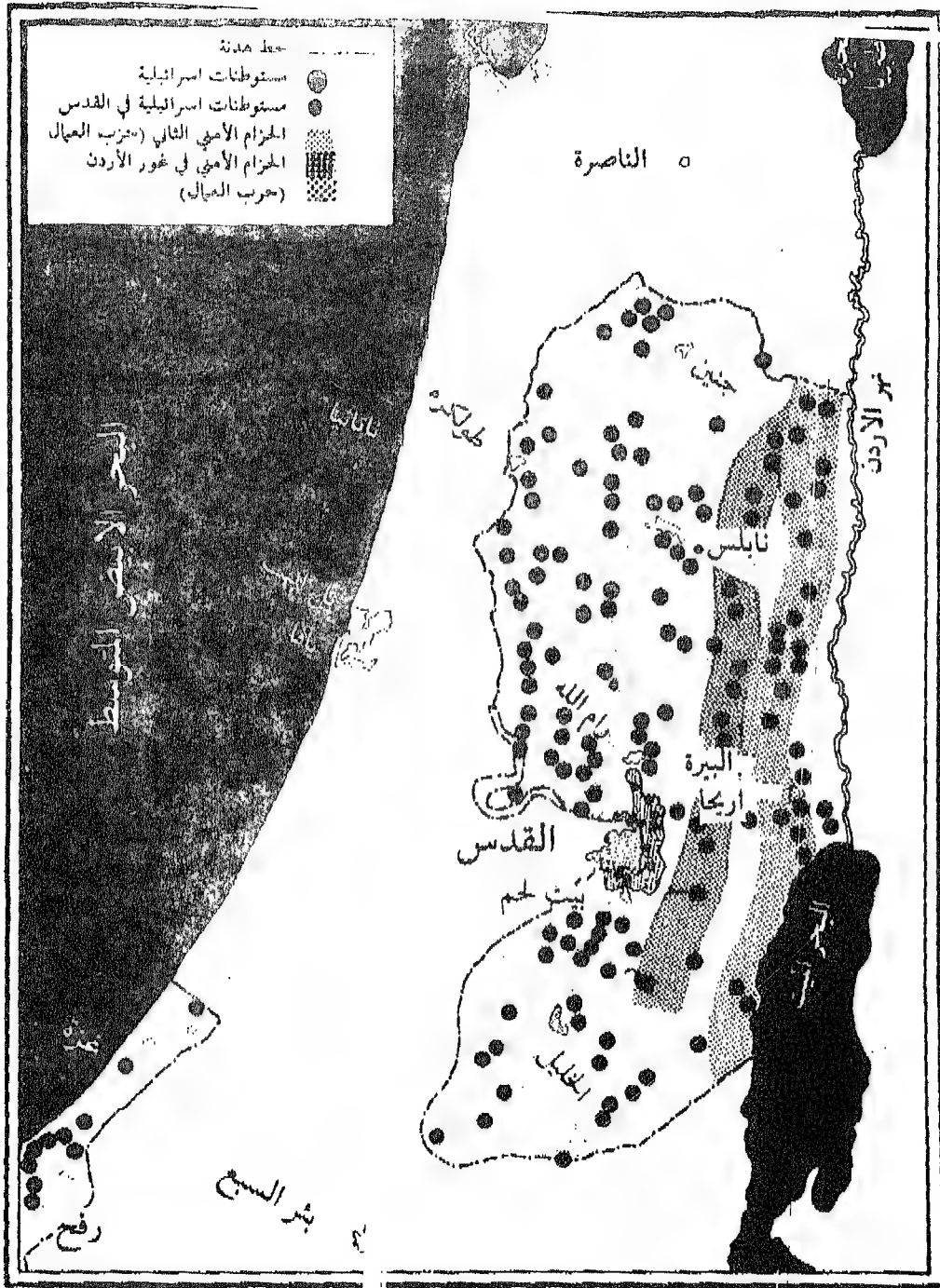
ويؤكد مركز الدراسات الاستراتيجية (يافي) في تقرير له عن انعكاسات (عملية السلام) على الشؤون العسكرية الإسرائيلية ، بأن اتفاق المبادئ مع منظمة التحرير لا يضر بالضرورة بإسرائيل وكذلك عمليات إعادة نشر وتوزيع القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية .

ويكشف التقرير أن الأهداف الأمنية الإقليمية لإسرائيل في ظل مسيرة السلام تتلخص في ثلاثة أهداف أساسية :

١ - إزالة التهديد بأي هجوم عسكري في الأراضي التي تنسحب منها إسرائيل (بما فيها الأراضي اللبنانية والسورية) ، وتوفير ضمانات كافية لعدم استخدام هذه الأراضي مستقبلاً في الهجوم على إسرائيل أو لأغراض عسكرية مضادة لأمن إسرائيل !

٢ - تعزيز القدرة على ردع أي هجوم في الدول العربية شرق إسرائيل ، ولا سيما بالأسلحة الصاروخية وغير التقليدية .

٣ - تقليص مخاطر الإرهاب عموماً ضد إسرائيل ، واستئصال الحركات الأصولية والإرهابية (المقاومة الفلسطينية سواء كانت إسلامية أم وطنية أم شيوعية ... الخ) .



المستوطنات الاسرائيلية والاحزمة الانية في الضفة الغربية وقطاع غزة

مراكز الاستيطان الرئيسية في الضفة الغربية

الجزء الثالث

نظرة اقتصادية على الاتفاق

"إنه يؤسس لحياة مشتركة بين الشعبين
الاسرائيلى والفلسطينى، ويشكل معبراً إلى
بقية الدول العربية"

أبراهيم شوحاط
وزير المال الاسرائيلى
بعد توقيع البروتوكول التنفيذى

إذا كانت الاعتبارات (الأمنية) أهم الدوافع الإسرائيلية فى عملية السلام ، فإن الاعتبارات (الاقتصادية) أهم الطموحات التى تحرك الجانب الإسرائيلى فى سعيه الدؤوب لإقامة علاقات طبيعية مع العرب ، وهى علاقات لابد أن تمر عبر تسوية المشكلة الفلسطينية وينتظر الإسرائيليون بفارغ الصبر الحصول على (الجائزة الإقليمية للسلام) أى جنى المكاسب الاقتصادية الكبيرة من التعامل مع جيرانهم بعد أن ظلوا معزولين ومحاصرين عسكرياً واقتصادياً وسياسياً نصف قرن. (٢٧)

ولا تخطئ عين الباحث ، التركيز الإسرائيلى الشديد على العوامل الاقتصادية فى جميع مراحل المفاوضات والمباحثات مع الطرف الفلسطينى ، وما أسفرت عنه من اتفاقيات حتى الآن .فهى تحتل أعظم مساحة من النصوص وكذلك من اللجان والاجتماعات . حتى أن كثيرين من الباحثين رأوا فى إعلان المبادئ الموقع بين إسرائيل ومنظمة التحرير (اتفاقية اقتصادية) أكثر منها اتفاقية سياسية وتساءل آخرون عما إذا كان من مقتضيات التفكير الجديد فى العالم أن تصبح السياسة فى خدم الاقتصاد لا العكس .

أما "د . ادوارد سعيد" فقد وصف الاتفاق بأنه (عقد إيجار) وحسب، يخول القيادة الفلسطينى إدارة شركة مقاولات او ربما كان الأدق القول أن الجانب الفلسطينى قد أمسى بموجب الاتفاق وسيطاً للمصالح الإسرائيلية فى الساحة العربية ، وجسراً لعبور الصادرات اليهودية إلى الأسواق العربية ، فالهدف النهائى ، هو الوطن العربى كله ، وثرواته ومزاياه الضخمة .

ومنذ احتلت إسرائيل الضفة الغربية وغزة فى عدوان ١٩٦٧ ، وهى تخطط لتحويل هذه المناطق إلى (كيان ذى طبيعة اقتصادية وسيطة مع الجانب العربى) يتمتع باستقلال نسبى تحت سيادتها وسيطرتها على غرار هونغ كونغ أو سنغافورة !

وهذه الأفكار تشكل قسما واضحا فى الوثائق الفلسطينية - الإسرائيلية التى تم التوصل إليها منذ منتصف ١٩٩٣ وحتى اليوم ، وقد كان لافتاً للإنتباه حقاً أن يتضمن (إعلان المبادئ) الرئيسى ملحقين اثنين من ملاحقه الأربعة ، عن الاقتصاد والتنمية ، أحدهما خاص بمنطقة الحكم الذاتى أو بالعلاقات الإسرائيلية - الفلسطينية حصراً ، والثانى عام عن التعاون الاقتصادى والتنموى على صعيد الوطن العربى .

بل يلاحظ أيضاً أن الملحقين الاقتصاديين أوسع وأطول وأكثر تفصيلاً من الملحقين السياسى والأمنى . ويمكن إيراد الملاحظة عينها على بروتوكول التعاون الاقتصادى الذى وقع فى باريس فى نهاية نيسان / أبريل ١٩٩٤ إذ يبلغ حجمه نحو خمسة عشر صفحة (فلوسكاب) بينما لم يزد طول إعلان المبادئ عن صفحتين .

ويضاف إلى هذه الملاحظة (الشككية الهامة) أن البروتوكول الذى وقع فى باريس بقى نصه الكامل سرياً ، ولم يوزع إلا بعض أجزائه بصورة غير رسمية ، وهى سابقة نادرة ، إذ من المعتاد إبقاء الملاحق والبروتوكولات السياسية والأمنية طى الكتمان ، لا الاقتصادية ، وهو ما يعكس (خطورة) الأبعاد والتنازلات والدلالات الاقتصادية لفحوى هذا البروتوكول الذى توصلت إليه إسرائيل وقيادة منظمة التحرير ممثلة بشخص السيد "أحمد قريع" (أبو العلاء) الذى لعب أهم وأخطر الأدوار فى (مفاوضات) أوسلو والوصول إلى إعلان المبادئ ، وهو أكثر الشخصيات الفلسطينية التى أظن الإسرائيليين فى مديحها والإشادة بخصالها الفكرية وحكمتها وبراجماتيته. وروى "شمعون بيريز" أنه اطلع على دراسة اقتصادية أعدها "قريع" عن مستقبل وامكانات التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط فى ظل السلام ، (فبهرته) طريقة التفكير التى أبدعتها رغم أنه لا يتفق مع كل ما جاء فيها!! ويؤكد "بيريز" أن تلك كانت نقطة الانطلاق بين الجانبين فى المباحثات السرية فى أوسلو !

على ذلك ، فالتحليل الاقتصادى فى هذا الحيز سيتناول :

١ - الجانب الاقتصادى فى إعلان المبادئ الموقع فى واشنطن فى ١٣ سبتمبر / أيلول ١٩٩٣ .

٢ - الملحقين الاقتصاديين للإعلان المذكور .

٣ - البروتوكول الثنائى للتعاون والعلاقات . الموقع فى باريس فى نهاية أبريل / نيسان ١٩٩٤ .

أولاً : إعلان المبادئ :

١ - جاء فى البند السادس - الفقرة الثانية - أنه بعد أن وضع الإعلان موضع التنفيذ سيتم نقل

السلطة إلى الفلسطينيين فى المجالات التالية : التعليم ، والثقافة ، والصحة ، والشؤون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة ، والسياحة .

وبدون التوقف طويلاً أمام عبارة (الفلسطينيين) التى لا تعنى بشكل محدد السلطة الفلسطينى ، فإن الفقرة تعنى أن إسرائيل تريد التخلّى عن المجالات غير المجدية اقتصادياً لها للجانب الفلسطينى . ومن الطبيعى أن تسارع إلى مثل هذا التخلّى الذى يزيح عن كاهلها أعباء مالية ضخمة لا عائد لها ولا مردود ، لأنها مجالات تتحمل الحكومات فى العادة الإنفاق عليها باعتبارها وظائف أساسية . وقد لا يحتاج الأمر للتذكير بأن السلطة الإسرائيلية لم تكن تقوم بهذه الوظائف والأعباء فى الأراضى المحتلة ، وإنما كانت تسعى لتحطيم التعليم الفلسطينى والجامعات وكذلك القطاع الصحى حتى أصبحت هذه القطاعات أشلاء لا حياة فيها وتتطلب عملية إعادتها للحياة والبدء مما دون الصفر . أما الإشارة إلى الضرائب المباشرة فبسببها أن السلطات الإسرائيلية كانت عاجزة بدرجة كبيرة عن جبيها من الفلسطينيين ، سيما بعد اشتعال الانتفاضة فى نهاية عام ١٩٨٧ ، حيث أمرت قيادتها الوطنية المواطنين عدم تسديدها للسلطة الإسرائيلية كجزء من نشاط الثورة المدنية . والملاحظة الأهم هنا أن الإسرائيليين لم يكتفوا بالزام الفلسطينيين بالقيام بوظيفة جابى الضرائب التى عجزوا عنها ، بل ألزمتهم أيضاً بتأسيس صندوق توضع فيه عائداتها ، ويكون تحت إشرافها هى ، لينفق منه بالإتفاق معها !

وبالمفهوم المخالف ، فالفقرة نفسها تعنى أن المجالات والقطاعات الأساسية والحيوية فى الاقتصاد الفلسطينى لن تسلم للفلسطينيين خلال مرحلة تطبيق الاتفاق ، ومرحلة الحكم الذاتى كالزراعة والصناعة والإسكان والموارد المائية ، والطاقة والكهرباء .

ولا حاجة للقول أنه بدون هذه الركائز لا وجود (لاقتصاد فلسطينى) مطلقاً ، وقد أبقتها إسرائيل تحت سلطتها وسيطرتها لأنها مجالات تدر عليها موارد مادية هائلة .

٢ - جاء فى البند السابع - الفقرة الرابعة - أنه (من أجل مساعدة المجلس الوطنى الفلسطينى المنتخب) على تشجيع النمو الاقتصادى فور إنشائه ، سيشكل المجلس ضمن أمور أخرى سلطة كهرباء فلسطينية ، وسلطة ميناء بحرى فى غزة ، ومصرف تنمية فلسطينى ، وهيئة تشجيع صادرات فلسطينية ، وسلطة إدارة مياه فلسطينية ، وأى سلطات يتفق عليها وفقاً للاتفاق الانتقالى .

ولا يعنى النص على هذا النحو حتمية نقل سلطة التقرير كاملة فى هذه القطاعات للجانب الفلسطينى ، وهو ما أكدته البروتوكولات والملاحق والمواقف الإسرائيلية لاحقاً .

٣ - جاء فى البند العاشر ، أنه (سيتم تشكيل لجنة ارتباط فلسطينية - اسرائيلية مشتركة لمعالجة قضايا تتطلب التعاون ، وقضايا أخرى ذات اهتمام مشترك) .

ومن الطبيعي أن هذه اللجنة ستكون مجرد هيئة مختلطة تخفى سلطة التقرير والحسم الإسرائيلية فى قطاعات الاقتصاد والتنمية الفلسطينية طوال فترة الحكم الذاتى ، وسيكون بمقدور الجانب الاسرائيلى ممارسة كل الصلاحيات لتوجيه الاقتصاد الفلسطينى لخدمة الاقتصاد الاسرائيلى ، كما هو الحال عليه اليوم .

٤ - اشار البند الحادى عشر إلى (تشكيل لجنة تعاون فلسطينية - اسرائيلية من أجل تطوير وتطبيق - ضمن روح تعاونية - البرامج المشار إليها فى البروتوكولات المرفقة (كالملاحق الثالث والرابع) وتعنى هذه الإشارة التأكيد على استمرار الارتباط الاقتصادى الفلسطينى باسرائيل كما تعنى أيضا استخدام هذا الارتباط الثنائى على النطاق الاقليمى ، أى لخدمة الأطماع اليهودية فى الوطن العربى ، كما أوضحت وحدته بجلاء الملاحق والبروتوكولات الملحقة

ثانياً : الملاحقان الاقتصاديان للإعلان السابق :

١ - يؤكد الملاحق الثالث فى مقدمته على (تشكيل لجنة اسرائيلية فلسطينية دائمة للتعاون الاقتصادى) . وكون هذه اللجنة دائمة لا يدع فرصة لأى احتمال بنشوء اقتصاد فلسطينى مستقل أو تنمية وطنية خارج السيطرة الاسرائيلية . وأضاف النص نفسه المجالات التى ستخضع لنشاط ورقابة اللجنة الدائمة ، وهى : المياه ، الكهرباء ، الطاقة ، المال ، النقل والاتصالات ، التجارة من محلية واقليمية ، انشاء مناطق حرة مفتوحة أمام الجانيين ، الصناعة والتنمية الصناعية ، العمل والضمان الاجتماعى ، تنمية الطاقات البشرية ، حماية البيئة ، وسائل الإعلام والاتصال وأى برامج أخرى ا والنص واضح بما فيه الكفاية ليعبر عن التصميم الاسرائيلى على ابقاء جميع مجالات وقطاعات ونشاطات الاقتصاد والمجتمع فى الكيان الفلسطينى تحت الرقابة والهيمنة . إذ لا إمكانية للحديث عن تعاون فى جميع هذه القطاعات بين طرفين مستقلين أو منفصلين ، فمجرد وجود تنسيق وتعاون وارتباط بين هذه القطاعات يعنى أن هناك اقتصاداً واحداً كما لا إمكانية للحديث عن تكامل وتعاون (متكافئ ومتوازن وعادل) بين اقتصادين أو طرفين ، يبلغ حجم الناتج القومى لأحدهما ٦٠٠ مليون دولار. والثانى ٦٠ (ستين بليون دولار)!!

والواقع المعروف أن ربط الاقتصاد الفلسطينى باسرائيل قد حدث منذ بداية الاحتلال ، وهو ربط هدفه الإلحاق والسيطرة ، والقضاء على مقومات المجتمع الفلسطينى ، فضلاً عن النهب بأجلى صوره كما فى قطاع المياه ، والإسكان ، والأرض والزراعة .. الخ . وعليه فتشكيل اللجنة الدائمة للإشراف على التعاون والتنسيق بين الطرفين هدفه إدامة عملية الربط والإلحاق بما فى ذلك اقتسام المكاسب التى سيحصل عليها الفلسطينيون لتحقيق أهداف اسرائيلية كبيرة على مستوى المنطقة مثل اقتسام موارد المياه فى عموم المنطقة ، وإقامة شبكة طرق ومواصلات حديثة تشمل المنطقة كلها وتتقاطع فى

اسرائيل، وتصدير الانتاج الاسرائيلى إلى الأسواق العربية مباشرة أو عبر شركات فلسطينية وهمية .
٢ - تشير الفقرة الرابعة من الملحق الثالث صراحة إلى أن اسرائيل (ستقتسم) الموارد المالية التى ستمنحها الدول الأجنبية والصناديق العالمية للشعب الفلسطينى لتنمية اقتصاده، فاعتبرت اسرائيل أن هذه المساعدات مخصصة للتنمية فى الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل على قدم المساواة .
٣ - الملحق الرابع مخصص بالكامل (للتعاون الاسرائيلى - الفلسطينى فى مجال برامج التنمية فى المنطقة) . وهو يعيد منذ البداية الإشارة إلى أهمية المساهمات الدولية والعربية المالية والاقتصادية فى وضع وإطلاق (مشروع للتنمية الإقليمية) يكون لاسرائيل نصيب فيه، رغم أنها تعتبر بكل المقاييس دولة متقدمة وغنية، لا دولة فقيرة ونامية مثل جميع الدول العربية والشرق الأوسطية .

٤ - وتعطى اسرائيل لنفسها سلطة تحديد مناحى المشروع المقترح سلفاً ومن جانب واحد . فهى تحدد فى الفقرة الثانية من الملحق الرابع (أو الثانى اقتصادياً) أن المشروع ينقسم إلى شقين : برنامج خاص بالضفة الغربية وغزة (أى تعويض ما نهبته اسرائيل وحطمته، من جيوب العرب والدول الأجنبية) وبرنامج آخر للشرق الأوسط يتضمن أولاً صندوقاً للتنمية ثم مصرفاً للتنمية فى مرحلة تالية .

وتحدد اسرائيل مجالات التنمية الدولية فى المنطقة بالقضايا ذات الأولوية والأفضلية حسب حاجاتها هى أولاً، كمسألة المياه والنفط والغاز وكذلك السياحة والنقل والمواصلات .

٥ - تلزم اسرائيل الجانب الفلسطينى فى التعاون معها فى كل ما سبق كما تلزم الاردن أن يدخل كشريك ثالث فى مجال التعاون المشترك لاستثمار منطقة البحر الميت، ومشاريع أخرى تعود بالنفع عليها بالدرجة الأولى وقد أعدتها (اسرائيل) وخططت لها منذ سنين، مثل قناة البحر الميت وهى إضافة إلى تخطيطها (حسب الاتفاق) لجر الاردن إلى ظل سيطرتها الاقتصادية وجعله جزءاً من منطقة نفوذها وممراً إلى الأسواق العربية، فى الخليج والعراق . تخطط للاستيلاء على حصة الأسد من بلايين الدولارات التى قد تخصص لمشروع مارشال جديد على مستوى الشرق الأوسط .

وتجدر الإشارة إلى أن الاقتراح الاسرائيلى الوارد فى هذا الملحق لإنشاء صندوق للتنمية فى الشرق الأوسط، سبق أن طرح غداة حرب الخليج وذكر حينها أن رأسماله سيتكون من رسوم ونسب محددة من واردات النفط أى من الأموال العربية، ولا يكفى اسرائيل ما سرقته ، وما ستسرقه بل تريد أن تستخدم الأموال العربية وعائدات البترول لتنمية اقتصادها وتقوية وسائل سيطرتها العسكرية والسياسية على الشرق الأوسط (٢٨)

ثالثاً : بروتوكول باريس التنفيذي :

وضع هذا الاتفاق، الصيغة التعاقدية التي ستحكم تعاون السلطة الاسرائيلية وسلطة الحكم الذاتي . وهي صيغة تعتمد على تأليف اللجنة الاقتصادية المشتركة التي ستعمل على وضع بنوده موضع التطبيق في المجالات والقطاعات الاقتصادية التي تتعلق بالضرائب وسياسة الاستيراد أولاً، والشؤون المالية والنقدية ثانياً، والضرائب المباشرة ثالثاً، والضرائب غير المباشرة رابعاً، ومسائل العمل والعمال خامساً، والزراعة سادساً، والصناعة سابعاً، والسياحة ثامناً، والتأمين تاسعاً، وهي قطاعات قسمها الخبراء إلى نسقين اثنين، الأول : نسق للمبادلات الاقتصادية والتجارية وما يتفرع عنها، والثاني : نسق يتعلق بالنظام النقدي .

ويمكن ايراد أهم الملاحظات العامة على النسقين ، اعتماداً على آراء الخبراء والمتخصصين على النحو الآتي :

١ - الوصف الأكثر دقة للنسق الراهن للمبادلات بين الضفة الغربية وقطاع غزة من جهة واسرائيل من جهة مقابلة ، أنه اتحاد اقتصادي انتقائي وغير متوازن يميل لصالح اسرائيل . إذ أنه يقوم على حرية انتقال البضائع والخدمات من اسرائيل إلى الأراضي الفلسطينية، ونسق انتقائي في انتقال البضائع والخدمات إلى الاتجاه المعاكس . فاسرائيل تصدر ما تريد بلا قيود إلى المناطق المحتلة ، بينما يصطدم الفلسطينيون بعقبات كداء في تسويق انتاجهم (الزراعي بصفة عامة) إلى أسواق اسرائيل ، وكذلك الأمر بشأن حرية العمل إذ يتمتع الاسرائيليون بحق الإقامة والاستثمار والعمل في الأراضي الفلسطينية على عكس الفلسطينيين في اسرائيل .

٢ - على الصعيد الجمركي يوصف الوضع الراهن بأنه (اتحاد جمركي) يقتضي اعفاء البضائع المنتجة محلياً والمتبادلة بين اسرائيل والمناطق الفلسطينية . وعلى العكس، تخضع البضائع المستوردة من الخارج إلى اسرائيل أو للأراضي الفلسطينية لضرائب جمركية اسرائيلية.

٣ - أهم الايجابيات التي حصل عليها الجانب الفلسطيني بموجب البروتوكول التنفيذي، تتمثل في فتح أسواق اسرائيل أمام المنتجات الفلسطينية (الزراعية) وإمكان تصديرها إلى الخارج والأسواق العالمية التي تربطها باسرائيل كما كان عليه الحال قبل الاتفاق .

٤ - أما أبرز السلبيات في نصوص البروتوكول فهي اخضاع استيراد البضائع والسلع التي تحتاجها الأراضي الفلسطينية، للضرائب التي تفرضها اسرائيل كما كانت في السابق مع اعفاء عدد من السلع الأساسية وإعطاء السلطة الفلسطينية حق تحديد الضرائب المناسبة عليها. (٢٩)

٥ - البروتوكول يكرس الاندماج القائم في ظل الاحتلال بين الاقتصاد الفلسطيني والاقتصاد الاسرائيلي . ولا يمكن وصف الاقتصاد الفلسطيني الذي سينشأ عن تطبيق الاتفاقات المعقودة بأنه

اقتصاد مستقل أو قابل للتطور نحو الاستقلال بأى شكل من الأشكال، بل يكرس الاندماج من موقع الإلحاق والسيطرة . وهذا ليس رأى المعارضين للاتفاق فقط، بل رأى أحد أبرز قادة منظمة التحرير المؤيدين للاتفاقات ولمسيرة السلام وهو "محمد زهدى النشاشيبي" عضو السلطة الوطنية (وزير شؤون التعاون مع الاردن) ونائب رئيس المجلس الاقتصادى للتنمية والإعمار (الفلسطينى) . إذ صرح بعد توقيع بروتوكول باريس بأن هذا الاتفاق جاء ليقطع من فرص فك الارتباط ويبقى الهيمنة التى فرضتها اسرائيل على الاقتصاد الفلسطينى . فالمقدمة قضت (بأن يتاح للطرفين الاستمرار فى التعاون فى المجال الاقتصادى من أجل إقامة قاعدة اقتصادية سليمة تنهض عليها العلاقات المشتركة) وهذا الأمر يتنافى مع هدفنا الأساسى فى بناء اقتصاد متحرر من التبعية التى فرضت عليه طوال فترة الاحتلال . (٣٠)

٦ - حتى الايجابية شبه الوحيدة للبروتوكول وهى حق السلطة الفلسطينية فى استيراد سلع معينة من الدول العربية وتحديد حجم الضرائب عليها بدون تدخل من اسرائيل، فإن (اللجنة المشتركة) تستطيع التدخل لتحديد الكميات التى يسمح باستيرادها من الأسواق العربية وتحديد حجم حاجة السوق الفلسطينية مع أن هذه الأمور يجب ألا تنأى عن أى سلطة غير السلطة الوطنية .

٧ - على صعيد النظام النقدى، فإن البروتوكول، أعطى الفلسطينيين حق تشكيل (مؤسسة النقد الفلسطينى) وهى حسب تقدير أنصار البروتوكول تحوز على ٩٠ فى المائة من صلاحيات وسلطات البنك المركزى باستثناء سلطة إصدار النقد .

ومع أن مسألة إصدار النقد الوطنى تعتبر أهم سمات الاستقلال الاقتصادى لأى دولة ، ومع التسليم ببعض الايجابية فيما حصل عليه المفاوض الفلسطينى فى مجال النظام النقدى فلا يمكن التهور من حجم السلبية المتمثلة فى فرض اسرائيل بقاء عملتها (الشيكل) عملة أساسية فى المناطق الفلسطينية ورسمية فى جميع المبادلات إلى جانب الدولار والدينار الأردنى كما ألزم البروتوكول الجانب الفلسطينى بالترخيص لفروع البنوك الاسرائيلية القائمة الآن فى الأراض الفلسطينية .

٨ - اعترف الخبراء الفلسطينيون المؤيدون للاتفاق قبل سواهم من المعارضين أن توجهات البروتوكول التطبيقى تتنافى مع الالتزامات والتعاقدات الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية وكل من الاردن ومصر فى السابق مما يؤشر إلى تعمد الجانب الاسرائيلى تحطيم العلاقات والأواصر الطبيعية التى يفترض أن تكون موجودة وأن تتطور بين الاقتصاد الفلسطينى والدول العربية، ولاسيما الاردن ومصر . مما سيؤدى إلى تكريس تبعية الاقتصاد الفلسطينى لإسرائيل وبقائه محتلاً ورازحاً تحت ضغوط وأعباء تمنعه حتماً من النمو والنهوض . (٣١)

٩ - من الواضح أن التنازلات الضخمة الإضافية فى بروتوكول باريس لم تصحح الانحراف والخلل

فى اتفاق المبادئ الأساسى بل كرسنه وعمقته . وقد تعرض الجانب الفلسطينى قبل التوقيع عليه لضغوط شديدة، كان أبرزها الضغط السياسى المتمثل فى تأخير تنفيذ اسرائيل للاتسحاب من قطاع غزة وأريحا، وتسليمها السلطة الفلسطينية طوال فترة المفاوضات التى استغرقت أكثر من تسعة شهور، قبل إلزام منظمة التحرير بقبول وتوقيع البروتوكول الاقتصادى، فكان هذا ثمناً اقتصادياً باهظاً لتمرير الجانب السياسى المتعلق بالاتفاق التنفيذى لإعلان المبادئ أى اتفاق تسليم غزة وأريحا للشرطة (لا للسلطة) الفلسطينية . وألح البروفسور البريطاني "روجر أدين" إلى أنه **لولا التوقيع على البروتوكول الاقتصادى لما سلمت اسرائيل غزة وأريحا** . ويدل هذا المثال على طريقة التعامل الاسرائيلية مستقبلاً بخصوص جميع المسائل والقضايا المتعلقة بالتعاون مع الفلسطينيين فإذا ما رفض هؤلاء أى مطلب اسرائيلى فى مجال من المجالات الكثيرة التى وردت فى الاتفاقات بين الجانبين، فسوف يجازفون فوراً بإيقاف اسرائيل لمسيرة السلام أى الامتناع عن استكمال حلقات المسلسل السياسى للكيان الفلسطينى . وكانت ثمة آمال خامرت قادة منظمة التحرير عقب توقيع إعلان المبادئ بإمكان معالجة الأخلال (جمع خلل) والفجوات الفادحة فى الإعلان وملاحقه الاقتصادية لاحقاً. وقد روى السيد "هانى الحسن" أنه قال لـ "عرفات" أن الجانب الاقتصادى من الإعلان حافل بالانحرافات والتنازلات الباهظة فأقر "عرفات" ووعد بتصحيح ذلك فى البروتوكول التطبيقى فجاء هذا ليعمق الانحرافات بدلاً من أن يقلل منها . (٣٢)

١٠ - وينظرة أعمق لردود الأفعال على البروتوكول الباريسى نرى أن المسألة لا تقتصر على اضطراب الجانب الفلسطينى لدفع فاتورة اقتصادية لقاء المكاسب السياسية المتواضعة وإنما تكشف عن عمق مفهوم الارتباط باسرائيل فى رؤوس ونفوس بعض الشرائح الفلسطينية وتأييدهم لخيار التعاون والتكامل مع اسرائيل فى المجال الاقتصادى أولاً. يدل على ذلك أنه كان بإمكان المفاوض الاقتصادى رفض الموافقة على شروط اسرائيل فى البروتوكول التطبيقى، بدون خسائر كبيرة ، فتأخير الانسحاب الاسرائيلى من غزة وأريحا ، يشكل ضغطاً داخلياً وعالمياً على اسرائيل أيضاً وبدرجة اكبر مما هو على الجانب الآخر .

وإذا ما أضفنا إلى التوقيع (الذى يعنى الموافقة المنطوية على حد أدنى من الاقتناع) تلك التصريحات السعيدة بالبروتوكول والتى صدرت عن (خيلو اوسلو) التى قادت المفاوضات بنفسها فى باريس ومهّرت البروتوكول بتوقيعها من ناحية، وبالتهرب الفلسطينى المستمر طوال تلك الفترة من التنسيق مع الجانب الاردنى فى المجال الاقتصادى نفسه رغم المناشدات والمطالبات من ناحية ثانية، لوجدنا أن العوامل تضافرت لتعبيد طريق لا رجعة منه . فقد برر المفاوض الأول فى مباحثات باريس الإقتصادية "أحمد قريع" التوقيع على البروتوكول بأنه إنجاز كبير (١١) ودافع عنه بقوله أنه (نقل

حالة الفلسطينيين من التبعية إلى حالة القرار بالتعاون أو عدمه مع الاسرائيليين) . أما المفاوضات "ليلي شهيد" (مثلة المنظمة في باريس) فقالت **أن الاتفاق أنقذ علاقات الفلسطينيين المميزة مع العالم العربي، وبخاصة مصر والاردن** ولكننا إذا سمعنا تصريحات المفاوض الاسرائيلي وزير المال "ابراهيم شوحاط" نجد تقييماً معاكساً تماماً إذ قال : **"ان الاتفاق (البروتوكول) سيسمح بحياة مشتركة جديدة بين الشعبين وسيشكل أيضاً معبرا إلى بقية الدول العربية"** .
 ترى من نصدق؟! (٣٣)

وإذا كان المفاوضون الفلسطينيون في المجالات السياسية أبدوا قدراً كبيراً من الضعف وقلة الخبرة، فأنتهم في المفاوضات الاقتصادية أبدوا قدراً عظيماً من الخيلاء الساذجة والزهو الفارغ فالسيد "قريع" يقول أنه (وائق من أن فتح الأسواق الاسرائيلية أمام المنتجات الفلسطينية سيأتى بالازدهار وأن المزارع الفلسطيني سينتصر في عملية المنافسة) إذن فهو خيار واع لا استجابة اضطرارية أولاً . والفلسطينيون سوف يتفوقون على اسرائيل كما تفوقت اليابان على سيدها الأميركي ا ثانياً . وهذا المعنى الأخير يبدو أنه معشش في رؤس قادة المنظمة فالسيد "ياسر عرفات" نفسه كرر هذا المعنى مراراً وأكد أن دولته الفلسطينية العتيدة ستصبح نمراً من نمور شرق آسيا ، وقال أعوان "عرفات" الآخرون أن هذه الدولة ستكون سنغافورة الشرق الأوسط . والخيلاء صنو الجهل طبعاً فالذين نطقوا باسم سنغافورة لا يعرفون عما يتكلمون ولا يعلمون أن سنغافورة هي صورة أخرى للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، صنعها البريطانيون لكي تكون أداة هيمنة على جيرانها . والواضح أن مثال سنغافورة ينطبق على اسرائيل ، وينطبق على أطماعها الاقتصادية في الشرق الأوسط ، فإذا كان الفلسطينيون يدركون هذه الحقيقة يضعون أنفسهم في خدمة المصالح الاسرائيلية، فالطامة أكبر . (٣٤)

الحق أن الاسرائيليين هم الذين استلهموا واستوعبوا تجارب الاستعمار القديم والحديث، وتجارب الامبرياليات المعاصرة والسابقة من إبادة الأميركيين للهنود الحمر إلى جنوب أفريقيا إلى نماذج التنمية في شرق آسيا ، وقاموا بإعداد دراساتهم على ضوء ونتائج تلك التجارب والنماذج، واستخلصوا منها ما يمكنهم التعامل مع المشكلة الفلسطينية ، والسيطرة على المنطقة العربية برمتها . وربما كان النموذج الذي يخططون لإقامته في الشرق الأوسط أقرب إلى نموذج (هونغ كونغ) وإن كان في واقع الأمر مزيجاً من كل تلك التجارب وهو على أي حال يستحق وقفة خاصة به .

هونغ كونغ الشرق الأوسط

لو راجعنا المخططات الاسرائيلية، في صده الضفة الغربية وغزة منذ احتلالها عام ١٩٦٧ لرأينا أن فكرة تحويلها إلى كيان (فلسطيني) يخضع لشكل غير مباشر من أشكال السيادة الاسرائيلية من

ناحية ويكون معبراً إلى العالم العربى بأسواقه وثرواته ومزاياه المغرية . تمخضت عبر الوقت وخلال تطور الأفكار الاسرائيلية، منذ أواخر الستينيات وتحددت بصورة جلية ونهائية منذ منتصف السبعينيات أى قبل عشرين سنة من ظهورها فى (العملية السلمية والاتفاقيات الاسرائيلية - الفلسطينية) وفيما يلى يمكن الإشارة إيجازاً إلى أهم مراحل نشوء وتبلور الفكرة، والحديثيات التى رافقتها :

أولاً : بعد أيام قليلة فقط من الاستيلاء على الضفة الغربية اتخذت السلطات الاسرائيلية (قرارات) على جانب كبير من الأهمية، وذات دلالة قطعية على أنها وليدة دراسة مسبقة ، تتضمن : فتح الجسور بين الضفة الغربية والضفة الشرقية (أى الاردن) وقد لحظت هذه القرارات بصورة رئيسية حركة السلع من الغرب فى اتجاه الشرق . وفى مرحلة تالية سمحت اسرائيل بحركة السلع فى الاتجاهين وبات الآن معروفاً أن إسرائيل كانت تصرف جزء من إنتاجها عبر الجسور المفتوحة فى الأسواق العربية وتضمنت القرارات الاسرائيلية منذ ذلك الوقت السماح للمواطنين الفلسطينيين بالعمل فى اسرائيل، حتى عدد العاملين منهم فى غضون خمس سنوات فقط نحو ١٢٠ ألف عامل . وفى عام ١٩٧٤ كان ما نسبته ٣١٪ من القوى الفلسطينية العاملة يعمل فى اسرائيل .

وفى عام ١٩٦٨ افتتحت السلطة الاسرائيلية ١٩ مركزاً للتدريب المهنى فى الضفة الغربية وأنشأت عدداً آخر فى غزة ووضعت مزايا مالية للدراسين فيها بغرض اجتذابهم . وسعت هذه المعاهد إلى تخريج عمالة فلسطينية فى التخصصات التى تحتاجها سوق العمل الاسرائيلية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هيئات أمريكية حكومية شاركت فى البرامج الاسرائيلية تخطيطياً وتقنياً ، مما يعكس ويجسد التعاون بين الطرفين فى هذا المجال، كما فى سواء من مجالات وأوجه القضية الفلسطينية

وفى عام ١٩٦٨ أيضاً، وضعت وزارة الزراعة الاسرائيلية خططاً لتطوير الزراعة فى الأراضى المحتلة، بحيث لا تنافس ولا تؤثر سلباً على انتاج اسرائيل الزراعى ، وبشكل يخدم عمليات التصدير إلى أسواق أوروبا أولاً، والأسواق المحلية فى الشرق الأوسط ثانياً . وفى عام ١٩٦٩ أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن حوافز للاستثمار فى الأراضى العربية المحتلة، ورحبت بالاستثمارات الأجنبية أمريكية وأوروبية و(عربية) ١ .

وفى طريق مواز لهذه التدابير الاقتصادية، كانت هناك إجراءات وخطط سياسية مواكبة ، ركزت على انشاء :

(ادارة ذاتية للأراضى الفلسطينية المحتلة) فعملت على اجراء انتخابات محلية وشجعت على ظهور طبقة تكنوقراطية وادارية جديدة ونظيفة، تكون وسيطة بين السلطة العسكرية للاحتلال والشعب

الفلسطينى ودعمت أى قيادة محلية غير تقليدية أى غير موالية للسلطة الاردنية السابقة، ومستقلة فى الوقت ذاته عن نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية والحركات الفدائية الأخرى . وفى عام ١٩٧١ طرح الاسرائيليون علناً أول مشروع عملى ومتكامل للحكم الذاتى الفلسطينى، وحاولوا تطبيقه وتنفيذه بمناسبة الانتخابات التى جرت فى الأراضى الفلسطينية فى شهر تشرين الأول/ اكتوبر من ذلك العام .

وفى عام ١٩٧٥ حدث تحول نوعى فى هذا السياق ، عبر عنه تزعم "شمعون بيريز" (وزير الدفاع يومذاك) مشروع إقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة، كما حظى المشروع بمساندة "ايغال آلون" (وزير الخارجية) وباقى زعماء حزب العمل، وفى مقدمتهم سكرتيره العام السابق "آرييه ياناف" الذى انتقد بحدة عام ١٩٧٤ الحكومة قائلاً : "لقد أصبنا بالعمى عام ١٩٦٧ لأننا لم نعترف بالشخصية الفلسطينية ، ونسمح بإنشاء حكم ذاتى حقيقى وفوراً على أساس الهوية الفلسطينية الوطنية، ولو أننا حققنا ذلك لقطعنا الطريق فى وقت مبكر على منظمة التحرير ومنعناها من فرض نفوذها على الفلسطينيين فى الضفة والقطاع" .

لقد تبلور فكر حزب العمل، وقر قراره فى شأن مستقبل الأراضى الفلسطينية التى تم الاستيلاء عليها عام ١٩٦٧ ، وأصبح الحكم الذاتى مبدأ ثابتاً فى برامجه وخطط حكوماته . ولم يبق سوى طريقة تنفيذ المشروع ، ولكن هذه لم تكن مسألة هينة أو بسيطة فى ظل الأوضاع وموازين القوى الاقليمية والدولية، وتعاضم أهمية منظمة التحرير الفلسطينية العسكرية والسياسية، ثم ان المشروع أصيب بنكسة شديدة فى عام ١٩٧٧ اثر فشل حزب العمل فى الانتخابات العامة، وفوز الائتلاف اليمينى (الليكود) بزعامة الصقور المتطرفين ، "مناحيم بيغن"، و"اسحاق شامير" و"اريل شارون" الخ ، وحدث انعطافات هامة فى الساحة العربية، أهمها غرق منظمة التحرير الفلسطينية فى أحوال الحرب الأهلية فى لبنان، خروج مصر من ساحة الصراع مع اسرائيل بعد زيارة الرئيس "انور السادات" إلى القدس وتوصله إلى صفقة منفردة مع اسرائيل مثلت جائزة ثمينة للتيار اليمينى الدينى المتطرف الرافض لأى شكل من أشكال الاعتراف بالشعب الفلسطينى أو هويته الوطنية، أو حقوقه، ودعماً لمشاريع هذا التيار المتمثلة فى احياء أفكار إمكان إبادة الفلسطينيين أو تهجيرهم والقضاء على حقوقهم قضاء تاماً .. الخ

ويمكن تلمس نتائج التغييرات الجوهرية والجذرية فى سياسة الاحتلال بعد تسلم اليمين الليكودى للسلطة فى اسرائيل، فى تفاقم الأوضاع المعيشية والاقتصادية والسياسية للشعب الفلسطينى، وتضاؤل الآمال بالوصول إلى حلول سلمية للصراع مما أدى إلى انفجار الانتفاضة الشعبية الفلسطينية العارمة منذ ١٩٨٧ . والواقع أن حزب العمل كان منذ بداية الإحتلال عام ١٩٦٧ قد وضع صمامات

أمان حدث من تفاقم الظروف الصعبة للفلسطينيين على الصعد المعيشية والاقتصادية إلى درجة الانفجار ، كما ترك الآمال حية دائماً باحتمال الوصول إلى صيغة تسوية تعترف بهوية الشعب الفلسطيني وتقر له ببعض الحقوق في أرضه ولم يكن عبثاً أو بلا معنى أن تنخفض نسبة البطالة بين الفلسطينيين عام ١٩٧١ إلى أقل من ٣٪ وأن ترتفع في العام نفسه مستويات المعيشة بنسبة ١٥٪. وربما يجوز التكهن بأن الوصول إلى تسوية ما كان احتمالاً ممكناً في وقت مبكر عن التسعينيات لو أن حزب العمل لم يخرج من السلطة في ١٩٧٧ ويظل بعيداً عنها حتى عام ١٩٩٢ والمقصود هنا بالتسوية الممكنة مثال التسوية البائسة التي حدثت عام ١٩٩٣ .

ثانياً : في منتصف ١٩٦٩ ناقشت حكومة حزب العمل دراسة شاملة أعدتها جماعة من الباحثين والخبراء تعرف باسم (ريخوفوت) أسسها "عاموس دي شاليت"، وضمت أساتذة من جامعتي القدس وتل أبيب ومعهد وايزمان إضافة إلى عدد من كبار خبراء وتقنيي الحكومة. وانتهت الدراسة بمجموعة توصيات مرفوعة إلى الحكومة، كان أهمها : (٣٥)

١ - تطوير المناطق المحتلة اقتصادياً، وخلق عوامل السلام والعلاقات الطبيعية مع الدول العربية.
٢ - العمل على جعل الضفة الغربية صورة مشابهة للمستعمرة البريطانية المزدهرة (هونج كونج) أى يجب أن يكون الهدف جعل الأراضي الفلسطينية كياناً ذا هوية فلسطينية، وفي الوقت نفسه يبقى "محمية" إسرائيلية تحوز على رضا السكان بالسيادة الاسرائيلية كما هو رضا الصينيين في هونج كونج بالسيادة البريطانية .

وكذلك يجب ان تحوز على موافقة الدول العربية كما هو شأن (الصين الشعبية) الموافقة على استمرار المقومات التي وضعتها بريطانيا لهونج كونج والمحافظة على خصوصيات المستعمرة حتى بعد ازالة الحماية البريطانية في نهاية التسعينيات .

وتشدد هذه الفقرة على ضرورة الحصول على رضا الجانب الفلسطيني لأنه شرط للحصول على موافقة الدول العربية، ولكي يتحقق ذلك لابد من انعاش الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للفلسطينيين في الأراضي المحتلة، والعمل في الوقت ذاته على ربط الاقتصاد الفلسطيني فيها بمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي ربطاً محكماً والاستعانة بالولايات المتحدة في هذا المجال، وجذب الاستثمارات الأجنبية وخلق فرص الاستثمار .

٣ - العمل على تطوير مينائى أسدود وغزة ، بحيث ينافسان ميناء بيروت لأغراض التوازنات من وإلى الأردن . والبحث عن سبل تكفل تعزيز سياسة الجسور المفتوحة مع الاردن ومع لبنان في مرحلة تالية .

ثالثاً : وعلى غرار فكرة هونج كونج، التي استوحاها الفكر الاسرائيلي من التجارب الاستعمارية

لبريطانيا (العظمى)، فقد استلهم الاسرائيليون فكرة أخرى من التجارب الأمريكية هي تجربتهم مع اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي يصور عمق الارتباط الذهني والنفسى بين الحركة الصهيونية، والغرب بصفة عامة، والتجارب الاستعمارية والامبريالية فيه بصفة خاصة.

ففى يناير /كانون الثانى عام ١٩٧٠ ألقى رجل الاقتصاد الاسرائيلى المعروف "دان بافلى" محاضرة أمام الجمعية الانجليزية - الاسرائيلية، شرح فيها جهود اسرائيل لاستلهم العبرة من عملية الاحتلال الأمريكى لليابان، فى سعيها لإقامة كيان فلسطينى وتحقيق (السلام) مع الفلسطينيين، والعرب.

وقال "بافلى": (لا يوجد فى التاريخ المعاصر، علاقات شبيهة بتلك القائمة بين اسرائيل والعرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أنه من الممكن استلهم تجربة الأمريكين فى اليابان بعد احتلالها عام ١٩٤٥. فقد ساهمت الولايات المتحدة فى إعادة إحياء الاقتصاد اليابانى وتنظيم المؤسسات السياسية والمدنية، وعملت على خلق نظام حياة وحكم على الأسس الديمقراطية، ولم يقبلوا بتوقيع معاهدة صلح مع الحكومة اليابانية إلا فى عام ١٩٥٤ بعد تسع سنوات من الاحتلال وبعد اجراء انتخابات حرة وبعد توطد وترسخ التحول اليابانى نحو الديمقراطية والاندماج فى النظام الدولى. ومع ذلك اشترط الأمريكيون الاحتفاظ بقوات عسكرية دفاعية فى اليابان إضافة للقوات البحرية فى المنطقة بالقرب من سواحل اليابان. (٣٦)

وجدير بالذكر أن أهمية هذه الأفكار تعود إلى أن صاحبها، شغل منصب المستشار الأول للحاكم العسكرى فى الأراضي المحتلة بعد الاحتلال مباشرة ولسنوات، مما أتاح له خبرة ميدانية ومباشرة كرجل اقتصاد، كما أنه اتيح له وضع الكثير من أفكاره موضع التطبيق العملى فى الضفة الغربية منذ الأيام الأولى بعد الاحتلال.

ومن اليسير على المراقب والمحلل أن يجد أن مجمل هذه الأفكار الاسرائيلية، هى التى شغلت سطور وصفحات الاتفاقيات الفلسطينية الاسرائيلية، بدءاً من اتفاق أوسلو، وانتهاء إلى اتفاق باريس. كما لا زالت تمثل جوهر ومحتوى الأفكار والمخططات الاسرائيلية المطروحة بالنسبة لمستقبل الكيان الفلسطينى أو العلاقات التى ستنشأ مع الدول العربية، الأمر الذى يعكس تواضع التأثير الفلسطينى والعربى بصفة عامة فى مشاريع السلام المطروحة، بل المقروضة عليهم فرضاً.

وبعبارة أخرى وأخيرة، فإن الاتفاقيات التى جرى التوصل إليها بين الدولة اليهودية والأطراف العربية هى فى واقع الأمر ثمرة للمشاريع والخطط والبرامج الاستراتيجية، أكثر منها ثمرة للمفاوضات الثنائية أو الجماعية.



الجزء الرابع

قراءة أدبية وإيديولوجية للاتفاق

للمرة الأولى منذ فتح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بيت المقدس في عام ٦٣٧م وطرد العرب المسلمون جحافل الروم الذين كانوا يفرضون سيطرتهم بالقوة على بلاد الشام .. للمرة الأولى منذ ذلك الوقت، لم يتنازل العرب عن "عروبة" فلسطين والقدس . ولم يعترفوا بسلطة أو حكم أى جهة أجنبية استولت عليها . لقد وقع احتلال فلسطين عدة مرات بعد القرن السابع ، وخرجت من يد العرب والمسلمين، كان أبرزها في عصر الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين (٩٥-١٠٩٥-١١٨٧) قبل أن يحررها "صلاح الدين الأيوبي" اثر حرب حطين .

والمهم أن العرب والمسلمين لم يعترفوا بسلطة الافرنج على فلسطين رغم طول الزمن واستقرارهم وهيمنتهم عليها ، نعم توقفت الحروب فترات طويلة ، وعقدت اتفاقيات هدنة وظهر من الأمراء والحكام العرب من تعاون مع الافرنج، ولكن لم يحدث على الإطلاق اعتراف عربى جماعى بالدولة الصليبية في فلسطين، أو تنازل عن الحقوق فيها وظل مثل هذا الأمر حراماً وباطلاً، نظراً لمكانة هذا الجزء من بلاد العرب والمسلمين روحياً وجغرافياً وسياسياً . وقد تكرس في الوعي القومى والدينى منذ القديم والى اليوم اعتقاد راسخ يشمل المسلمين والمسيحيين معا أن التنازل عن فلسطين أمر غير قابل للتحقق أصلاً نظراً إلى أن شأنها لا يهم سكانها أو شعبها فقط وإنما يخص العرب والمسلمين كافة لا في عصر أو جيل أو زمن معين ولكن في كل العصور والأزمان والأجيال ومن اليديهي أنه لا أحد يملك صلاحية تمثيل الأمة على هذا

النحو بل أن فئة من اليهود ذوى الأصل الفلسطيني والعربي الخالص يشاركون المسلمين الايمان بهذا القانون ويعتقدون أن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين يتناقض مع التوراة، ولا زال زعماء وأبناء هذه الطائفة (ناطورى كارتا) يرفضون بعناد أن يحملوا الجنسية الاسرائيلية أو أى وثيقة من وثائقها القانونية. (٣٧)

اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل إذاً يتناقض تناقضاً حاداً مع معتقدات العرب والمسلمين كافة، ويتنافى مع حقائق وطبائع قضية فلسطين ومكانتها ، ولن يكون له أثر فى واقع الأمر لدى عامة المسلمين وجماهيرهم، وأى استهانة بهذه الحقائق والمعتقدات من قبيل الجنون والانتحار .

وتزداد خصوصية هذه القضية لأن (اسرائيل) ليست دولة استعمارية عادية، مثل بريطانيا التى احتلت فلسطين لمدة نصف قرن ولكنها دولة يهودية قائمة على أسطورة دينية زائفة تحاول إحياء مملكة بنى إسرائيل التى انتهت فى فلسطين فى القرن الثامن قبل الميلاد (٧٢١ ق.م) وعملية الإحياء تتضمن بالضرورة نقيضاً كاملاً للهوية الإسلامية والمسيحية والعربية ، وخاصة لمدينة القدس وقد شرع الإسرائيليون منذ قيام دولتهم فى تدمير المقدسات الإسلامية والمسيحية فعلاً وإزالة الطابع العربى، وتهويد كل المدن والقرى والأماكن. (٣٨)

واسرائيل أيضاً دولة عنصرية تقوم على عقيدة صهيونية - يهودية تجعل من شعبها المزعوم عنصراً سامياً فوق البشر والأمم الأخرى ويحوز تفويضاً إلهياً وسماوياً لإبادة سواهم واستخدامهم لأغراضهم .

ومع هذه العقيدة التى خرجت من أفكارها القوانين والنظم الإسرائيلية يستحيل التعايش أو المساواة أو العدل بين الشعب اليهودى والشعب الفلسطينى الأصلى بطوائفه الإسلامية والمسيحية .

واسرائيل أيضاً دولة استعمارية، وامبريالية ، ترتبط بمصالح وعلاقات عضوية مع العالم الامبريالى لا يمكن فصلها أو حتى التأثير فيها وهى بالتعاون مع هذا العالم تطبق مشروعاً تاريخياً أو استراتيجياً بعيد المدى للسيطرة على الوطن العربى والتحكم بمقدراته ونهب ثرواته وتغيير أوضاعه وطبيعته بما يكفل استمرار تلك المصالح . على هذا فاسرائيل ليست (دولة، فقط بل هى كيان استعماري استيطاني، امبريالى) وهى أيضاً توسعية، تمتد أطماعها لعموم الوطن العربى وخصوصاً للأجزاء التى عاش فيها يهود فى ماضى الدهور فى العراق ومصر والجزيرة العربية، فضلاً عن بلاد الشام عامة . ولا يحتاج التوسع الاسرائيلى إلى جدل، فهو الطابع الظاهر والواضح فى سياستها العدوانية منذ قيامها . وهى رفضت أى تسويات سياسية، بل استغلت هذه دائماً لتحقيق المزيد من التوسع، سواء كان هذا التوسع جغرافياً مباشراً أو على شكل نفوذ سياسى واقتصادى كما هو شأن

خطة السلام أو الاستسلام التى تطرحها اليوم على العرب إذ تهدف من هذه المرحلة إلى تحقيق التوسع والسيطرة الاقتصادية والسياسية فى الدرجة الأولى .

هذه المفاهيم أو الحقائق لا يمكن اغفالها أو تناسيها فى أى لحظة من لحظات التفكير فى إسرائيل أو فى التعاطى معها سلباً أو ايجاباً أو فى مواجهة أفكار ومشاريع السلام المطروحة حالياً . وإلا فإننا نخون ذاتنا وتاريخنا وتراثنا ، ونخون مصالحنا ومصالح أمتنا فى الماضى ونجازف بتعرض مستقبل أمتنا لأشد الأخطار ، ونعرض الوطن العربى بأسره للضياع لا فلسطين وحدها . وعلى أساس هذه المفاهيم والقوانين تجب محاكمة اتفاقات السلام التى أبرمتها قيادة منظمة التحرير ، وأعطت نفسها سلطة التصرف والتنازل عن حقوق لا يملك أحد التفريط بها . ومع ذلك فسوف نحاكم هذه الاتفاقات محاكمة واقعية وبناء على مبادئ المصلحة الوطنية والواقعية السياسية كما فعلنا قبل قليل حين فندناها بمعايير القانون الدولى والشرعية العالمية المعاصرة والمفاهيم المتفق عليها فى هذا الزمان .

فى سبيل التسوية وهى عملية تعنى بالضرورة حلولاً سياسية وسطى بين متنازعين ، قبلت قيادة منظمة التحرير إلغاء عدد من مواد ميثاقها الوطنى الذى يعتبر الدستور السياسى والأدبى للشعب العربى الفلسطينى . وتحتوى المواد الملغية ، توصيفاً وتكييفاً قانونياً للأخطار التى استهلكتنا بها هذا الجزء ، حول طبيعة الصهيونية والحقوق العربية فى فلسطين ، والموقف فى الكيان الاسرائيلى . وجاء الإلغاء بناء على إصرار إسرائيل المسبق وهو أمر طبيعى ومفهوم ، غير أن استجابة الجانب الفلسطينى على العكس ، أمر غير طبيعى وغير مفهوم ولا تقتصر أهميته على تنازل (أدبى) هين ، لأن الموقف العربى من إسرائيل ، موقف مركب كما ذكرنا ، باعتبارها دولة استعمار استيطانى توسعى عنصرى من غير الممكن واقعياً التوصل إلى تسوية ولو مرحلية معها بدون إجبارها على اجراء تغييرات جوهرية فى طبيعة برنامجها السياسى (الصهيونى) الذى يتضمن بوضوح مبادئ وأهدافاً تتعلق بحقوق الشعب اليهودى فى عموم فلسطين والوطن العربى . ومبادئ عنصرية صارخة وسافرة تمارس يومياً ومنذ نصف قرن على من بقى من الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال .

إن الموقف من هذه القضية ، يشبه الحالة التى كانت سائدة فى جنوب أفريقيا قبل إنهيار النظام العنصرى . ومنظمة التحرير الفلسطينية تشبه منظمة المؤتمر الوطنى الافريقى التى قادت كفاح الشعب الأفريقى ضد النظام الإستيطانى العنصرى . ولم تقبل أى مساومة أو تسوية للمسألة العنصرية رغم التضحيات الجسيمة والشمينة التى قدمت وأصرت قيادة المؤتمر الوطنى ممثلة "بنيلسون مانديلا" ورفاقه على حقها المشروع فى ممارسة الكفاح المسلح وعدم نبذ العنف حتى ترضخ الأقلية البيضاء للمطالب الوطنية للسود . قبلت القيادة قيام نظام تعددى يحفظ للبيض المهاجرين أصلاً من أوروبا

حقوقهم وقبلت مشاركتهم فى السلطة . ولكن على أساس ديمقراطى ينزع الامتيازات العنصرية، وإلغاء نظام الأبارتهيد أو نظام الفصل والتمييز العنصرى، أى تصفية النظام السابق تصفية تامة .

أما قيادة منظمة التحرير الفلسطينية فقد تنازلت عن كل مبادئها وحقوقها فى هذا الصدد وبدون أى مقابل من الجانب الآخر . فالنظام الصهيونى العنصرى والاستيطانى، لا يزال مطبقاً، ومشروعاً فى قوانين ودستور الدولة العبرية . وسيظل هكذا رغم وجود نحو مليون فلسطينى داخل الدولة تطبق عليهم القوانين العنصرية، تجاهلهم الاتفاق تماماً، وقد يتعرضون لمصير أسوأ فى مفاوضات المرحلة النهائية إذا ما أصرت إسرائيل على تجريدهم من حقوقهم القليلة التى اكتسبوها نتيجة لجنسيتهم الاسرائيلية . ذلك أن العامل الديمغرافى الفلسطينى من جهة والنقاء العرقى والدينى للدولة اليهودية من جهة ثانية، هما فى مقدمة أهداف زعماء إسرائيل من هذه التسوية . كما أن قوانين وتشريعات الدولة الصهيونية العنصرية ستستمر مطبقة بهذا الشكل أوداك الشكل على الكيان الفلسطينى المأمول، لأن المستوطنات والمستوطنين اليهود سيبقون تحت الحماية الاسرائيلية وكذلك السيادة العامة على هذا الكيان بما فيه العرب الفلسطينيون . لم تقترب منظمة التحرير الفلسطينية، ولا أى جانب عربى آخر من هذه المسألة وكأنها شأن داخلى من شؤون الدولة العبرية، لا قسمهم ولا يحق لهم التدخل فيها مع أنها تدخلت فى مثل هذه الشؤون العربية فتبنت أو اصطنعت قضية حقوق اليهود فى البلاد العربية بما فيها الذين هاجروا اليها وطالبت باستعادتها . وطالبت بتعديل الميثاق الوطنى الفلسطينى، وطالبت بتعديل برامج التربية والتعليم فى مصر من خلال "كامب ديفيد" لإلغاء كل ما يعادى إسرائيل والصهيونية ويسىء لليهود بما فى ذلك النصوص القرآنية أو الدينية.. وطالبت بفرض رقابة على المواد الصحافية والإعلامية لمنع أى شىء من ذلك . وهى تضع هذا الشرط فى صلب مشروعات السلام مع الدول الأخرى، سوريا والاردن ولبنان باعتباره جزءاً من مفاهيم السلام الشامل والكامل شأنه شأن إلغاء الحرب، وفتح الحدود والتنمية المشتركة . ولقد ضغطت إسرائيل وما زالت تضغط لإزالة كل ما من شأنه التعبير عن (القومية العربية) فكراً وفعلأ . فهى رفضت وما زالت أى مشاركة فى المفاوضات على أساس وفد عربى مشترك ، رفضت وما زالت أى دور للجامعة العربية، وتطالب بحلها على المدى البعيد تمهيداً لقيام رابطة أو جامعة شرق أوسطية . وهى اعتبرت (القومية العربية أو الوحدة العربية) ايدولوجية هدامة وخطرة موجهة ضدها منذ الخمسينيات حتى اليوم، ومع أن العروبة حقيقة تاريخية ساطعة كالشمس ، ومع أنها ذات مفهوم إنسانى وتحرورى ايجابى، على عكس الصهيونية، فإن كثيرين فى الساحة العربية قبلوا المساواة نظرياً بين العروبة والصهيونية، وبعضهم قبل المقايضة بينهما ، لكن الممارسة الفعلية لإدارة المفاوضات وإدارة عملية السلام من الجانب العربى والجانب الفلسطينى ، وهو الأدهى والأمر

والأخطر قبلت التضحية بكل مفاهيم العروبة ومبادئها ومقتضياتها، دون أن تطالب الطرف الإسرائيلي بالتراجع والتخلي عن المفاهيم الصهيونية والعنصرية من قوانينه ونظمه الداخلية وسياسته الخارجية . فأى تناقض هذا ؟ وأى تنازلات سخية للعدو ؟

إن الفكر الذى يوجه عملية التسوية من الجانب العربى، والجانب الفلسطينى بصفة خاصة يعوزه المنطق ويعوزه الايمان، إنه فكر مقاول يتصرف على طاولة المفاوضات بطريقة المضاربات التى تجرى فى البورصات المالية وحسب ، فكر طفيلى أو مشبع بالتأثيرات الأميركية والغربية.

وعلى النقيض تماماً ، فالفكر الذى يوجه التسوية من الجانب الصهيونى، فكر متشبث بالمقولات والمفاهيم اليهودية، الثوراتية والتلمودية وبالمصالح الاستراتيجية لاسرائيل، اقتصادياً وجغرافياً وعسكرياً وفكرياً .

ولا يستطيع أحد إثبات أن الجانب الاسرائيلى قدم تنازلاً واحداً حقيقياً أو جوهرياً منذ بدأت مسيرة (السلام) وحتى اليوم .. ولا يستطيع المنصفون إلا أن يقرروا بأن الجانب الاسرائيلى قد ضاعف على طاولة المفاوضات مكاسبه التى كان قد حصل عليها بالقوة والعنف والعدوان ومن بين هؤلاء المنصفين أحرار فكر وضيمير من اليهود البارزين على المستوى العالمى، أمثال "تشومسكى" الذى أدان بشدة اتفاقيات السلام الفلسطينية الاسرائيلية لأنها تكريس وانتصار للامبريالية الاسرائيلية الأمريكية على مبادئ الحق والعدل والإنصاف وعلى حقوق الشعب الفلسطينى والعربى . (٣٩) وهذا هو أيضاً رأى أو موقف البروفسور "أورى ديفيس" حيث اعتبر ما جرى هزيمة عالمية للسلام والعدالة وانتصاراً للعنصرية والجريمة (٤٠) واعتبر الرجلان وسواهما الدعم الأمريكى القوى للإتفاق ، والإشادة الإحتفالية به وإحاطة زعماء إسرائيل "بيريز وراين" وكذلك "عرفات" (ومن قبله السادات) بهالات المجد والإكبار ، بمثابة قلب رأسى للقيم والمثل فى العالم من شأنه تشجيع الفاشية والعنصرية والإرهاب ووأد لطموحات الانسان فى قيام عالم أخلاقى تسوده المبادئ والشرعية الدولية ويستند إلى الحق والعدل والخير .

وإذا كان قادة إسرائيل قادرين على الدفاع عن الاتفاق مع منظمة التحرير رغم الكراهية التى تشيع بين مواطنيهم لها، بحجة أن الاتفاق كله مكاسب تبرر الاضطراب للمصالحة والمصافحة، وهى تنازلات محض شكلية، فماذا يستطيع القادة الفلسطينيون تبرير موقفهم، وهو خروج وانحراف وشذوذ على كل معانى (الحق والعدل) التى تربى عليها الفلسطينيون فى المهجر والشتات، وحمى (فلسطينيتهم) من الذوبان بعد جيلين من نزوح أو خروج أجدادهم وآبائهم من الوطن ؟؟

إن غياب الفكر أو التفكير لدى الجانب الذى يدير عملية المفاوضات سيولد أزمة عميقة فى أوساط الشعب الفلسطينى، والأمر نفسه يقال للأطراف العربية، لأن الاتفاقات التى تبرم مع الجانب

الدهيونى تشرخ الوجدان الجمعى المجاعة الوطنية أو للأمة، ذلك الوجدان الذى تكون على أساس أن نضالنا ضد إسرائيل يستند إلى (الحق والعدل) وأن إسرائيل شر مطلق ، وأن التنازل عن حقوقنا فى فلسطين إهانة مشينة ، وخيانة ستفتح الطريق إلى تعرض وجودنا القومى كله لخطر الضياع والإبادة، وتكرار ما جرى فى الأندلس مثلاً . فكيف سيجرى اليوم تحرير الصالحة المفاجئة مع العدو، والتنازل له عن مكاسب جديدة ، والاعتراف له بما استولى عليه ؟؟ بل وكيف سيجرى تحرير الانتقالي الانتقالي السريع من حالة المقاطعة والحرب إلى حالة السلام الكامل والتعاون المثمر والحب المتبادل ؟؟

إن الاستهانة بالأسئلة والشكوك والسرعات والأزمات والإضطرابات الأخلاقية والفكرية والنفسية التى يستند عن (عملية التسوية) على صعيد الأفراد والجماعات فى الوطن العربى، استهانة لا تدل إلا عن جهل وخواء وضعف عقلية مريضة . وربما كانت الحالة الاجتماعية الخطيرة فى مصر حالياً إحدى تجليات عملية الصلح مع العدو أو الشر الذى قاتلناه نصف قرن ، ونحجم كل مصادرنا الدينية والقومية على أن تتحالة التنازل معه . وهو صلح مفروض فرضاً ولا يستند إلا بالقهر والقمع الدؤوب لأن الغالبية الساحقة من الشعب ترفضه وتقاومه باستثناء الفئات الطفيلية . وعليه فهذه الحالة الخطيرة فى مصر قد تتحول إلى حالة عربية عامة فى ظل (السلام) مع إسرائيل . بل إنها على الأرجح ستتحول إلى انهيارات وتدهانات وقهقرات اجتماعية عميقة لا تنتهى إلا بحودة الأمور إلى نصابها . أهمل هذا (سلام) ؟؟ وهل ما يستتبعه عند هو الرخاء والاستقرار والديمقراطية ؟؟ أم هو (سلام) فتاك أشد هولاً وعنفاً من الحرب ، وأشد تكلفة من أعباء المواجهة ؟؟ والأذى من كل ما سبق أن الفئات التى تدافع عن السلام مع إسرائيل اليوم من منطلقات فكرية وديمقراطية وليبرالية مبشرة بعهد جديد من المبادئ والحقوق والقيم المنسجمة مع النظام الدولى الجديد وأفكار (نهاية التاريخ) الليبرالية الأمريكية ، لا تكفى بتبرير ضرورة الصلح مع إسرائيل وقتل القيم العالمية الجديدة ، ولكنها تبرر ذلك بمفعول رجعى، إذ ظهرت أفكار وأصوات عالية الثبرة ومتكاثرة فى وسائل الإعلام العربية (النفطية) ترى أن حالة الحرب ضد إسرائيل كانت إحدى تجليات التخلف العربى . وأن الدعوة للصلح معها دعوة للتقدم وللحدائق لأنها توفر فرصة تاريخية للتفاعل الخلاق بين العقل اليهودى المبدع والإمكانات العربية الهائلة . ويجب أن نشكر التاريخ الذى أتاح لنا هذه الفرصة النادرة ! وتطرح هذه الأصوات بجرأة أن عملية السلام الراهنة تسوية بين حقين متساويين يتنازعان على شيء واحد . ومن السهل ملاحظة الفجوى الصهيونية السامة فى هذه الأفكار السقيمة . وخاصة الزعم أن الصراع كان بين حقين متساويين ، أو القول أن الصلح يهدد للتفاعل بين عقل يهودى مبدع وإمكانات عربية طائلة، وهو قول يطغى بالتمصرية اليهودية لأنه مبنى على فكرة أن العرب متخلفون بطبيعتهم ولا يحسنون استغلال

الطاقات الطبيعية فى بلادهم . إن هذه الأفكار ذات طبيعة متطرفة وإرهابية، ذات طبيعة استشراقية واستعمارية . ولا بد أن تظهر فى مجتمعاتنا أفكار وتيارات نقيضة لها، متطرفة فى أصوليتها وتشبثها بالقيم الإسلامية بصورة مغالية لأن لكل فعل رد فعل يوازيه فى القوة . هذا هو قانون الطبيعة الأولى . فكيف نسمح للرأى الأول بالتعبير عن نفسه باعتباره حقاً بدهياً وانسانياً لأصحابه، ونقمع الثانى باعتباره أصولية متطرفة معادية للسلام والاستقرار والقيم الليبرالية المعاصرة؟؟

والواقع أنه لهذا ، أصرت إسرائيل تضمن اتفاقيات السلام مع الجانب الفلسطينى بنوداً واضحة والتزامات ثنائية وجماعية (مع الأردن ومصر) لمكافحة التيارات المتطرفة الإسلامية وقومية بوصفها معادية للسلام وخطراً عليه !! وأنه لهذا بالذات تطالب الولايات المتحدة الأمريكية بعزل وقمع الفئات والقوى المعارضة لاتفاقيات السلام ، وتتجنى عليها بوصفها معارضة للسلام لا معارضة للإتفاق فقط . مع أن مؤيدى الإتفاقيات فى الساحة الفلسطينية وداخل منظمة التحرير وعلى الساحة العربية لا يشكلون أكثر من أقلية صغيرة بينما تشكل الفئات والتيارات المعارضة لها أغلبية مطلقة .

وكيف تزعم هذه القوى الدولية والمحلية أن الاتفاق سيمهد لعهد من السلام والإخاء والتعاون فى الشرق الأوسط وتغييرات عميقة لصالح الديمقراطية وحقوق الإنسان بينما تمنع الفئات المعارضة للإتفاق من حقها المشروع فى المعارضة . مع أن القيم والقواعد الديمقراطية تعتبر (المعارضة) جزءاً من النظام الديمقراطى شأنها شأن الحكومة .

إن التلاعب بالمبادئ والمغالطات اللفظة بالتاريخ وحجبة وسائل الإعلام الطاغية على المنهجية الأمريكية لن تستطيع جعل الحق باطلاً ، والشر خيراً ، والجريمة عدلاً . ولكنها ستؤخر الانفجار ، وستزيد من قوته وتوسع من رقعة آثاره حتماً .



الجزء الخامس

الاتفاق . . تحليل سياسي

«أقصى ما يمنحه الاتفاق للشعب الفلسطيني هو المشاركة في جزء من السلطة .. أو الإدارة الاسرائيلية. إنه يمنحهم (مخترة) فلسطينية فقط .»

صبري جريس
مفكر فلسطيني
متخصص بالشؤون الاسرائيلية

(اغفل إعلان المبادئ إذا ، حقيقة إسرائيل الصهيونية العنصرية، وتجاهل أيضا طبيعتها الاستعمارية العدوانية، وانطلق من نقطة خاطئة، هي ان إسرائيل دولة قائمة تسعى للتسوية السلمية لنزاع إقليمي متعدد الأطراف ، شأنها شأن هذه الأطراف جميعاً، إذ لا شيء يميز المعتدى من المعتدى عليه، ويلاحظ ان كثيرين من الذين نظروا للاتفاق ، تجاهلوا أو تجاوزوا أن إسرائيل دولة استعمارية . فهم يتحدثون عن رغبتها في السلام وحاجتها إليه، وكأن العرب هم الذين حرموا إسرائيل والمنطقة من السلام في الماضي . وبعبارة أخرى يحمل هؤلاء الجانب العربي، بصورة غير مباشرة أسباب التوتر وعدم الاستقرار طوال العقود الماضية ربما كان الأصح وصف اعلان المبادئ هذا بأنه الاتفاق المغفل، فالتقضايا والمسائل الجوهرية التي أهملها تزيد كثيراً عن تلك التي عالجها أو تناولها .

١ - قضية حقوق الشعب الفلسطيني الذي طردته إسرائيل من بلاده في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ وعبر دفعات صغيرة متتالية، حوالي مليونين ونصف من اللاجئين والمهجرين في أربع جهات الأرض، يشكلون نحو نصف مجموع الشعب الفلسطيني أهملهم الاتفاق، ولم يتطرق لمشكلتهم، وتجاهل حق العودة الذي كفله لهم القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة . وسوف تسمح إسرائيل بعودة جزء من مهجري ١٩٦٧ إلى مناطق الحكم الذاتي ويصرح المسؤولون الحكوميون أنه لن يزيد عدد من يسمح له

بالعودة عن مائتى الف فلسطينى فى أعلى التقديرات والباقى تتكفل (الجنة اللاجئيين) التى تشكلت من قبل الدول الأجنبية المشاركة فى المفاوضات المتعددة الأطراف بحل مأساته الانسانية . وترعى الولايات المتحدة الأميركية راعية العملية السلمية، اتصالات ومشاورات سرية من وراء الكواليس مع الدول العربية، أساسها الضغوط ، وهدفها توطين هؤلاء اللاجئيين فى أماكن انتشارهم الحالية وتجنيسهم باستثناء لبنان الذى لا تسمح له تركيبته الطائفية باستيعاب ٣٥٠ ألف لاجئ معظمهم من المسلمين وتسعى أميركا لابتزاز العراق ليقبل استقبال واستيعاب هؤلاء اللاجئيين بدل لبنان مقابل فك الحصار عنه !

حل غير انساني، وغير ديمقراطى، ولكن من أجل إسرائيل يهون كل شىء، فقد رفضت أمريكا التصويت إلى جانب القرار ١٩٤ للأمم المتحدة الذى يتضمن حق العودة للنازحين عام ١٩٤٨ من فلسطين وذلك فى بداية عملية السلام عربونا لريبيتها وبرهاننا على نزاهتها فى رعاية العملية وحيادها !!

ومن المعروف حسب كل الشرائع أن حكومة أو سلطة أى دولة تستطيع أن تتنازل لدولة أخرى عن جزء من أرضها لحاجات أو أسباب اقليمية، ولكن ليس من حق أى حكومة أن تتنازل عن حقوق المواطنين الانسانية والوطنية ، فكيف قبلت قيادة منظمة التحرير وهى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى التضحية بنصف شعبها فى الشتات دفعة واحدة؟؟

٢ - قضية حقوق الشعب الفلسطينى داخل إسرائيل وهم يشكلون نحو ٢٠٪ من مجموع هذا الشعب أيضا وهم البقية الباقية فى قلب فلسطين الساحلية . هم أيضا أغفلهم الاتفاق ، تركهم لقمة سائغة فى شدة الوحش الصهيونى العنصرى فلا هم فلسطينيون ولا هم يهود . إنهم عرب إسرائيل ، شعب ثالث . ولكن لا ممثلين له، وقضيته منسية . غير أن إسرائيل تخطط للتخلص منهم عبر المفاوضات النهائية مع القيادة الفلسطينية، ليكون بإمكانها تحقيق النقاء والصفاء العرقى واليهودى. ان الاتفاق بصورة واقعية يعالج مشكلة نحو ١٧٪ من شعب فلسطين فقط. ولن ترتفع النسبة حتى بعد نجاح مفاوضات الحكم الذاتى ثم مفاوضات الوضع النهائى عن ٣٥ أو ٤٠٪ من مجموع الفلسطينين .

٣ - أغفل الاتفاق أيضا قضية المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة، وهى قضية جوهرية لا يستهان بها . إذ يوجد فى الضفة الغربية وقطاع غزة حالياً ما مجموعه ١٦٠ مستوطنة يعيش فيها ١٢٠ ألف مستوطن يهودى فى الضفة و ٤٠٠٠ فى القطاع . وهؤلاء من غلاة المتدينين والمتطرفين، ويحمل جميعهم الأسلحة بحجة الدفاع عن أنفسهم وعلى سبيل المثال اقترب هؤلاء ٢٠٦ جرائم ارهابية ضد المواطنين الفلسطينيين خلال سنوات الانتفاضة (١٩٨٧ - ١٩٩٣) قتل فيها ٦٢ فلسطينياً، قبل أن يتضاعف العدد فى مجزرة الحرم الإبراهيمى الشريف فى منتصف رمضان ١٩٩٤ ولم يصدر القضاء الاسرائيلى سوى اذانة واحدة لمستوطن اسرائيلى من بين جميع هذه الجرائم .

وتتقسم المستوطنات حسب المعايير الاسرائيلية إلى مستوطنات اقتصادية ، وأخرى هذه الأخيرة أحزمة أمنية تلعب دوراً عسكرياً رئيسياً ضمن خطط الجيش الاسرائيلي لإسرائيل وعن القدس .

وأهمية هذه القضية التي وافق الجانب الفلسطيني على تأجيل بحشها إلى نه النهائية تكمن في أنها ستبقى تحت حماية إسرائيل المباشرة إضافة للالتزام السلطة الف الحماية لهم ، وسيبقى من حق هؤلاء المستوطنين الدفاع عن أنفسهم ، ومن حق قوات الا التدخل لحمايتهم وفق معايير غير محددة

يضاف إلى ذلك أن رئيس الحكومة الاسرائيلية تعهد بشكل قاطع لناخبيه وبج وللكنيست أن لا يجري تفكيك مستوطنة واحدة من الضفة الغربية واعتبر ذلك من الما للبحث مع الفلسطينيين ويدعم هذا الموقف أو بالأحرى يستند إلى أن بقاء المستوط وتعزيزها يشكل نقطة اتفاق أو اجماع وطني (أكثر من ٨٠٪) .

وتتوزع المستوطنات على عموم مناطق الضفة الغربية بين القرى والمدن وفي السه نهر الاردن بحيث يشكل انتشارها تقسيماً للأراضي الفلسطينية يجعل من المستحيل جغرافية واحدة بل يصح اعتبارها جزراً بشرية أرخبيلية .

٤ - أغفل الاتفاق أيضاً قضية القدس ، وهي أقدس المقدسات الاسلامية والمسد فلسطين والاسرائيليون مجتمعون فيما بينهم على عدم الانسحاب من القدس ، وعلمو تحت السيادة الاسرائيلية ، وعلى اعتبارها العاصمة الأبدية للدولة العبرية . ومن التص لـ "شمعون بيريز" حول القدس تصريحه : **ان القدس ليست قبلية المسلمين ، القدس في سياستنا وديانتنا وستظل القدس موحدة وخاضعة لسيادة اسرائيل ، وبه خالدة لها .**

كانت القدس فيما مضى مدينة صغيرة ولكن إسرائيل وسعت مساحتها حتى أم من ثلث مجموع مساحة الضفة الغربية وأصبحت تمتد من بيرزيت في الشمال إلى ض الجنوب وأطلق عليها اسم (القدس الكبرى) وأقيمت فيها وعلى محيطها ١٤ مستوا حمايتها وتبريدها وتشكل هذه المستوطنات (اسوارتين) أو حزامين تضم الأولى رامو وتالبيوت وجيلو ، وتضم الثانية مستوطنات رخس وشوجات وهاروفا ، وهذه مازالت أشارت استطلاعات الرأي العام عدة مرات أن ١٪ فقط من الاسرائيليين الانسحاب من القدس للفلسطينيين ، مما يعني عدم امكانية الحصول على أي شبه طريق المفاوضات لأنه لن يجرؤ أي رئيس حكومة اسرائيلي على طرح موضوع الة المفاوضات ولو من باب البحث والمناقشة دون أن يجازف بمصير حكومته ومستقبله ٤٪ فقط من الاسرائيليين يوافقون على مشاركة عربية في ادارة المدينة المقدسة . (٤٢)

إن أقصى ما يمكن أن يوافق عليه الأسرائيليون حسبما تشير الممارسات، والمصادر الدولية وتلبية لضغوط دولية ، بما فيها الفاتيكان والدول المسيحية، إضافة لمراعاة مناظر العالم الاسلامي، لاخطر الشعب الفلسطيني، هو أن يجري تقسيم المدينة المقدسة إدارياً إلى أحياء وأقسام وقصبات يتمتع كل منها بإدارة ذاتية، على غرار تقسيم مدينة نيويورك أو مدينة لندن ويسمى كل منها (BOROUGH) ويسمح هذا المخطط الذي "ابتكره يوصى" بيلين نائب وزير الخارجية بمساعدة مدير عام الخارجية "يوري ساخير" و"شلومو غور" و"أفي جيل" بأن تكون بعض الأحياء التي تحتوي مقدسات اسلامية وأخرى مسيحية تحت إدارة فلسطينيين ويسمح الاجراء أيضا بأن يكون لوزارة الأوقاف الاردنية دور في الإشراف على بعض الأوقاف والمقدسات وكذلك لبعض الدول الأجنبية، كالفاتيكان. (٤٣)

وعلى الرغم من أهمية القدس ومكانتها وفداحة الأخطار التي تعرضت لها منذ بداية احتلالها، فإن منظمة التحرير الفلسطينية لم تخصص جهداً مذكوراً لها، ولم تضع استراتيجية مستقلة للدفاع عنها وإثارة موضوعها دولياً على الإطلاق وقد أشار إلى هذه المسألة د "ادوارد سعيد" الذي رافق عمل المجلس الوطني الفلسطيني منذ عقدين، وتابع التحرك الفلسطيني في الساحة الأمريكية والأوروبية . وأكد (حسب علمي لم تكن القدس في أي يوم معور استراتيجية فلسطينية مركزة ولم يكن هناك حملة منظمة لمقاومة السيطرة الاسرائيلية على المدينة والمناطق المحيطة بها) وجاءت الموافقة على اعلان المبادئ لتبرهن على هذا الاهمال الجسيم وتسلم لاسرائيل بمنطقها الخاص الرامي إلى ابتلاع القدس واخراجها من قضايا المفاوضات .

من ناحية أخرى أفضى الاتفاق عملياً إلى تشطير للأرض وللشعب الفلسطيني تشطييراً جديداً وإضافياً فوق ما هما عليه من تشطير سابق إذ كان هناك فلسطينيو الداخل، وفلسطينيو الخارج ، وهناك فلسطينيو ١٩٤٨ وفلسطينيو ١٩٦٧ ، وهناك لاجئو الأردن، ولاجئو سوريا ولاجئو لبنان .. وهكذا على عدد الدول العربية . وهناك فلسطينيو إسرائيل ، فلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة، وهناك فلسطينيو منظمة التحرير وهناك الفلسطينيون المعارضون للمنظمة والمؤيدون للحركة الاسلامية وأصبح بعد الاتفاق هناك فلسطينيو خيار غزة-وأريحا أولاً وفلسطينيو الحكم الذاتي . فالذين شملهم الاتفاق لا يشكلون سوى فئة محدودة من الشعب الفلسطيني وبالتالي فالاتفاق لا يعنى شيئاً للأغلبية الساحقة سوى الاحساس بالضيق وفقدان الأمل بالنسبة للاجئين الذين تمت التسوية على حساب حقهم في العودة الذي انتظروه طوال خمسين سنة تقريباً وانتهى انتظارهم إلى سراب .

إن هذا التشطير لا يسبب زيادة معاناة الشعب الفلسطيني وتشعيت فئاته ومجموعاته التي تعاني أصلاً من التشعيت والتهجير فقط بل وهذا هو الأهم يضيف عنصراً جديداً إلى العناصر والأسباب التي تهدد بوقوع اقتتال فلسطيني - فلسطيني بين المستفيدين من الاتفاق والمتضررين منه . ولا حظ

البروفسور الفلسطيني "نصير عاروري" (استاذ فى جامعة ماساتشوسيتش بأميركا) أن الإتفاق عمق الانتقسامات حتى داخل العائلة أو الأسرة الفلسطينية الواحدة وأوجد تمايزات لم تكن موجودة بين سكان أريحا وباقي الضفة الغربية. وأصبح يهدد التوافق الوطنى الذى كان قائماً على أساس المطالبة بوجود دولتين مستقلتين لليهود وللعرب. (٤٤)

وكما رأينا أثناء الحديث عن قضية المستوطنات اليهودية، فالإتفاق شطر الأرض الفلسطينية المشطرة أصلاً وحولها إلى شطاي لا رابط بينها سوى (خيط مسبحة اسرائيلي) يتمثل فى النقاط والمواقع والطرق العسكرية وحسب. ويمكن تخيل وحدة (الكيان الفلسطيني) الذى انبثق عن خيار غزة - أريحا أولاً، لمعاينة هشاشة وورقية هذا الكيان (الباتوستانى) فمدينة أريحا لا تعدو أن تكون جزيرة صغيرة داخل الضفة الغربية ولا معبر لها إلى الخارج (الأردن) ولا شىء يربطها بقطاع غزة سوى المعابر والممرات الخاضعة للسلطة العسكرية الصهيونية ومع تصور وضع المستوطنات داخل أريحا أو داخل غزة أيضاً، يصبح المشهد هزئياً جداً وهزئياً إلى حد البكاء!

لقد وضعت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية توقعها على هذه الخريطة التى رسمتها إسرائيل وقبلت (كياناً) يفترق إلى السيادة فى ظل الدولة الصهيونية. ويجزم قادة إسرائيل أن هذا الكيان لن يتطور إلى دولة مستقلة مهما كانت الظروف، وما يعطى مصداقية حاسمة لهذه التصريحات المواقف الأميركية الواضحة من هذه القضية والتى ترفض بشكل قاطع قيام أو ظهور دولة فلسطينية مستقلة فى أى وقت من الأوقات، وكيفما كانت نتائج المفاوضات النهائية.

على ضوء ذلك يتضح أن خطة التسوية لن تؤدى إلى خسارة إسرائيل أى جزء من الأراضى الفلسطينية المحتلة ولن تؤدى إلى خروج الضفة الغربية من السيادة الاسرائيلية. كل ما فى الأمر أن الفلسطينيين سيحصلون على جزء من السلطة أو بعبارة أدق: جزء من الادارة الذاتية تحت الاشراف الاسرائيلى. وقد وصف الحبيب الفلسطينى بالشؤون اليهودية "صبرى جريس" حصّة الفلسطينيين من الادارة بأنها (مخترة) تعبيراً عن ضآلتها وتواضعها المجهف. (٤٥)

إذاً فهى عملية اقتسام للسلطة لا تقسيم للسيادة الاسرائيلية على الأرض الفلسطينية. وهى على النحو، تطبيق لمشروع (الخيار الاردنى) الذى كان مطروحاً فى الماضى، أى الاتفاق مع السلطة الاردنية على تقاسم وظيفى فى الضفة الغربية، بحيث تعود الادارة الاردنية على الفلسطينيين، ويستمر الاستيطان الاسرائيلى فيها تحت السيادة الاسرائيلية وهذا معنى قول "شمعون بيريز" أن الاتفاق الذى أبرم مع منظمة التحرير لا يتضمن أى تنازل عن أرض وأنه يتضمن تنازلاً عن مجتمع من الناس فقط! والأحرى أن يقول "بيريز": التخلص من هذا المجتمع.

وبطبيعة الحال، فالبشر الذين يتنازل "بيريز" عنهم هم شعب الانتفاضة الذى أذل جنرالات إسرائيل

وحطم اسطورة قوتها العسكرية ومرغ أنوف قادة إسرائيل في التراب طوال سبع سنوات، وعلى رأسهم "اسحاق رابين" نفسه الذي كان وزيراً للدفاع، وجرب كل الأساليب لقهر الانتفاضة ولم يفلح وهو لا زال يكن كراهية حادة وحقداً دفيناً لأبطال الإنتفاضة ألم يكن هو نفسه الذي قال : أتمنى لو بيتلع البحر غزة ، ألم يفكر "رابين" فى الانسحاب من غزة من طرف واحد أى الفرار منها ؟! لقد عشر أخيراً على من يقبل تسلم غزة ومواجهة القنابل الموقوتة التى زرعتها إسرائيل فيها للانتقام منها ببطء ، بما فى ذلك اغداق السلاح على الفلسطينيين فى غزة قبل الانسحاب بالتسهيل وتسريع الاقتتال .

وما دمنا فى معرض تقييم هذا الجانب من خطة غزة - أريحا فلنستمع إلى رأى "نعوم تشومسكى" المفكر اليهودى الأمريكى المعادى للصهيونية، قال :

إن اتفاق "اوسلو" ، مثل اتفاق "ايغال آلون"، بل هو مثل مشروع "شارون" الذى تضمن فكرة الانسحاب من بعض أجزاء الضفة الغربية ومجمل غزة أى التخلي عن المناطق ذات الكثافة الفلسطينية وغير الحيوية لأمن إسرائيل واقتصادها والاحتفاظ بالأجزاء الحيوية وأن تبقى لاسرائيل السيادة فى كل الأحوال أى بدون الإقرار بحقوق الشعب الفلسطينى الوطنية، والتعامل مع هذه الحقوق باعتبارها حقوقاً انسانية واقتصادية لا حقوقاً وطنية وسياسية . (٤٦)

الاتفاق إذاً يرسى حجر الأساس لميلاد كونفيدرالية اسرائيلية فلسطينية قد تشمل الاردن تالياً. وظيفة الجانب الفلسطينى فيها توفير مناخ أمنى داخلى ملائم لاسرائيل ومواطنيها ومستوطنيها من ناحية ، وتوفير مناخ سياسى اقليمى لفك العزلة عن إسرائيل والسماح لها باقامة علاقات سلام وتعاون مع العالم العربى من ناحية أخرى .

ومن مقتضيات هذه الوظيفة مواجهة الشعب الفلسطينى وقمع الانتفاضة أو وقفها بكل السبل، والتصدى للحركات الاسلامية (الأصولية) المناهضة وتعبئة الطاقات الوطنية .

والواقع أن الباحث لا يستطيع رؤية أى احتمال آخر ستتطور إليه الأوضاع على الأرض غير احتمال الاقتتال الأهلى بين الفلسطينيين وهو احتمال ليس مبنياً على معطيات المشهد الداخلى، فالتناقض بين الجماعات الفلسطينية سياسياً وايدولوجياً واسع وعميق ويزداد حدة مع الإحساس بالاحباط وخيبة الأمل بعد ظهور حقائق الاتفاقات التى أبرمتها القيادة على أرض الواقع، وخيبة الأمل بالوعود الدولية لتقديم المساعدات التى روج "عرفات" لها وأوحى بأن غزة والضفة الغربية ستصبح نمراً اقتصادياً على غرار سنغافورة . وكان "عرفات" مراراً يصف منافسيه فى الحركة الاسلامية بأنهم مثل قبائل الزولو فى جنوب أفريقيا التى طالما قاتلت منظمة المؤتمر الوطنى الافريقى . ومعروف أن الساحة الفلسطينية الداخلية شهدت تصفيات جسدية متبادلة تحت عناوين مختلفة وتوجد الآن فى غزة حسب المصادر الفلسطينية نفسها مئات ألوف البنادق فى أيدي مؤيدى حماس أو

مؤيدى فتح على حد سواء، وقد ساهمت إسرائيل نفسها قبيل خروجها من القطاع تسويق السلاح بهدف إشعال نار الفتنة تحقيقاً لمخطتها للمرحلة القادمة وانتقاماً من قطاع غزة لدوره فى الانتفاضة . أما المعطيات الخارجية التى تدعم احتمال الاقتتال الأهلى ، فهى التقاليد (العريقة) الثابتة فى تاريخ المنظمات الفلسطينية من الاقتتال والتصفيات الدموية بأبشع صورها والتى طالما حدثت فى الساحة اللبنانية، بما فيها حرب طرابلس ١٩٨٣ . والتصفيات التى حدثت طوال الأعوام الأخيرة بين مؤيدى فتح ومعارضيه فى المنظمات الأخرى خاصة الجبهة الشعبية - القيادة العامة، ومنظمة فتح - المجلس الثورى بقيادة أبو نضال .

إذا كانت إسرائيل قد استطاعت إرغام السلطة الاردنية وهى دولة مستقلة على سحب الترخيص من حركة حماس واعتبارها حركة ارهابية معادية للسلام وغير مشروعة ولا يحق لها النشاط لا السياسى ولا الإعلامى . فما بالنا بإدارة الحكم الذاتى الفلسطينية وهى التى التزمت قانونياً بتأديب وقمع الخارجين على القانون وحماية اسرائيل، ووقف الانتفاضة ١٢٢ ؟ إن المثال الذى استطاع "رابين" أن يفرضه على الملك الاردنى حسين يستطيع فرضه بصورة أسهل على "ياسر عرفات" وقد اعترف القادة الفلسطينيون أن الأولوية (حسب اتفاق السلام) ستكون لوقف نشاط الانتفاضة .

مقاومة صخ كالمب ديفيد

وقبل أن نقفل البحث فى اتفاق السلام لابد أن ننظر إليه نظرة مقارنة أو مقارنة مع اتفاق "كالمب ديفيد" الشهير . وقد أجرى عدد غير قليل من المحللين العرب مثل هذه المقاربة ولاحظوا أن هناك تشابهاً كبيراً بين الاثنين ، وبالتحديد فإن الاتفاق الجديد يستند إلى إطار القديم الذى أطلق عليه فى حينها (إطار للسلام فى الشرق الأوسط متفق عليه فى "كالمب ديفيد") . وكان هذا الإطار قد احتوى جزءاً مخصصاً للمضغة الغربية وقطاع غزة وقد دفع هذا التشابه الموضوعى بعض الباحثين للقول بأن **اتفاق "اوسلو" بمثابة "كالمب ديفيد" فلسطينى** أو "كالمب ديفيد" ثانى . فهو قد كرر نفس الاجراءات الانتقالية التى وردت فى الأول لا سيما مسألة السنوات الخمس ، ومسألة الحكم الذاتى خلاله، قبل الاتفاق على حلول دائمة .

غير أن النظرة المعمقة فى كل من الاتفاقيين تبرز اختلافاً جوهرياً بينهما لاحظته الباحث المصرى "وحيد عبد المجيد" يتمثل فى مستقبل الكيان الفلسطينى، فاتفاق "كالمب ديفيد" كان مفتوحاً باتجاه ارتباط قومى مع الاردن، بينما اتفاق "اوسلو" يرسى كما رأينا ارتباطاً دائماً بإسرائيل على حساب الاردن والوطن العربى من خلال (اللجنة الثنائية المشتركة الدائمة) التى من صلاحياتها وسلطاتها الموافقة أو الاعتراض على كل شأن من شؤون الفلسطينيين ، فى جميع المجالات والقطاعات فهى

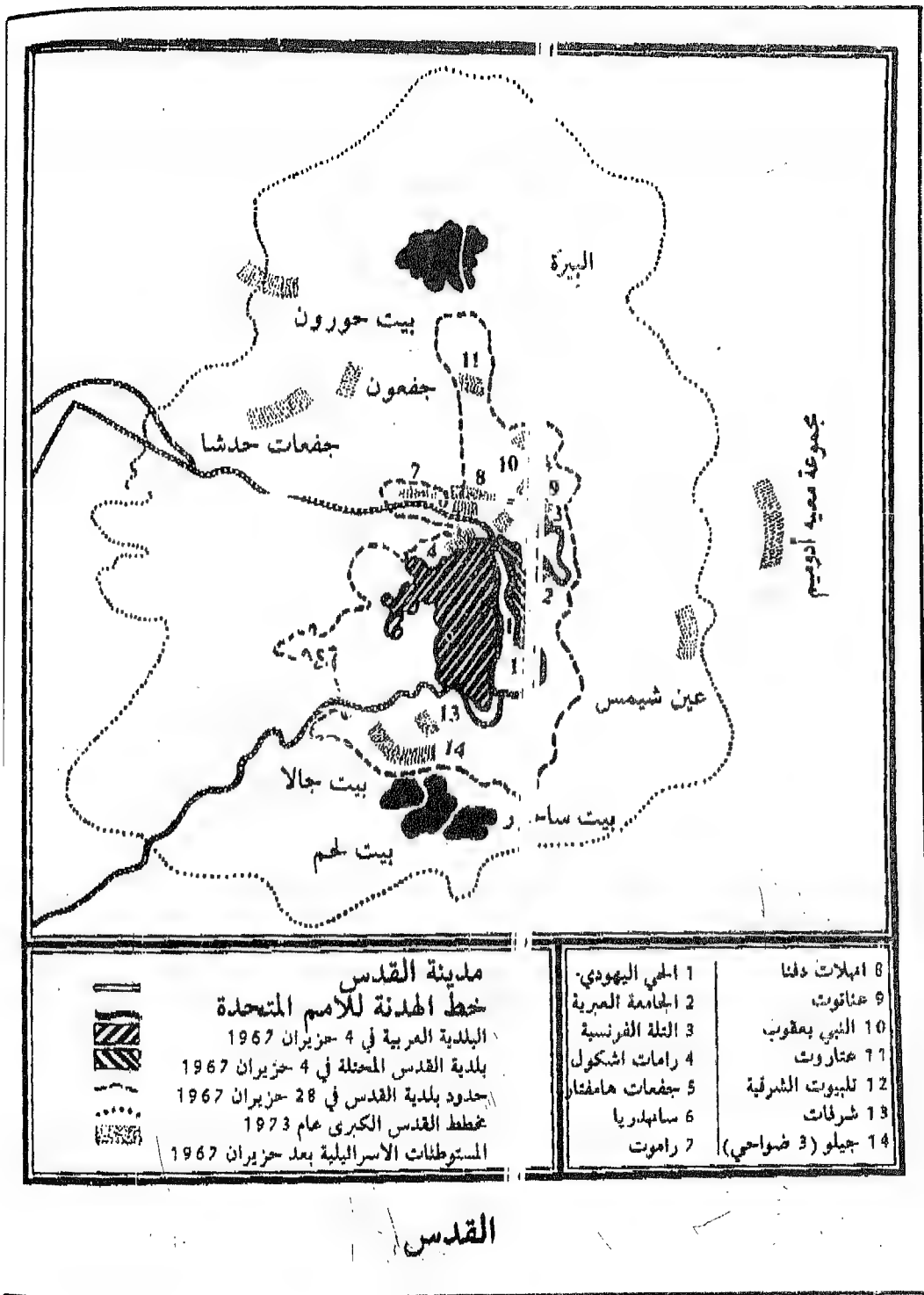
بمشاية ادارة اسرائيلية يشارك فيها الفلسطينيين وتخفى الدبلوماسية الاسرائيلية تحت قناع خادع (٤٧) أما إطار "كامب ديفيد" فقد ندى على أنه (للتفاوض على تفاصيل الترتيب الانتقالي ستدعى حكومة الاردن للانضمام إلى المفاوضات على أساس هذا الإطار) كما تضمن دعوة الأردن ومصر معاً للمشاركة في مفاوضات الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية ولم يتضمن أى إشارة لإنشاء لجان ارتباط أو تعاون اسرائيلية فلسطينية من أى نوع وكان هذا بحد ذاته كفيلاً بضمان ارتباط الكيان الفلسطيني بالاردن والأمة العربية فى شكل من الأشكال على عكس الاتفاق الأخير الذى حسم علاقة الكيان الفلسطيني لصالح التبعية لاسرائيل بدل العالم العربى، وربما كان هذا بحد ذاته مقصوداً من الجانبين اللذين وقعا اعلان المبادئ الفلسطينية والاسرائيلي فى آن واحد . فالاتفاق كما لاحظ محللون عديدين تفوح منه رائحة زخم الانتدفاع نحو إسرائيل .

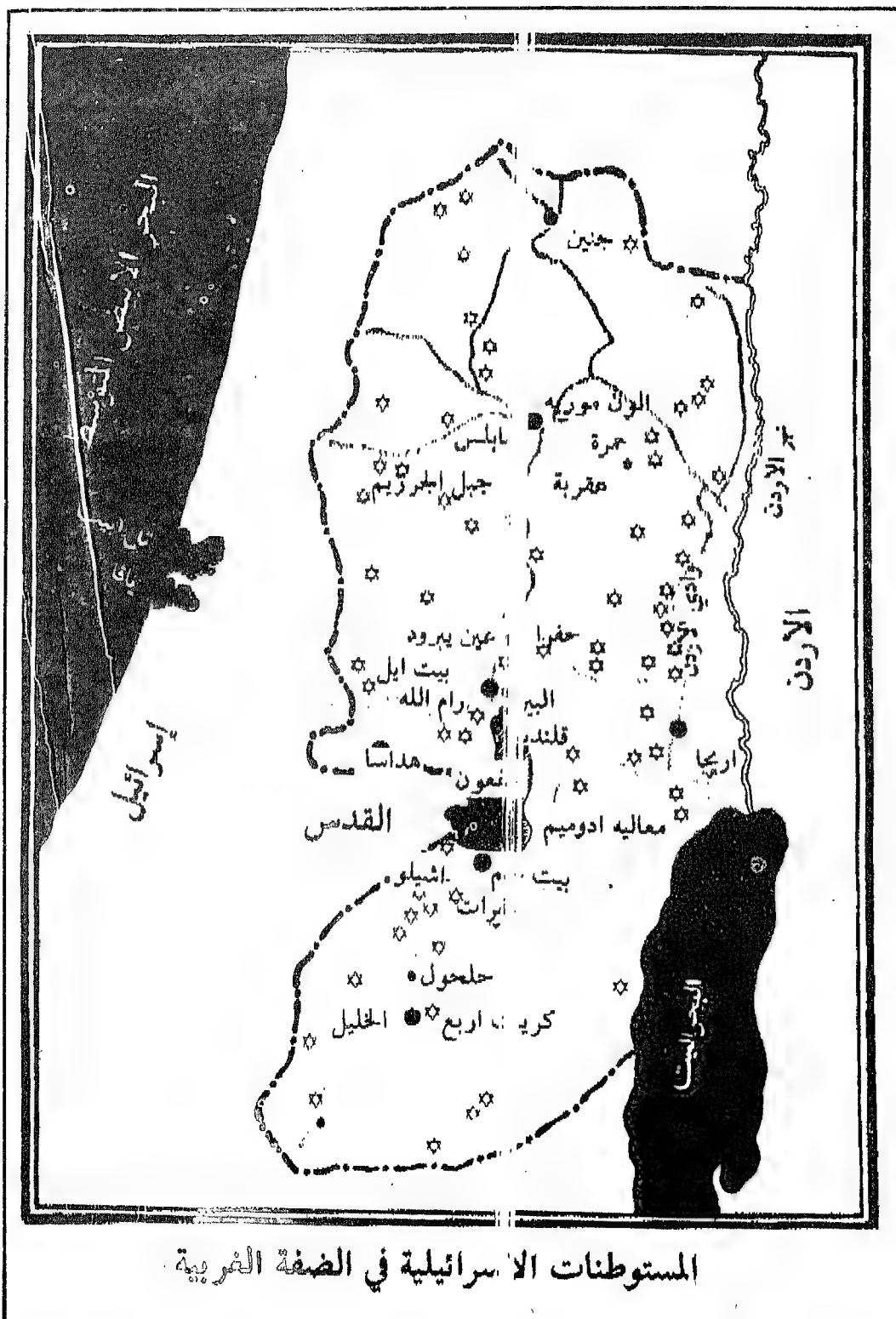
وتبقى الكلمة الأخيرة ، وهى الكلمة المؤجلة التى ربما كان موقعها المنطقى فى مقدمة أو بداية البحث لا فى نهايته، ولكننا رأينا تأخيرها لكى لا تكون بمثابة حكم مسبق ، قبل اجراء محاكمة مطولة مستفيضة استمعنا فيها إلى عدد من الشهود، جميعهم بلا استثناء اما من اليهود أو من المفكرين والسياسيين الفلسطينيين والعرب والأجانب الذين يصنفون فى خانة المؤيدين لمنظمة التحرير وللمسيرة السلام بصفة عامة، ولا يوجد بينهم شاهد واحد ممن يدنفون فى خانة الأصوليين الاسلاميين أو اليساريين المعادين للاتفاق أو لقيادة منظمة التحرير وبطبيعة الحال كان اختيار الشهود جميعاً من هذا التيار مقصوداً فى حد ذاته .

الكلمة الأخيرة ، هى العبارة التى تكثف الموقف من اتفاق السلام الفلسطينى - الاسرائيلى وتلخصه بصورة موجزة وسوف أقوم باستعارتها أيضاً من الباحث اليهودى البروفسور "أورى ديفيس" الذى قال: **إن هذا الاتفاق بمثابة هزيمة واستسلام ونهاية مرحلة المقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار الصهيونى والاحتلال الاسرائيلى تلك المرحلة التى بدأت فى هلال عام ١٩٦٥ .** وأضاف: **إن هذا الاتفاق الذى تم فى "أوسلو" استسلام فلسطينى ومن واجبنا أن نطلق عليه تسميته الحقيقية لزيادة الوضوح فى الفهم والرؤية لا لتعميته .** (٤٨)

فإذا كان هذا هو موقف يهودى بريطانى من أصل فلسطينى، ترى ما هو موقف الفلسطينى العربى المسلم من هذا الاتفاق .. ما هى العبارة أو الكلمة التى سيستخدمها لوصفه بدلاً من كلمة (استسلام) التى استخدمها "أورى ديفيس" ؟؟
يبدو أنها معضلة لغوية كامنة، كشف عنها الاتفاق الميسون .







الفصل الثالث

مشروع النظام الشرق الأوسطي

أميركا واسرائيل تعيدان إنتاج وتجديد سايكس بيكو

"اننى أنظر بأمل إلى قيام ولايات متحدة
شرق أوسطية."

شمعون بيريز

وزير خارجية اسرائيل

مهندس الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية

الجزء الأول

المصطلح .. والمشروع : المفاوضات المتعددة الأطراف

الجزء الثانى

روية عربية تحليلية

الجزء الأول

المصطلح .. والمشروع : المفاوضات المتعددة الأطراف

"ستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها
لمساعدة الدول العربية بتزويدها بالوسائل
لاستثمار الموارد الطبيعية والامكانيات
الاقتصادية في البلاد".

من اتفاقية الملك فيصل وحاييم وايزمان
عام ١٩١٩

اقتُرِنت فكرة "السوق الشرق الأوسطية" بعملية السلام التي هندستها الولايات المتحدة الأميركية ورعتها منذ أن قسمت المفاوضات إلى محورين . مفاوضات ثنائية بين اسرائيل ودول الطوق العربى فقط تحت اشراف وادارة مباشرة منها (أميركا) ومفاوضات متعددة الأطراف أفسحت بل صُممت لمشاركة جميع الدول العربية إضافة إلى اسرائيل وبعض دول الجوار (تركيا ..) وعدد كبير من الدول الأجنبية التى لها مصالح فى المنطقة وأنيط بهذه المفاوضات معالجة قضايا ومسائل حيوية للسلام والاستقرار، فى طبيعتها التعاون الاقتصادى والمياه والبيئة والحد من التسلح والأمن ، وفى جميعها لا يمكن تصور تحقيقها بدون منظومة اقليمية متكاملة ومتراصة من أنساق التعاون والاعتماد المتبادل والمنظمات المشتركة . واقتُرنت الفكرة أيضا بمفهوم اسرائيل للسلام الذى تنشده أو تشترطه شرطاً على الدول العربية كافة مقابل اعادة معظم - لا كل - الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧ وانهاء حالة الحرب .

وارتبطت الفكرة أخيراً بترتيبات أمريكا لحماية مصالحها وتكريس نفوذها فى منطقة يرقد فيها أعظم كنز طبيعى فى الدنيا هو الاحتياطى البترولى المدفون تحت رمال الخليج والجزيرة العربية والصحراء الليبية - الجزائرية . وعليه ، فالفكرة ستتحول مشروعاً إقليمياً يعيد تشكيل المنطقة العربية ويضعها فى نطاق نظام جديد مختلف تماماً عن النظام القومى العربى الذى عرفته طوال العقود السابقة ، بل طوال القرن العشرين فى هذا القدر أو ذاك من درجات تحققه كمفهوم أو كمشروع

أو كواقع . وربما جاز القول استباقاً أن ثمة قدراً كبيراً من التعارض والتناقض بين المشروع الشرق الأوسطى والمشروع القومى العربى يجعل من أحدهما نفيّاً للآخر ويجسد مستوى جديداً من الصراع، بأدوات وأساليب ومفاهيم مختلفة . ونظراً للأهمية غير العادية لهذه الفكرة فلا بد أن نقوم بإثارة مختلف جوانبها وتحليل أبعادها وتلمس مراميها واحتمالاتها، انطلاقاً من استنباط جذورها ، وتحديد المفاهيم النظرية التى تستبطنها .

أولاً: مصطلح الشرق الأوسط :

ليس فى الفكر الجغرافى أو السياسى القديم أصل أو مرادف لهذه العبارة ولا تتضمن فى ذاتها حقيقة مستقلة ، فهى تعكس نظرة الأوروبيين لما هو (شرق) بالنسبة لهم . بينما تمثل المنطقة ذاتها (غرباً) بالنسبة للشعوب الآسيوية القديمة كالهنود والصينيين والفرس . وكان الأوروبيون يطلقون عبارة (الشرق) على كل العالم الآسيوى منذ القدم ، ثم اكتسبت الكلمة مفهوماً ايديولوجياً ودينياً حين أصبح الشرق بالنسبة لهم يمثل كل العالم الاسلامى بما فى ذلك أجزاء من أفريقيا لم تكن تدخل فى نطاق العبارة جغرافياً من قبل ودائماً كان وظل هناك شرق بعيد أو أقصى وشرق أدنى، بل أن منطقة البلقان الأوروبية وأجزاء من روسيا كانت وما زالت فى مقاييس الأوروبيين أنفسهم شرقاً يختلف عنهم اختلافاً حضارياً عميقاً ويعيدة عنهم بما يكفى لاعتبارها عالماً آخر .

فالفكرة ذات مفهوم نسبى غير محدد ، وشابها الاضطراب دائماً . ولكن باحثاً كبيراً هو "جورج قرم" ربط بين العبارة التى ذاعت وشاعت فى زماننا هذا وبين ثلاث محطات تاريخية مشهودة (٤٩) :
أولاًها : ظهور (المسألة الشرقية) فى مطلع القرن التاسع عشر واستمرارها إلى نهايته كقضية كبرى من قضايا السياسة العالمية ، وكانت تستخدم للدلالة على حقوق شعوب البلقان المسيحية فى الانفصال عن السلطنة العثمانية .

وثانيها : حركة الاستعمار الأوروبى فى نهاية القرن التاسع عشر واقتسام العالم بين الدول الكولونىالية الأوروبية ووضع حدود وتقسيمات وإنشاء دول جديدة على أساس المصالح الاستعمارية فقط، حيث فرض التمييز بين شرق أقصى وشرق أدنى نفسه فى سياق هذه التغييرات الجذرية .
وثالثها : تمكن الغزو الصهيونى لفلسطين من إنشاء دولة اسرائيل ودخول النفوذ الأمريكى إلى الوطن العربى وريثاً للاستعمار الأوروبى القديم وامتداداً له ولأهدافه .

إلا أن ما لم ينتبه له الباحثون العرب ، وفى مقدمهم "جورج قرم" هو أن مصطلح (الشرق الأوسط) كتعبير جغرافى سياسى، أصبح قيد التداول بشكل نهائى ، بعد ظهور الحرب الباردة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، ومن جانب الولايات المتحدة الأمريكية بالتحديد. فهو مصطلح من

مصطلحات تلك الحرب أولاً ، وليس بسبب اسرائيل . فالوثائق الأمريكية الخاصة بالمشكلة الفلسطينية والصراع العربى - الصهيونى ، ما كانت تستخدم تلك العبارة حتى عام ١٩٤٧ وتظهر هذه الوثائق ، وفى مقدمتها رسالة الرئيس الأمريكى "هارى ترومان" إلى العاهل السعودى عبد العزيز آل سعود أو رسالة سلفه الرئيس "روزفلت" ، وكذلك مناقشات وقرارات الكونغرس ووثائق وزارة الخارجية . (٥٠)

أما بعد اندلاع الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتى فقد أخذت واشنطن على عاتقها مهمة قيادة العالم الحر فى هذه الحرب ، واقتضى ذلك وضع استراتيجية عالمية واسعة النطاق قسمت العالم إلى مناطق تبعاً لموقعها فى المجابهة الباردة . فظهر مصطلح الشرق الأوسط للتعبير عن المنطقة الممتدة حول الخاصرة الجنوبية للاتحاد السوفياتى وتضم جزءاً من شرق أوروبا وجنوب غرب آسيا وانتهاء بایران ، والدليل على ذلك أمران حاسمان ، الأول ان المساعدات الأمريكية المالية لما يسمى بدول الشرق الأوسط حسب قرارات الكونغرس كانت تشمل : اليونان وتركيا وإيران ومصر ودول المشرق العربى ، والثانى أنه نتيجة لهذه السياسة ، طرحت واشنطن فى عام ١٩٥١ فكرة إنشاء حلف عسكرى أمنى لحماية الشرق الأوسط من التسلل الشيوعى بزعامة أمريكا ومشاركة بريطانيا وفرنسا واليونان وتركيا والدول العربية وفى مقدمتها مصر وكانت عبارة الشرق الأوسط فى صلب التسمية التى اقترحت للحلف (MECOM) . (٥١)

بعد ذلك استقرت العبارة ولم تعد لغة الخطاب الأمريكى العالمى السياسية أو الاعلامية القديمة تستعمل سواها ، وتدرجياً حلت العبارة الجديدة محل العبارات القديمة فى الخطاب الأوروبى ثم العالمى بفضل عبقرية وسطوة أجهزة الاعلام الأمريكية التى تبوأ مركز الصدارة على الصعيد الدولى وتبعاً للغة الادارة والمنظمات الحكومية الأمريكية ودورها الدولى الجديد وما أفرزته من مصطلحات ومفردات كثيرة حتى غدت قاموساً أمريكياً عالمياً .

وربما كان واقعياً الإشارة إلى أنه وبصرف النظر عن كون الحرب الباردة هى أول أسباب ظهور العبارة المذكورة ، لا شك فى كون اسرائيل سبباً ثانياً قوياً فى رسوخها واستقرارها ، لا من ناحية المفهوم الجغرافى الذى ارتبط بتقسيمات الحرب الباردة ضد السوفيات ، ولكن من ناحية المفهوم الايديولوجى أو من ناحية المحتوى الذى أصبح يلبي حاجة جيوبوليتيكية للولايات المتحدة ودول الغرب عموماً .

لقد كان (المشرق) عربياً وكانت (البلاد العربية) تحتل كل الكيانات السياسية فى المنطقة أما بعد قيام اسرائيل ، فقد اختلف تكوين المنطقة ، إذ اقتضت المصلحة الاسرائيلية - الأمريكية تغيير هويتها لاستيعاب العضو الجديد ، وهو ليس مجرد عضو جغرافى ولكنه عضو مختلف عن باقى الأعضاء

عرقيا ودينياً وثقافياً، وتعزز ذلك بالميل الأميركي - الاسرائيلي لتعميق التجزئة الجغرافية السابقة للوطن العربي والتي أحدثتها بريطانيا وفرنسا (سايكس- بيكو) باحداث تجزئة عرقية وأثنية داخل التجزئة الأولى، ويتسيد المفهوم القائل أن منطقة الشرق الأوسط، منطقة تضم خليطاً من الشعوب والقوميات والأقليات غير المتجانسة ، وليست (عربية) .

وكانت هذه الحاجة تترسخ وتزداد مع مرور الوقت وتطور استراتيجيات الاحتواء وتكشف المصالح . فقد اقتضت المصلحة الأمريكية قيام تعاون عسكري وأمنى بين اسرائيل والدول العربية وإيران وتركيا كما اقتضت الاعتماد المطلق على اسرائيل فى مواجهة حركة التحرر العربية ، ومع تعاظم أهمية النفط عالمياً ، وتعاظم مكانة الإحتياجات العربية منه، تعاظمت حاجة أمريكا لترتيبات تكرر سيطرتها المطلقة على النفط العربى لا سيما فى الخليج وإبعاد كل الأيدي عنه ، بما فى ذلك الأيدي العربية القريبة كمصر أو سوريا أو العراق، فدعمت بلورة مفهوم (خليجى) انعزالى يفصل المنطقة تدريجياً عن نطاقها القومى والحضارى العربى.

كل هذه العوامل وسواها، ساهمت فى بلورة مصطلح الشرق الأوسط جغرافياً وسياسياً وعرقياً وفى تكريسه كمفهوم جيوبوليتكى للتعاطى مع شؤون الوطن العربى الداخلى .

ولكن رغم استقرار المصطلح وطول المدة التى استخدم فيها، وتداوله الواسع حتى فى (الوطن العربى) الذى أصبح معتاداً له ورغم التنظيرات الهائلة التى ظهرت عنه فى أمريكا والغرب وفى العالم كله ، فإنه لا زال مشوباً بقدر غير هين من الغموض ويكتنفه الاضطراب النظرى والتطبيقى، فليس هناك اتفاق محدد حتى اللحظة على حدود (الشرق الأوسط) الجغرافية ، وهى مسأله ليست هينة لتعريفه وتحديدده . فمن الواضح ان اليونان (مثلاً) لم تعد جزءاً من خريطة إذ لم تعد تدخل فى نطاقه ، بل انتقلت إلى نطاق أوروبا الغربية والأطلسية بعد انتسابها إلى الاتحاد الأوروبى وحلف الناتو.

وهناك اختلاف شديد حول ما إذا كانت دول ما يعرف بالمغرب العربى تضع فى نطاق الشرق الأوسط، فمقابل رأى الذى يؤيد وضعها فيه ، هناك رأى آخر لا يقل بلاغة (من أنصاره المستشرق المعروف برنار لويس) يخرجها منه ويضع نهاية حدوده فى حدود مصر الغربية . لكن وجود النفط فى ليبيا كما يبدو يرجح الرأى الأول . ولا وجود لمعايير نهائية . فالسياسة الأميركية تدخل الجزائر أو المغرب أحياناً فى الشرق الأوسط وتخرجها منه أحياناً أخرى .

وأدت نهاية الحرب الباردة إلى اضطراب أشد فى مفهوم ونطاق الشرق الأوسط . إذ رأى بعض الأمريكين والغربيين أن دول آسيا الوسطى الاسلامية التى استقلت عن الاتحاد السوفياتى تقع داخل نطاق الشرق الأوسط إلى جانب ايران وتركيا . وهناك آراء ضعيفة أخرى ترى أن الضفة الغربية من

البحر الأحمر لابد أن تدمج فى إطار الشرق الأوسط .
وبينما يوجد اجماع على كون إيران وتركيا أعضاء فى نادى الشرق الأوسط، ثمة اختلافات حول
علاقة أفغانستان وباكستان . ومن الواضح ان اسرائيل وأميركا ستؤيدان بقوة ادماج باكستان فى
ترتيبات الشرق الأوسط الجديدة لكى تخلقاً مبرراً لتجريدتها من السلاح النووى فى نطاق عملية
السلام واخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل !!
ومن الواضح أكثر فأكثر أن العامل الخارجى وبالتحديد الغربى هو الذى يحسم التباينات فى هذه
الأمر الجوهري، لا دول المنطقة صاحبة الشأن، ويحدث ذلك تبعاً للمصلحة الخارجية لا المصلحة
المحلية . وان أكثر الأطراف تضرراً من تسييل مفاهيم الهوية والقومية وكذلك الجغرافيا لأهداف
ومصالح اسرائيلية أميركية - غربية هو الطرف العربى بالتحديد وأن الأطراف الأخرى جميعاً مستفيدة
بدرجات مختلفة بما فيها تركيا وإيران وسواها .

ثانياً: التعاون الشرق الأوسطى :

نبتت أفكار وأحلام التعاون بين دول وشعوب الشرق الأوسط على قاعدة الأفكار والمفاهيم السابقة
 . ونمت فى المناخ الذى ترعرعت وازدهرت فيه لدواع سياسية وأيدولوجية أولاً .
ويتفق بعض المفكرين العرب الاسرائيليين على أن أول بذرة فى هذا الحقل ، غرسها مؤسس
الصهيونية "تيودور هرتزل". فقد أيد الكاتب اللبنانى "رغيد الصلح" ما ذهب إليه صحيفة
جيروزاليم بوست الاسرائيلية من أن النظام الشرق الأوسطى هو خلاصة يوتوبيا هرتزل حيث
يتحول هذا الشرق إلى جنة يخيم عليها السلام والتعايش وحيث تجتمع الثروات العربية
الطائلة ، والعقيدة اليهودية التى ستتمركز فى فلسطين . (٥٢)
والواقع أن أفكار التعاون الأمنى والعسكرى ارتبطت بالمشاريع والاقتراحات الأميركية فى ظل
الحرب الباردة بخططها الاقليمية والعالمية لمكافحة الخطر الشيوعى السوفياتى . فى حين أن أفكار
التعاون الاقتصادى اقترنت بطروحات اسرائيل وتصوراتها الخاصة بشأن (السلام) وعلاقاتها مع
العرب ودول المنطقة ويجب التفريق بين هذين المستويين من فكرة التعاون .
وهناك من القرائن ما يكفى للتدليل على أن زعماء اليهود والحركة الصهيونية طرحوا مفاهيمهم
للسلام القائم على التعاون كضمانة لتجذير اسرائيل فى أرض المنطقة وتحقيق اسطورة (اسرائيل
الكبرى) كقوة مهيمنة ، إضافة إلى كون هذا التعاون الوسيلة الوحيدة لحل بعض الاشكاليات
الموضوعية والطبيعية فى الكيان الاسرائيلى كمسألة القصور الجغرافى لفلسطين (صغر المساحة) أو
القصور البيئى (كشح المياه الجوفية) .. وذلك قبل قيام اسرائيل بسنوات، وان هذا الطرح تم مباشرة

عبر الدراسات والأبحاث التى أجراها الصهاينة أو بصورة غير مباشرة عبر المشاريع التى طرحها الأوروبيون والأميريكيون لتسوية المشكلة فى فلسطين، فالصهاينة الأوائل ، ومنذ مطلع القرن العشرين اعتبروا قيام دولتهم فى فلسطين انطلاقة للتنمية الزراعية والصناعية والتجارية فى فلسطين وسوريا وآسيا الوسطى حسب رسالة هرتزل إلى السلطان "عبد الحميد" عام ١٩٠١ (٥٣) .

وفى رسالة ثانية له عام ١٩٠٢ اقترح "هرتزل" إنشاء جامعة يهودية فى القدس مخصصة لتجميع العلماء اليهود (الأقذاذ) فيها وتسخيرهم لتعليم شعوب الشرق أسباب الحضارة المعاصرة بدلاً من أن يطلب هؤلاء العلوم فى جامعات أوروبا ١١ وتضمنت اتفاقية الملك "فيصل وحاييم وايزمن" عام ١٩١٣ أطول فقراتها عن التعاون الصهيونى العربى لدراسة امكانات التنمية الاقتصادية المشتركة . والصهاينة اكتشفوا نقاط القصور والعجز فى التكوين الطبيعى لفلسطين منذ الثلاثينيات والأربعينيات فخططوا لسرقة مياه الأنهار العربية فى الدول المجاورة ولا سيما سوريا ولبنان وطرحوا مسألة اقتسام المياه على جميع الدول التى توسطت أو تدخلت لتسوية الأزمة بين العرب واليهود منذ الأربعينيات واعتبروا ذلك شرطاً لتحقيق السلم مع جيرانهم العرب (قبل قيام اسرائيل ١١) فعلى سبيل المثال، تضمن مشروع (لودر ميلك) لحل المشكلة الفلسطينية عام ١٩٤٤ وهو مشروع صهيونى بالكامل، فى أولى فقراته : الاستيلاء على مياه نهر الاردن ومصادرها . وفى الفقرة الثانية تجفيف بحيرة الحولة وفتح قنوات واسعة تجرى مياه الاردن فيها لرى منطقة بيسان ثم نقل الفائض من المياه إلى النقب، وفى الفقرة الثالثة : الاستيلاء على أنهار سوريا ولبنان وتحويل مياهها إلى بحيرة اصطناعية فى شمال الناصرة، ثم نقل المياه منها إلى صحراء النقب ١ وتضمن المشروع نفسه فكرة قيام تعاون بين اسرائيل والعرب يستند إلى أن اسرائيل ستكون دولة صناعية مزدهرة ومتقدمة، وأن يقدورها تنمية الشرق الأدنى كله وامداده بالكهرباء والمنتجات الصناعية وقبول المشاريع التنموية والتجارية الكبيرة كما تضمن المشروع فكرة تهجير الشعب الفلسطينى من بلاده الأصلية إلى وادى الفرات ودجلة. ولكن تحت ذريعة (عنصرية أيضاً) مفادها أن هؤلاء السكان لن ينسجموا مع نمط الحياة الصناعية الذى ستتحول إليه على أيدي اليهود لأنهم مفطورون على العيش على نمط الحياة البدوية والزراعية وأن التهجير هدفه توفير البيئة التى تساعد على التكيف والانسجام .. أى لخدمتهم وتحقيق مصالحهم أولاً لا مصالح الصهاينة ١

وعندما قامت الدولة اليهودية، وهزم العرب فى المعارك العسكرية التى وقعت بين الجانبين عام ١٩٤٨، وجرى مباحثات للتوصل إلى هدنة عام ١٩٤٨ (جرت فى جزيرة رودس اليونانية) ضمن اليهود الاتفاقيات العسكرية منظورهم الاقتصادى لمحتوى السلام . ومنذ عدوان عام ١٩٦٧ أخذت اسرائيل تطرح مفهوم السلام الكامل والشامل كضمن لإعادة الأراضى التى احتلتها إلى أصحابها

العرب . ولم تعد تكثف بالهدنة العسكرية، ولا بالغاء حالة الحرب، ولكن بتبادل العلاقات وفتح الحدود والتعاون الاقتصادي بأوسع صورة ، وكانت رئيسة الحكومة اليهودية آنذاك "غولدا مائير" تقول أن السلام بالنسبة إليها يعنى أن تكون قادرة على التسوق فى سوق الموسيقى (بالقاهرة) أو سوق الحميدية (بدمشق). وفى افتتاح مؤتمر جنيف ١٩٧٣ قال وزير الخارجية الاسرائيلى "آبا ايبان" أن ضمان السلام يتمثل فى توليد مصالح اقليمية مشتركة وشبكة من المنافع المتبادلة نتمكن معها من ابعاد شبح الحرب .

ونتيجة للموقف الاسرائيلى ، تبنت الولايات المتحدة الأميركية هذا المفهوم بالنسبة للسلام منذ وقت مبكر . ففي مارس / آذار من عام ١٩٥٧ سن الكونغرس قانوناً (رقمه ٨٥ - ٧) لدعم السلام وتوطيد الاستقرار فى الشرق الأوسط، ربط بين المساعدات الاقتصادية التى تقدمها أمريكا للدول المنطقة وبين التعاون معها فى استراتيجيتها لتحقيق السلام والاستقرار ومكافحة الشيوعية وتأكدت هذه النقاط لاحقاً فيما سمي بنقاط "كنيدى" (الرئيس جون كنيدى) الستة عام ١٩٦٣ ، ثم تكررت فى مبادئ الرئيس "لندون جونسون" الخمسة عام ١٩٦٧ ، وكذلك فى نقاط الرئيس "ريتشارد نيكسون" الخمسة للتحرك فى - أزمة الشرق الأوسط عام ١٩٦٩ ، ثم ظلت ترد فى كل برنامج أو مقترح أو خطة أميركية بشأن مساعى التسوية السلمية فى المنطقة . (٥٤)

وعندما أبرمت مصر واسرائيل اتفاقية "كامب ديفيد" عام ١٩٧٩ ضمنناها ملحقاً يحدد (إطار السلام فى الشرق الأوسط) يحتوى على التصور الاسرائيلى القائم على التعاون الاقتصادى والتنمية المشتركة للمنطقة بصورة شاملة وتخفيض حجم التسليح والانفاق العسكرى .

ثالثاً : الفكرة الشرق الاوسطية :

مع بداية عملية السلام التى انطلقت عام ١٩٩١ بتخطيط وتوجيه مباشرين من جانب الدبلوماسية الأميركية، طرحت أفكار وبرامج متطورة وطموحة للتعاون الاقليمى ، واعتبرت جزءاً من عملية السلام، كما طرحت تصورات عن آفاق المستقبل فى هذه المنطقة والتغيرات الجيوبوليتيكية التى لا بد أن تحدث كنتيجة حتمية لتحقيق السلام والتعاون بين إسرائيل والدول العربية ودول المنطقة القريبة (ايران، وتركيا... الخ) بمساهمة من الدول الغنية والكبرى فى العالم ذات المصالح فى المنطقة وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية واعتبرت هذه الأفكار بمثابة مكونات أساسية لنظام جديد، هو النظام الشرق الاوسطى أو السوق الشرق الاوسطية أو الهوية الشرق الاوسطية ولازالت الأفكار قيد التداول والمناقشة بصورة واسعة النطاق محلياً وعالمياً فما هو مفهومها الاسرائيلى أو الأمريكى تحديداً بعيداً عن الشائعات والمبالغات والديباجات الإعلامية الكثيرة التى طفت بها الصحف

وسائل الاعلام العربية؟

١- المفهوم الاسرائيلي

يعتبر وزير خارجية اسرائيل "شمعون بيريز" أهم المفكرين في الطبقة السياسية اليهودية حالياً، وهو يقف وراء الكثير من (انجازات) عملية السلام مع الفلسطينيين، وتمثل رؤيته لأفاق السلام المطروح ونتائجه أهم عناصر المفهوم الاسرائيلي لفكرة الشرق الأوسطية، ويمكن التعرف عليها من خلال كتابه الذي أصدره باللغة الانجليزية ونشره في واشنطن في نهاية عام ١٩٩٣ بعد توقيع اعلان المبادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية. والكتاب بعنوان قريب من الفكرة التي نحن بصددتها: (الشرق الأوسط الجديد). ويتضمن عرضاً موسعاً لمفهوم النظام الإقليمي المنشود في المنطقة وسنعمد عليه لتقديم نبذة موجزة عن هذا المفهوم. إلى جانب بعض التصريحات الصحافية المتفرقة "لبيريز" حول الموضوع عينه. (٥٥)

يرى "بيريز" أن الصراع العربي الاسرائيلي معكوم بالدوران في حلقة مفرغة إذا استمرت الحروب الوسائل الوحيدة في معالجته، لأن العرب لن يستطيعوا هزيمة اسرائيل عسكرياً، كما أن اسرائيل لن تستطيع املاء شروطها كاملة على العرب في ميدان الحرب.

ويضيف "بيريز" أن الصراع تطور إلى سباق تسلح وصل في الأعوام الأخيرة إلى مشارف جيل جديد من الأسلحة النووية وغير التقليدية التي تهدد بكوارث الفناء الشامل. وان هذا التطور لا يهدد طرفاً من أطراف الصراع، بل يهدد الجميع، كما أن ظهور حركات التطرف الديني تجعل الاحتمال السابق كابوساً أكثر رعباً يجره التفكير فيما لو امتلكت هذه الحركات أسلحة غير تقليدية؟

ويرى "بيريز" أن الصراع بين اسرائيل والعرب وكذلك المشكلة الفلسطينية لم تعد هي عوامل التوتر والأزمة الأولى أو الوحيدة في الشرق الأوسط إذ ظهرت مشاكل وأزمات أكثر خطورة، منها مثلاً مشكلة التنمية ومعدلات الفقر المخيفة وانخفاض مستويات المعيشة والبطالة وغير ذلك من الأزمات والاشكاليات التي تراكمت وأدت إلى ظهور تيارات التطرف الأصولية، والمشكلات الناجمة عن الطبيعة والبيئة، كنقص المياه والتصحر والتي تهدد بنشوب حروب جديدة على نطاق أوسع.

وبناء على ذلك يعتقد "بيريز" ان على دول المنطقة أن تنصرف إلى التعاون البناء فيما بينها لمعالجة جميع هذه الأزمات والاشكاليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأن أي دولة لا تستطيع بمفردها معالجة نصيبها من هذه المسائل.

ويطرح "بيريز" مجموعة من الاجراءات الاقليمية تتطور تدريجياً من الأضيق إلى الأشمل فالأشمل. ففي الفصل الرابع (النظام الاقليمي) يقترح إقامة منظمة اقليمية للتعاون الاقتصادي والسياسي تجمع دول المنطقة بصرف النظر عن قومياتها ويعتقد أن هذه المنظمة هي الرد الفعال على الأصولية!

وفى الفصل نفسه، يقترح إيجاد نظام إقليمي للرقابة والرصد فى مضمار الأمن والتسلح، وإقامة تحالف إقليمي سياسى قادر على فرض هيئته . ويرى أن هذا الاقتراح بديل عن مفهوم العمق الأمنى الاستراتيجى الذى تتمسك به الأطراف فرادى . ويدعو لنزع السلاح من الجانبين ولكن بشكل تدريجى.

ويكرر "بيريز": **يتمين علينا أن نبني شرقاً أوسطياً جديداً، يكون السلام فى إطاره العملى وسيلة للأمن، وليس مجرد هدف سياسى. فالأمن المشترك وحده هو الذى يمكنه أن يضمن الأمن الفردى .**

ويضيف : انه لا يمكن إقامة سلم راسخ أو شرق أوسط جديد بالاستناد إلى أساس سياسى فقط . ويتابع : إذا اتفقنا على أن تعريف التغيير يتمثل فى إقامة بضع علاقات جديدة وإزالة الحدود السابقة فإننا لن نكسب شيئاً يذكر . ومن المؤكد أن ذلك لن يكتب له دوام إذ أن العنف لن ينتهى لأن الأسباب الكامنة وراءه اقتصادية واجتماعية أكثر منها سياسية .

إذاً ماذا ؟؟

لا بد من الحلول الاقتصادية والاجتماعية. ولا بد أن تكون هذه الحلول على مستوى (المعجزة) لكى تقطع الطريق على تيارات العنف .

ويتصور "بيريز" أن الحفاظ على السلام الاقليمى مشروط بإقامة مشاريع مشتركة فى البحث وتطوير مصادر الغذاء من البحر وعبر واردات السياحة ، ولن تصبح هذه المسائل ممكنة إلا فى اطار شامل. فالمنطقة بحاجة إلى أربعة أزمات اقتصادية سياسية تشدها وتحفظ أمنها .

الحزام الأول : نزع السلاح ، **والثانى :** هو المياه والحرب على التصحر والصحراء بالوسائل التكنولوجية العلمية المتقدمة ، **والثالث :** هو الهياكل الأساسية للنقل والاتصالات ، **والرابع :** هو السياحة .

إذاً لا بد من تعاون واسع فى مجالات الزراعة والصناعة والطاقة والمياه والبحث العلمى ولا بد من فتح الحدود وإقامة بنية تحتية ملائمة لمثل هذه المشاريع الضخمة، ولا بد من مساهمة دولية ضخمة على غرار مشروع مارشال فى أوروبا بعد الحرب الثانية .

فى الفصل السابع (مصادر الاستثمار والتمويل) يحدد "بيريز" حاجات التنمية الاقليمية المشتركة والبنية التحتية ، ويبشر باستثمارات غربية كبيرة لإطلاق الصناعة وتحلية مياه البحر، وإقامة شبكات متقدمة للمواصلات والاتصالات وتحسين اداء الادارة ونظم العمل المحلية .

وفى الفصل الثامن يطرح "بيريز" فكرة (الحزام الأخضر) معرباً عن الأمل فى تغيير لون الشرر الأوسط من الأسمر إلى الأخضر من خلال مشاريع التنمية والحرب ضد الصحراء ويدعو لانشاء غرة

عمليات اقليمية لقيادة الحرب ضد الصحراء ، ويدعو للاستفادة من المعجزة الاسرائيلية فى حفل الزراعة ، متباهياً بأن البقرة اليهودية تحلب ثلاثة أضعاف ما تحلبه البقرة الروسية ويستمر الكتاب فى فصوله التالية فى الحديث واطلاق الوعود ورسم الخطط فى مجالات المواصلات والموانئ والصيد البحرى . وفى الفصول الأخيرة يصل "بيريز" إلى مرحلة إصدار الأحكام النهائية : إذ يطالب بتأسيس كونفيدرالية ثلاثية مع الفلسطينيين والاردن، تختفى الحدود من داخلها تدريجياً إذ (ليس هناك خيار سوى العيش المشترك) بين هذه الشعوب الثلاثة لأن اسرائيل لا يمكنها التخلي عن أى قطعة أرض للفلسطينيين!! ويكفل هذا الحل برأيه عدم قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ويفتح الطريق أمام تعاون واسع مع العرب ودول المنطقة .

وفى مرحلة لاحقة تحدث "بيريز" بصراحة عن (ان البحث يتركز الآن على إقامة سوق شرق أوسطية أو منطقة تجارة فى الشرق الأوسط واقتسام لمشاريع المياه وعلى النهوض بمشروع مارشال جديد) .

وقال "بيريز" أيضاً ان البحث لا يقتصر على النواحي الاقتصادية المالية بل يتعداها إلى انشاء حلف عسكرى - أمنى يضم الدول العربية وإسرائيل تنضم إليه أمريكا وبعض الدول الأوروبية ويسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بأسلحتها النووية خلال فترة انتقالية ثم يتم نزعها بعد أن تتحقق الفكرة الشرق الأوسطية .

وفى تصريح منفرد آخر قال "بيريز" بوضوح وثقة : **اننى أتطلع بأمل إلى قيام (ولايات متحدة شرق أوسطية) .**

فماذا تعنى هذه الأفكار؟ وما هى عناصر المفهوم الاسرائيلى للفكرة الشرق أوسطية ؟؟

تعنى ان الدولة اليهودية لم تعد تقبل بالسلام المحدود من جانب العرب ولا بتطبيع العلاقات السياسية والدبلوماسية معهم، فشروطها تتجاوز ما قبلته سابقاً من مصر فى اتفاقية "كامب ديفيد" لأسباب مفهومة ، إذ كان الهدف يومذاك إخراج كبرى الدول العربية من ساحة المجابهة، أما اليوم، فقد انتهت المجابهة على كل الجبهات واختلت موازين القوى، وانهار (نظام الأمن القومى العربى) وانهار معه كل نظام تضامنى سياسى وكل أمل بقيام نظام تكاملى اقتصادى وظهرت انقسامات وتوترات داخل الصف العربى بل وصراعات أصبحت تتقدم على التناقض القومى مع إسرائيل، وحلت الولايات المتحدة الأمريكية على الأرض العربية وأقامت تحالفات وعقدت اتفاقيات ثنائية للأمن كانت فى معايير المرحلة القومية السابقة حراماً لا يمكن ارتكابه. وتعنى أفكار "بيريز" أيضاً انه حتى السلام بالمفهوم الاقتصادى القائم على التعاون والتبادل المتكافئ بين دولة ودولة أخرى ما عاد مقبولاً كفاية فى المفهوم اليهودى الجديد .

يريد "بيريز" بطبيعة الحال، إبرام معاهدات سلام شامل مع جميع الدول العربية وانهاء القضية الفلسطينية بدون أن تتنازل إسرائيل عن أى شبر من الأرض ، وتريد إلغاء حالة الحرب، وفرض رقابة دولية صارمة على التسليح والنشاط العسكرى وتخفيض حجم الجيوش العربية وتعديل نظمها واعادة هيكليتها لكي تتحول من جيوش للحرب مع إسرائيل أو الدفاع القومى إلى أجهزة شرطة وقمع داخلية.

وتطالب إسرائيل أيضا بإلغاء كل أشكال المقاطعة الاقتصادية لها، وإزالة الأسوار الجمركية واجراء تعديلات جذرية فى النظم الاقتصادية العربية القائمة (افتراضاً) على المصلحة والسيادة الوطنية، واجراء عمليات (مخصصة) جذرية على الطريقة الريفانية أو التاشيرية، وهو ما بدأت إسرائيل بالقيام به فى اقتصادها، وهو أيضا ما بدأت أمريكا تلح عليه فى دول لم تكن يوماً (اشتراكية أو ذات قطاع عام) كالسعودية ودول الخليج الأخرى. فإسرائيل (وأمركا) تتوقعان تغييرات اجتماعية عميقة من وراء المخصصة تؤدي إلى خلق شرائح أو فئات اجتماعية ذات مصلحة ثابتة فى التعاون التجارى والمالى معهما، وخلق ثقافة استهلاكية وقيم جديدة نفعية متحررة من الايديولوجيات القومية وأخلاقيات التضامن والتكافل العائلى والاجتماعى. تتطلع إسرائيل حسب شروط السلام أو مفهومها له لإقامة نظم جديدة بالكامل فى المنطقة، وأنماط عمل وإنتاج وتربية وحكم مختلفة عن كل ما هو موجود حالياً سواء على الصعيد القطرى أو على الصعيد القومى. نظم قطرية مرتبطة بالغرب، وقائمة على مؤسسات سياسية وإدارية على الطريقة الغربية، و نظم اقتصادية ليبرالية بالكامل وبعد ذلك تتطلع إلى تفكيك وإزالة النظام القومى العربى وكل مكوناته ومقوماته، وفى مقدمتها جامعة الدول العربية وقد أوما "بيريز" بصراحة إلى هذه المسألة وهى تتفق أصلاً مع رفض إسرائيل لأى دور للجامعة فى عملية السلام حتى ولو كان هذا الدور الاعتراف بها وتنسيق المفاوضات معها، فهى مرفوضة رفضاً قاطعاً من الأساس بسبب تكوينها القومى ودورها فى الحقبة الماضية .

وتطالب إسرائيل بإقامة منظمات اقليمية شرق أوسطية تحمل محل المنظمات القومية السابقة ولا بد أن تكون هذه المنظمات ملزمة بكل فروعها ومؤسساتها بما فيها المشاركة فى هذه المنظمات والانخراط فيها وربط مؤسساتها ومنظماتها وهيكلها الوطنية بالمنظمات الاقليمية، ومواءمتها بالمنظمات المماثلة فى الدول الأخرى، وسيشمل هذا التعاون الملزم القطاعات كافة من الزراعة والمياه والصناعة والطاقة والتجارة والمواصلات إلى أضيق الأطر، فى البحث العلمى والسياحى والموائى والسكك الحديدية والطرق .. الخ

ومن المفهوم ان الاسرائيليين يراهنون على التحولات الاجتماعية والبنوية التى ستحدثها عملية السلام والتعاون مع الدول العربية والتغييرات الجهورية فى مفاهيم الشعوب، والتكوينات الطبقية

وعلى تأثيرهم ومساهماتهم بجانب الدور الذي ستلعبه الدول الغربية الكبرى التي سيكون لها اضطلاع كبير بعملية التنمية وتوجيه الاستثمارات والقروض وحركة التمويل والسياحة، فضلاً عن الدور المنهجي للمنظمات المالية والاقتصادية الكبرى بدءاً من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وانتهاء بالبنوك والمؤسسات الغربية والشركات المتعددة الجنسيات... إلخ حيث ينتظر إقامة مؤسسات إقليمية خاصة من هذه المنظمات، كالبنك المقترح انشاؤه للاشراف على التنمية . والصندوق المالي المقترح لاقتطاع نسبة من عائدات النفط !

بعد هذا تأتي مرحلة جديدة، يتعين على الأطراف الوصول فيها إلى (ولايات متحدة شرق أوسطية) أى الانتقال من مرحلة (النظام الاقليمي) إلى مرحلة (الدولة الاتحادية) على طريقة الاتحاد الأوروبي الذي انتهت إليه تجربة السوق الأوروبية المشتركة بعد ٣٠ سنة من تدرجها .

وإذا كان من سمات النظام الإقليمي تقليص مستويات السيادة القومية والوطنية شيئاً فشيئاً، فإن من بدهيات الصيغة الاتحادية في المرحلة الثانية، اختفاء المكونات والمقومات الوطنية والقومية تماماً وربما كانت اسرائيل تحلم وتخطط لإقامة نموذج من الولايات المتحدة الأميركية وهي صيغة اندماجية أعمق من الصيغة الاتحادية الأوروبية .

ولكن حتى لو اكتفينا بالنموذج الأوروبي باعتباره يمثل أعلى مراحل المفهوم الاسرائيلي للشرق أوسطية الجديدة فإنه يمكن القول أنه يطمح لخلق هوية أعلى من القومية وبديلة عنها تدمج الشعوب والثقافات واللغات والاثنيات العديدة التي يزخر بها الشرق الأوسط، وتوفر الانسجام بينها على أساس (المصلحة والمنفعة) وتلبية لضرورات (التقدم) الذي يحرك التاريخ، بدلاً من العصبية التقليدية بما فيها (وبالأحرى على رأسها) : القومية العربية. وبدلاً عن الميراث الثقافي الايديولوجي المشبع بالتطرف الديني والقومي والعرقى والذي تولدت منه التيارات الأصولية والحركات الارهابية (بما فيها الانتفاضة الفلسطينية حسب نظرية بيريزا) وانتجت مشاعر الكراهية والحقد تجاه اليهود واسرائيل وتسببت طوال قرن كامل بصراعات وتوترات لم يكن لها مبررات حقيقية وأهدرت امكانات المنطقة وثرواتها في مجالات غير مجدية ولا منتجة .

إذا فالشرق أوسطية، في أعلى مراحلها، هوية فكرية ورابطة أعلى من القومية وايدولوجيا ليبرالية معاصرة، ونظام اقليمي شامل للأمن والتكامل الاقتصادي واحلال الديمقراطية واحترام حقوق الانسان، وتوفير أسباب الرخاء والرفاه .

انه مشروع حضارى جديد وشامل للمنطقة قاعدته المادية اسرائيل، ونقطة المركز فيه اسرائيل ورأسماله العظيم العبرية اليهودية . ومرجعيته العالمية الولايات المتحدة الأميركية .

٢ - المفهوم الأمريكى للشرق أوسطية

ليس هناك مفهوم أمريكى للشرق أوسطية متباين أو متميز عن الرؤية الاسرائيلية بصورة جوهرية فالتناغم والانسجام تامان فى القضايا الرئيسية والثانوية على حد سواء بينهما وتهدف عملية عرض الرؤية الأمريكية هنا إظهار تطابق الموقف والتصوير والتوزيع الأوركستراالى الدقيق للأدوار والاقتراحات والبرامج الخاصة بشأن مستقبل الشرق الأوسط بين أمريكا واسرائيل وإن كان ثمة اختلاف فهو يتمثل فى أن الرؤية الأمريكية أوسع وتتقاطع فيها الأبعاد الإقليمية بالدولية وسوف نتعرف على وجهة النظر الأمريكية عبر مستويين ،الأول رسمى ،والآخر شبه رسمى. إضافة إلى أننا سنعود للماستها ثانية فى أثناء التعرض للمفاوضات المتعددة الأطراف بصورة مباشرة

التصور الأمريكى الرسمى :

فى نيسان /أبريل ١٩٩٤ تقدمت الولايات المتحدة أو الراعى الأمريكى إلى الدول المشاركة فى المفاوضات المتعددة الأطراف بمشروع مقترح لإعلان مبادئ توقع عليه الدول المشاركة وتلتزمه وبصورة خاصة دول الشرق الأوسط المعنية مباشرة بعملية السلام لأنه يتضمن المبادئ التى تجرى على أساسها هذه المفاوضات ، والأهداف التى تتحرك إليها والمبادئ أو الالتزامات التى يجب أن تستند عليها العلاقات بين الأطراف الإقليمية فى الشرق الأوسط مستقبلاً ويشكل هذا المشروع وثيقة هامة بكل ما تعنيه الكلمة لأنه يتضمن المفهوم الأمريكى الرسمى للفكرة الشرق الأوسطية ونكتفى هنا بإيراد فقرات منه (النص الكامل منشور فى ملحق الوثائق) (٥٦) جاء فيه :

– "بالاتفاق على أنه ينبغى على كل الأطراف فى المنطقة السعى من أجل الهدف المشترك بتحقيق علاقات كاملة ودائمة من السلام والمصالحة والصراحة والثقة المتبادلة والأمن والاستقرار والتعاون والتقدم الاقتصادى والاجتماعى فى كل أنحاء المنطقة .

ويعد مباشرة المفاوضات المتعددة الأطراف التى تهدف إلى :

– توفير رؤية للشرق الأوسط تخدم ، كدليل للخطوات التالية، فى العملية وتحدد شعوب المنطقة بالأمل والثقة بتحسينات مادية فى حياتهم منبثقة من تحقيق تسوية سلام عادل ودائم وشامل.

– ترسيخ الحد من الأسلحة وترتيبات الأمن الإقليمى الهادفة إلى تحقيق أمن متكافئ للجميع بأقل مستوى ممكن من التسليح والقوات العسكرية .

– تخفيف مأساة النازحين بسبب النزاع العربى الاسرائيلى مع التركيز على مشروعات ملموسة لتحسين الظروف المعيشية لكل اللاجئين الفلسطينيين و بانتظار تحقيق سلام شامل تهدف المفاوضات المتعددة إلى تعزيز التعاون الإقليمى والتنمية الاقتصادية بمشاركة اسرائيل والعرب من خلال مشروعات ملموسة تشارك فيها الأطراف فى المنطقة .

- تعزيز توفير المياه للسكان فى المنطقة بدعم التعاون بين الأطراف فى الأنشطة التى ستؤدى إلى استخدام أفضل للمصادر الموجودة وتعزيز الامدادات .
- تحسين البيئة فى المنطقة من خلال تعزيز التعاون فى مجالات الادارة البيئية وتلوث البحار ونوعية المياه والصرف الصحى وادارة الأراضى البور والتصحر" .
- وفى فقرة أخرى :

"مبادئ أساسية تحكم العلاقات بين الأطراف الإقليمية فى منطقة الشرق الأوسط ان الأطراف الإقليمية فى الشرق الأوسط وفى سعيها نحو سلام عادل ودائم وشامل فى منطقة الشرق الأوسط وفى تطلعها نحو مستقبل زاهر يتسنى لجميع شعوب المنطقة المشاركة فيه ستقيم علاقاتها وفقا للمبادئ الأساسية التالية :

- احترام كل بنود قرارى مجلس الأمن الرقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ والاعتراف بها .
- احترام ميثاق الأمم المتحدة .
- احترام السيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى والاعتراف بذلك .
- التسوية السلمية للمنازعات .
- احترام حقوق الانسان .
- التعاون فى المجالات الوظيفية ذات الصلة .
- الوفاء بنزاهة بالتزامات وفق أحكام القانون الدولى .
- حرية الوصول إلى الدفق الحر فى المعرفة والمعلومات عبر الحدود الوطنية .
- تشجيع الحريات الفردية والجماعية والمبادرة الفردية والابتكار لشعوب المنطقة والتعهد بالديمقراطية والتعددية .
- وجوب الاعتراف باقتصاديات السوق كحكم رئيسى على القرارات المتعلقة بحركة البضائع والخدمات والأفكار "

وفى فقرة أخرى ورد ما يلى :

- "تبنت لجنة التوجيه الآتى كإرشادات عامة للمفاوضات والعملية المتعددة الأطراف :
- كجزء من عملية السلام التى بدأت فى مدريد عام ١٩٩١ فإن على المحادثات المتعددة الأطراف أن تكمل وتخلق مناخاً مناسباً لتقدم المفاوضات الثنائية ويجب أن تتقدم مجموعات العمل حسب إيقاعها الخاص .
- على المفاوضات المتعددة الأطراف أن تركز على تخطيط مشروعات ملموسة وتنفيذها .
- على كل مجموعة عمل أن تفكر وتنفذ مشروعات واضحة وملزمة تلبي حاجات شعوب المنطقة.

- يجب أن تسعى العملية المتعددة الأطراف إلى تنظيم وتنسيق تمويل المشروعات الإقليمية المتفق عليها .
 - يجب جدولة وتنسيق الأنشطة الفردية من أجل زيادة تأثيرها إلى الحد الأقصى والحد من عدم فاعليتها .
 - على مجموعات العمل المتعددة الأطراف أن تفحص الوسائل لإشراك وتوسيع دور القطاع الخاص في التعاون الإقليمي .
 - يجب تعزيز الاتصالات بشقيها غير الرسمي، بين المشتركين الإقليميين ، والرسمي من خلال إيجاد شبكة للاتصالات .
 - يجب أن تبدأ العملية المتعددة الأطراف في تطوير رؤية لما ستكون عليه المنطقة بعد تحقيق السلام في المسار الثنائي، بما فيها دراسة المؤسسات الإقليمية التي قد تحتاجها المنطقة وتطويرها "
- وفي فقرة أخيرة تناولت الوثيقة ما أسمته (نيات) في شأن (أهداف معينة) للمفاوضات المتعددة الأطراف ، أدرجت فيها الحد من التسلح وإقامة أنظمة الرقابة على التسلح وعلى الجيوش والنشاطات العسكرية والاتفاق الحربي وفق سباق التسلح وتخفيض أحجام الجيوش. كما أدرجت في مضمار البيئة مشاريع لمعالجة تلوث البحار ونوعية المياه والصرف الصحي ومعالجة الأراضي البور والتصحر وإنشاء مؤسسات إقليمية لمعالجة قضايا البيئة كافة . كما نوهت بقضية اللاجئين وضرورة حل مشكلتهم وتحسين أوضاعهم (من دون تعصب أو فرض شروط مسبقة على المفاوضات السياسية)!
- وفي مجال التنمية الاقتصادية الإقليمية ذكرت : (إزالة العوائق أمام التعامل الاقتصادي الحر (حركة البضائع ورأس المال وقوة العمل) عبر الحدود وتطوير المصادر الاقتصادية والمشروعات على أسس إقليمية وإنشاء مناطق تجارة حرة ومنظمات للتعاون الإقليمي الاقتصادي)
- وفي مجال المياه حددت الوثيقة ضرورة التعاون بين دول المنطقة لحل مشاكل نقص المياه ووضع خطط وبرامج مشتركة .
- ان أول ما يبادر للذهن بعد قراءة الوثيقة هو التشابه الشديد بين أفكارها والأفكار الاسرائيلية ، وبصفة خاصة كتاب "شمعون بيريز" (الشرق الأوسط الجديد) بل يتولد انطباع قوي بأن الوثيقة مجرد تلخيص أمين لرؤية الكتاب والمطالب التي وردت فيه، يضاف إليها هنا عدد كبير من كلمة (يجب وينبغي) التي تريد واشنطن منها جعل المطالب والرؤى والمصالح الاسرائيلية التزامات عربية معاهدة أي موقعة في وثيقة دولية تحمل توقيع مجموعة من كبريات الدول .

وآخر ما يتبادر للذهن بعد التمعن فى الوثيقة خلوها تماماً من أى نص أو فقرة تعبر عن مصلحة عربية خالصة أى خلوها من أى مراعاة ولو جزئية للمصلحة العربية فهم جميعاً وبلا أى استثناء تلبى حاجات ومصالح أميركية اسرائيلية مشتركة فقط .

التصور الأمريكى غير الرسمى

بعد توقيع إعلان المبادئ بين عرفات ورايين فى واشنطن صدرت أفكار على قدر كبير من الأهمية من جانب مسؤولين فى الإدارة الأميركية ومن جانب باحثين فى مراكز دراسات مختصة بقضايا الشرق الأوسط عرفت دائماً بقربها من المؤسسات الحكومية وتعاونها معها كما أن الباحثين فيها يتنقلون دائماً وبصورة تناوبية بين وظائف داخل الادارة الرسمية. وبين هذه المراكز البحثية التى ترسم استراتيجيات السياسة الخارجية، وتنسق بصفة خاصة مع مجلس الأمن القومى والبتاغون والمخابرات والخارجية .

وعلى سبيل المثال قال "أنطونى ليك" مستشار الرئيس "بيل كلينتون" لشؤون الأمن القومى فى خطاب فى جامعة هوكينز فى نهاية ايلول/سبتمبر ١٩٩٣ أنه مع انتهاء الحرب الباردة وزوال خطر القوة السوفياتية صار بمقدور الولايات المتحدة التدخل فى الدول الأخرى بحرية كبيرة . ومعروف أن "ليك" يدعو لسياسة تدخلية فى العالم، مكرراً آراء وأفكار سلفه "زيجينو بريجنسكى" (مستشار الأمن القومى فى عهد الرئيس "جيمى كارتر" ١٩٧٧ - ١٩٨٠) وسياسة الرئيس "رونالد ريغان" الخارجية (١٩٨١ - ١٩٨٨) وتأتى منطقة الشرق الأوسط فى مقدمة المناطق التى يدعو هؤلاء المخططون الاستراتيجيون للتدخل فيها ، وأجراء تغييرات ثورية جذرية فى نظمها الحاكمة وخرائطها الجيوبوليتكية، ويرى المراقبون العرب أن هذه هى المرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية التى تتبنى فيها أمريكا دعوات لإطاحة نظم تقليدية فى الشرق الأوسط ظلت دائماً حليفة لها وقريبة منها وفيه لمصالحها البترولية والاقتصادية الأخرى والسياسية بصفة عامة .

وتتضمن المخططات الأميركية سيناريوهات أشبه بتلك التى كان قد شرحها الباحث البريطانى المتخصص بالشرق الأوسط "فريد هاليداي" قبل عقدين عن أساليب التدخل الأمريكى فى كتابه الشهير (قوس الأزمة) أى تصعيد الأزمة إلى درجة الانفجار وخلق الذريعة للتدخل أو طلب التدخل من القوى المحلية . فالأميركيون يتحدثون اليوم مجدداً عن (هلال أزمة) يشمل المنطقة الممتدة بين الجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى إلى الجزائر، وتتركز عقدة الأزمة فى الشرق الأدنى والخليج حيث تتنامى التيارات والحركات الاسلامية الراديكالية بسرعة مطردة ولا يخفى هؤلاء أن (الشرق الأوسط الجديد) سيكون مسرحاً لنفوذ أميركى ودور أكثر نشاطاً بالتعاون مع اسرائيل أولاً، ثم

بالتعاون مع بعض أعضاء الناتو القريبين من المنطقة، ولا سيما تركيا واليونان وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال. (٥٧)

والأهداف التي يحددها الاستراتيجيون للتدخل هي تعزيز دور وقوة إسرائيل في المنطقة اقتصادياً وسياسياً في المقام الأول، والحصول على البترول بشروط أكثر يسراً، من ناحية الأسعار أو من ناحية ضمان استمرار تدفقه في المستقبل في المقام الثاني، وفتح المنطقة أمام التطور الرأسمالي على قاعدة وقانون السوق الحرة في الدرجة الثالثة، والغاء الترتيبات والبنى التي قام عليها النظام العربي الإقليمي في الماضي، في الدرجة الرابعة، وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط في الدرجة الخامسة والأخيرة.

ويرى هؤلاء المخططون في الظروف العالمية (الانتقالية) الراهنة فرصة مواتية لتنفيذ جراحة عميقة في تكوين المنطقة إذ لا توجد قوة عالمية منافسة يمكنها استغلال الفرصة لصالحها أو مزاحمة أميركا، أما القوى الثورية المحلية والقوى المناهضة للولايات المتحدة، قومية أو إسلامية أو غيرها فلا تزال ضعيفة متفرقة ومشغولة بالمسائل الجزئية. لذا فلا خطر بالنسبة لأميركا من جراء دفع المنطقة إلى درجة من درجات الاضطراب والتفكك وإطلاق العنان لإسرائيل والنظم المحلية المرتبطة بها لعقد صفقات التسوية في إطار ما يدعى بعملية السلام وإعادة تشكيل الشرق الأوسط وفقاً للأهداف المذكورة.

رابعاً: المفاوضات المتعددة الأطراف .

مثلت هذه المفاوضات مرحلة جديدة من مراحل تقدم أفكار ومشاريع التعاون (الشرق أوسطي)، وقدمت إمكانية التعرف على هذه الأفكار بالنسبة لكل الأطراف المحلية والدولية بصورة رسمية وجدية، إذ لم تعد قضية التعاون الإقليمي، قضية نظرية مطروحة للنقاش ولا معروضة للمساومة، بل أصبحت عبر المفاوضات المتعددة الأطراف خطأ موازياً لمفاوضات التسوية الثنائية بين الدول العربية وإسرائيل، فهما يشكلان معاً السكة الحديدية لقطار السلام المرتقب !

لقد انفردت الدبلوماسية الأميركية عام ١٩٩١ بتنظيم (عملية السلام) على هذا النحو العجيب الذي لا سابقة له في التاريخ السياسي للعالم على الإطلاق . ودعت إلى إيجاد محورين للمفاوضات منفصلين تماماً، الأول لبحث المسائل السياسية الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي، والثاني لوضع استراتيجية متقدمة من التعاون الإقليمي يضم دول الصراع ودولاً كثيرة أخرى من المنطقة والعالم تحت إدارة وإشراف وتوجيه مباشرة من الولايات المتحدة .

ويدهى أن وجه العجب هنا، كما قال الباحث المصري المعروف د "عبد المنعم سعيد" انه للمرة الأولى في التاريخ يطلب إلى دول لا زالت - حالة الحرب قائمة بينها رسمياً وفعلياً ولا يعرف ما إذا

كان يمكن التوصل إلى تسوية سلمية عادلة ودائمة للصراع ، وما إذا كان الطرف المحتل سيعيد الأراضي التي استولى عليها للأطراف الأخرى ، يطلب إليها أن تجلس وتخطط لتعاون اقتصادي وثيق يصل إلى درجة الاندماج^(٥٨) ، والأغرب من هذا أن إسرائيل أصرت مقدماً وأيدتها أمريكا على عدم الربط إطلاقاً بين المفاوضات السياسية الثنائية والمفاوضات المتعددة الأطراف أي أن تعثر المفاوضات الأولى التي تعتبر بدهيا ومنطقياً أساس العملية السلمية برمتها ، يجب ألا يؤثر على مسيرة المفاوضات الثانية! وهو أمر لا يصعب ادراك مقاصده على أي شخص ، فالمرابى اليهودي الشاطر (شايلوك) يريد قبض الثمن قبل أن يسلم البضاعة مع أن هذه البضاعة مسروقة من أموال الشاري كما هو ثابت في محاضر الادارة العالمية ولكن أمريكا حامية حوى القانون العالمى والمبادئ والسلام ساندت موقف المرابى السارق . ذلك أن العملية من الأساس ، عملية فرض شروط الاستسلام الصهيونية على العرب ولا تكتفى هذه الشروط بما سرق سابقاً ولا بإضفاء الشرعية عليه ، ولكن تتضمن التنازل عن ممتلكات وأموال اضافية كثيرة ورهن المستقبل العربى لصالح اسرائيل والولايات المتحدة .

لقد افتتحت المفاوضات المتعددة الأطراف فى موسكو فى شهر كانون الثانى/ يناير ١٩٩٢ بحضور ١٤ دولة عربية واسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا و١٨ دولة أخرى زادت فيما بعد حتى بلغت ٢٥ دولة أجنبية ، من أهمها : دول الاتحاد الأوروبى واليابان وكندا ودول شمال أوروبا والنمسا والصين ، وانقسم المؤتمر إلى خمس لجان نوعية لمناقشة خمس قضايا أساسية ، هى التعاون الاقتصادى ، المياه ، الحد من التسلح والأمن والبيئة ، واللاجئون . واعتبرت النتائج التي ستتوصل إليها اللجان مكونات النظام الشرق الأوسطى الجديد هذا فى الوقت الذى امتنعت فيه سوريا ولبنان وهما دولتان رئيستان من دول الصراع العربى الاسرائيلى ودول التفاوض السياسى مع اسرائيل ، عن المشاركة فى المفاوضات المتعددة بأى صيغة من الصيغ قبل أن تتقدم المفاوضات على المسار السياسى ، ويضمن انسحاب اسرائيل من أراضيها المحتلة (وهو ما لم يحصل حتى اللحظة) .

١ - قضايا التعاون الاقتصادى

تقدمت اسرائيل إلى اللجنة المكلفة ببحث هذه القضايا بمجموعة كبيرة من الاقتراحات منذ بداية تشكيلها فى مطلع ١٩٩٢ ، وعرفت باسم مقترحات البروفيسور "يائير هershfeld" نسبة إلى صاحبها رئيس الوفد الاسرائيلى فى هذه اللجنة يومها .

وتضمن إلغاء المقاطعة العربية الاقتصادية لاسرائيل فوراً وبدون شروط سياسية وهو ما دعمته رئاسة اللجنة بقوة ، بمثابة فى الاتحاد الأوروبى (الجماعة الأوروبية يومها) .

كما تضمنت المقترحات المشاركة فى البحث والتنقيب عن الموارد الطبيعية فى المنطقة وكذلك فى

تمويل البحوث التكنولوجية والعلمية وإعداد الكوادر وتدريب الفنيين وتوسيع أسواق المنطقة وفتحها وتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية على الاستثمار في المنطقة في ظل السلام، ولا سيما العائدات النفطية (العربية) ووضع الحوافز لمشاركة صناديق التمويل الأجنبية في مشاريع البنية التحتية والأساسية في الشرق الأوسط وتأسيس صندوق اقليمي للتنمية في الشرق الأوسط تساهم فيه الدول الغنية والصناعية الكبرى من العالم، إلى جانب دول النفط العربية . وكذلك إنشاء خطين للأنابيب لنقل الغاز من قطر إلى اسرائيل ومن مصر إلى اسرائيل وإنشاء خط أنابيب لنقل النفط من الخليج والسعودية إلى غزة وإلى حيفا، وبناء مصافي في الميناءين. حفر قناة بين البحر الميت والبحر الأحمر .

بناء مصانع مشتركة لإنتاج السماد ومستلزمات الزراعة ومصانع أخرى للصناعات القطنية والصوفية (الملابس) وإيجاد شركات مشتركة للسياحة (البيئية والخارجية) . إنتاج وتسويق المواد الزراعية، التعاون في إقامة شبكة طرق ووسائل مواصلات حديثة بين دول المنطقة بما فيها إعادة تشغيل خط الحجاز بين سوريا والجزيرة العربية عبر فلسطين المحتلة. ربط شبكات الكهرباء بين اسرائيل ومصر وسوريا والاردن ولبنان والتعاون في توليدها وإقامة مشاريع مشتركة لإنتاج المياه وتقاسمها .

وعلى المدى المتوسط اقترحت اسرائيل :

- إقامة بنك خاص بالبناء والإعمار في المنطقة، مشابه للبنك الدولي تساهم فيه الدول الغنية .
- إقامة منطقة تجارة حرة بين دول المنطقة على أن تكون بدايتها مقتصرة على اسرائيل والاردن والفلسطينيين .

- تشكيل الجماعة الاقتصادية الموحدة لدول الشرق الأوسط على مثال الجماعة الأوروبية المشتركة.

ومن ناحية أخرى يمكن الاستشهاد ببعض التصريحات الاسرائيلية التي تلقى مزيداً من الضوء على الأفكار والمشاريع التي تخطط لها الدولة اليهودية .

فقد قال "شمعون بيريز" : ستصبح اسرائيل العاصمة المالية والتجارية للشرق الأوسط فأنابيب الماء والبتروك ستعبر المنطقة في كل الاتجاهات وتتقاطع في اسرائيل وكذلك الطرق والسكك الحديدية، وبين أوروبا والشرق الأوسط عبر اسرائيل .

وقال "بيريز" : ان تطبيع العلاقات مع الدول العربية سيؤدي إلى تحسين أداء الاقتصاد الاسرائيلي بنسبة ٥٠٪ فوراً .

ولا يخفى الاسرائيليون أن (بلادهم) ستصبح يابان الشرق الأوسط أو سنغافورة . إذ بمجرد إلغاء

المقاطعة العربية ستتدفق عشرات بلايين الدولارات من رؤوس الأموال الغربية والأوروبية واليهودية كاستثمارات استراتيجية وستتعهد الدول الغربية والصناعية أن تكون لإسرائيل الأولوية في أية مشاريع أو استثمارات أو قروض تقدمها لدول المنطقة المختلفة وهي عملية بدأت مؤشرات منذ الآن . فقد اشترطت الدافنارك (مثلاً) لتقديم قرض إلى مصر مخصص لتدريب المهندسين الزراعيين أن يتم هذا التدريب في إسرائيل ! .

وتقدم الاتفاقية الاسرائيلية الفلسطينية بملاحقها وبروتوكولها ذات الطابع الاقتصادي صورة جليلة عن الأهداف والمخططات والأبعاد الاقتصادية لمفهوم السلام الاسرائيلي على صعيد المنطقة العربية ومن الملاحظات الهامة هنا استجابة الجانب الفلسطيني وحماسته لمثل هذا التعاون الاقتصادي مع اسرائيل والموافقة على لعب دور الوكيل في الأسواق العربية، وهو دور سيقوم على الترويج للبضائع الاسرائيلية مباشرة أو مدورة أي بترويجها كسلعة فلسطينية^(٥٩) أما الدول العربية الأخرى فتتروح موافقها بين استجابة متمهلة أو بطيئة كالاردن، وبين استجابة حذرة ومشروطة كالدول الخليجية، واستجابة مؤجلة كسوريا ومصر وبعض الدول الأخرى إلى ما بعد تحقيق تقدم جوهري في المفاوضات السياسية. ولكن السمة العامة على المواقف العربية مجتمعة، هي فقدان الاستراتيجية والرؤية المستقبلية حتى في مثل هذه القضايا المصيرية . وقد أطلق د "طه عبد العليم" على هذه الحالة وصف (اللاإرادية) !! فالدول العربية لم تعد خططاً أو مشاريع واقتصرت مشاركتها في اجتماعات لجنة التعاون الاقتصادي على مناقشة ما يطرح عليها أو رفضه أو تأجيل البحث فيه . والمساهمة الوحيدة التي يجب أن تذكر في هذا الصدد (بصرف النظر عن محتواها أو تقييمها) هي البرنامج الذي وضعه الفلسطينيون لإلغاء وبالأحرى لتأسيس اقتصادهم (١٩٩٤ - ٢٠٠٠) وهو برنامج ينطلق من قاعدة الواقع الموروث أي المحافظة على علاقة التبعية للإقتصاد الإسرائيلي، وجل طموحه أن يصبح اقتصاداً وكيلاً للاستثمارات والمشاريع الاسرائيلية والأميركية والغربية في المنطقة . ومن ناحية أخرى أشار "بيريز" إلى أن "أحمد قريع" المسؤول عن الاقتصاد في منظمة التحرير أطلعته في بداية مفاوضات أوسلو على مخطط اقتصادي لتنمية الشرق الأوسط كله، أثار إعجابه الكبير . ولكننا لم نعرف شيئاً عن هذا المخطط الإعجازي ، وحرماننا "قريع" من هذه النعمة، إذ يبدو أنه أعده لإطلاق الاسرائيليين فقط ولا شأن للعرب به !!

ومما يجدر ذكره هنا أن الدول الأخرى المشاركة في عمل اجتماعات لجنة قضايا التعاون الاقتصادي تقدمت بورقات أو اقتراحات أهمها ما قدمته رئاسة اللجنة أي الاتحاد الأوروبي إذ اقترحت إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل فوراً كخطوة من خطوات بناء الثقة على طريق التسوية السياسية ووعدت بتقديم أموال للمساهمة في خطط تنمية الشرق الأوسط بالتنسيق مع أمريكا وأشارت إلى أن هذه

التنمية يجب أن يكون هدفها تحقيق (الاندماج الاقتصادي) بين جميع دول المنطقة .
وقدم البنك الدولي ثلاثة برامج تدعو للتكيف الهيكلي والخصخصة على أوسع نطاق في دول الشرق الأوسط وزيادة الاعتماد على دور القطاع الخاص والرساميل المحلية، وتوسيع التبادل التجاري وتشجيع الاندماج في الاقتصاد العالمي وحرية انتقال الأموال والسلع وإجراء إصلاحات جذرية للمشاكل المطروحة على مستوى المنطقة كالمياه والكهرباء والتصحر والبيئة وإصلاح الهياكل الاقتصادية وإعداد الطاقات البشرية إعداداً جديداً واقترح إنشاء معاهد تدريب مشتركة ومشروعات موحدة للبنية التحتية وألح على ضرورة إجراء برامج التنمية وعمليات الإصلاح بصورة منسقة على صعيد كل دولة لوحدها وعلى صعيد المنطقة جماعياً (٦٠) أما الولايات المتحدة ، فقد تقدمت بأفكار واقتراحات كثيرة على عدة مستويات ، فمن ناحية أولى أشرف نائب الرئيس آل غور على دراسات عديدة من مراكز البحث الأميركية والجامعية تعبيراً عن اهتمام الإدارة على أعلى مستوياتها . واستضافت جامعة هارفارد الشهيرة بأهمية أبحاثها وعلاقاتها بالإدارة الحكومية، باحثين من إسرائيل والاردن وفلسطين إضافة لباحثين أمريكيين، وضعوا مجتمعين تقريراً صدر في منتصف ١٩٩٣ (قبل انجاز اعلان المبادئ!) يرى ان اقتصادات اسرائيل والاردن والفلسطينيين، قابلة للاندماج بسرعة ملحوظة، وأن هذه الأطراف ذات أسواق أصغر من أن تقام فيها تنمية منفردة وقال التقرير إن الاندماج بين هذه الاقتصادات سيكامل مع الاندماج في مشروعات اقليمية كما قدم التقرير خطة للتجارة والتنمية يراها نقطة انطلاق لعصر اقتصادي جديد في الشرق الأوسط إذ لابد أن تنضم إليها في مرحلة تالية، مصر وسوريا ولبنان .

ويطرح التقرير فكرة إنشاء بنك الشرق الأوسط للتعاون والتنمية MEBCO لتنمية المشاريع والبرامج المشتركة في المنطقة .

والملاحظة الختامية في هذه الفقرة هي أن جميع الاقتراحات والتصورات التي قدمتها الدول والمنظمات الغربية والأوروبية تتطابق والخطط الاسرائيلية في اتجاه وشكل مشروعات السلام الاقليمية في الشرق الأوسط مما يعكس وحدة الرؤية للمستقبل ووحدة الموقف الاسرائيلي الغربي بشأن كل ما يطرح على العرب .

٢ - موارد المياه في الشرق الأوسط

الحقيقة التي باتت تفرض نفسها فرضاً تتمثل في أن المشرق العربي بأسره يعاني أزمة مياه حادة تنضاف معها عوامل أخرى فتضاعف من حجم المخاطر الناشئة عنها ، ومن أهم هذه العوامل الارتفاع الكبير في الزيادة السكانية، ثم عمليات مكافحة التصحر، وعمليات التوسع في الزراعة لمواجهة الأزمة الغذائية المتفاقمة أيضاً. وقدّر الخبراء أنه لا يكون بعيداً اليوم الذي تصبح فيه قطرة الماء في

هذه المنطقة تساوى قطرة البترول، بل قد تساوى قطرة الدم .
 إذ أن عدم حل هذه الأزمة الطبيعية سيفتح أبواب المنطقة على نوع جديد من الحروب للاستيلاء على المياه، وقد ظهرت بوادر هذا الاحتمال فى الصراع السورى التركى حول اقتسام مياه الفرات .
 وهناك خبراء كثيرون يعتقدون أن عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ على الدول العربية هدفه سرقة المياه، وكذلك احتلال جنوب لبنان، ولنفس السبب يعزى تمسك اسرائيل فى أراضى الضفة الغربية. وتقدر حجم المياه العربية التى تسرقها اسرائيل سنوياً بـ ٢٠٠ بليون متر مكعب تأتى من نهر اليرموك ونهر الاردن ونهر الليطاني إضافة للينابيع الجوفية فى الضفة الغربية وثمة تقديرات أخرى أن اسرائيل تخفى أزمته الفعلية من المياه، أى كمية المياه التى تنقصها وإن كانت تقدر بنصف بليون متر مكعب، وسوف تزداد هذه الحاجة بسبب الهجرة المكثفة لليهود من روسيا وشرق أوروبا إلى اسرائيل، إضافة إلى توسع اسرائيل فى الزراعة، فضلاً عن أن استهلاك الفرد الاسرائيلى أصلاً مرتفع ويبلغ ثمانية أضعاف ما يستهلكه الفرد فى دول الشرق الأوسط الأخرى

ولكن مالا تخفيه اسرائيل أنه لا بد أن تشترك دول المنطقة فى معالجة أزمة المياه والا فلنراها ستستولى على أنهار الدول المجاورة لسد حاجتها

وتقترح اسرائيل عدداً من الحلول والبرامج طرحتها فى اجتماعات لجنة المياه ضمن المفاوضات المتعددة الأطراف، كما طرحتها فى دراسات أكاديمية منذ سنوات، أبرزها على الاطلاق كتاب "الشيح كالى" وهو أهم المتخصصين الاسرائيليين فى المياه (المياه والسلام وجهة نظر اسرائيلية).
 وترى اسرائيل أنه لا بد من إنشاء هيئة ذات سلطة إقليمية للإشراف على المياه فى دول المنطقة تضع خططاً للاستخدام الأمثل للماء ولتوزيع الحصص ، ووضع حلول وبرامج على المدى الطويل، وكذلك ترى تغيير المحاصيل الزراعية فى المنطقة بما يتلاءم وأزمة المياه بحيث يتم استبعاد المحاصيل التى تحتاج لرى كثيف كالقطن، كما تقترح إعادة تنقية مياه الصرف الصحى واستخدامها بدل إهدارها .

وعلى المدى المتوسط تقترح اسرائيل زيادة موارد نهر الاردن عن طريق انشاء سد على نهر اليرموك، وإقامة سد آخر على نهر الحاصباني ، والتعاون بين لبنان واسرائيل لاقتسام الماء وتوليد الكهرباء من نهر الليطاني . كما تقترح إنشاء مشروع لتحلية مياه البحر من خلال قناة بين البحر الأحمر والبحر الميت . (٦١)

أما على المدى البعيد فاسرائيل تتطلع إلى مياه نهر النيل ، وتطالب بجر فرع منه لرى سيناء والنقب، كما تتطلع إلى مياه الفرات وتقول أنه يجب إعطاؤها حصّة منه لأن ما يحصل عليه العراق من هذا النهر فائض عن حاجته ، وترى أنه بالإمكان إعطاء سوريا حصّة زائدة من أنهار جنوب سوريا

بمقابل تعويض سوريا في نهر الفرات على حساب العراق !!

وجدير بالذكر أنه عدا الاقتراحات الاسرائيلية، تقدمت تركيا مجدداً بمشروعها الذي كان الرئيس الراحل " توركوت أوزال " قد ابتكره وأطلقه منذ عام ١٩٩٠ وهو الذي كان سمي بمشروع أنابيب السلام القائم على مبادلة المياه الفائضة من تركيا إلى دول الشرق الأوسط مقابل حصولها على النفط. والاقتراح التركي الذي تسانده أمريكا بقوة لأنه يضمن دمج تركيا في اطار الشرق الأوسط وإعطائها دوراً مفصلياً في نظامه الأمنى والسياسى، ينص على مد شبكة أنابيب ضخمة من أراضيها إلى سوريا فالاردن فاسرائيل ومنها إلى دول الخليج والسعودية وتقدر تكلفة المشروع بما يزيد عن ٢٠ بليون دولار!!

أما بعض الدول العربية، فقد تقدمت باقتراح يركز على حل مشكلة المياه باعتماد وسيلة تحليلية مياه البحر. وهى وسيلة جريتها عمان ودول الخليج العربية جزئياً لكن التوسع في هذه الطريقة يتطلب تكنولوجيا تستخد الطاقة النووية وهو ما تعارضه اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لكى لا تستفيد الدول العربية من هذه الطاقة لأغراض أخرى مستقبلاً .

٣ - لجنة الأمن والحد من التسليح

نظراً إلى حساسية موضوع عمل هذه اللجنة، وارتباطه الوثيق بالصراع العربى - الاسرائيلى، فإن التقدم فى عملها لا يزال أبطاً من اللجان الأخرى كافة ويقتصر التقدم الذى أحرزته على الاتفاق الذى حصل منذ بداية تشكيلها على تقسيم مراحل عملها إلى أربع : الأولى ، مرحلة أولية يتم خلالها التعرف على مطالب واقتراحات كل دولة من دول الصراع بشأن مستقبل العلاقات والإجراءات فى مجال الأمن والحد من التسليح، والثانية ، تبدأ حين يحدث تقدم فى مسيرة المفاوضات السياسية (الثنائية) ويتم خلالها اتخاذ مبادرات لبناء الثقة، مثل وضع تدابير تكفل منع حدوث هجوم مفاجئ من كل الأطراف . وقيام الدول الموردة للأسلحة بالامتناع عن بيع أسلحة متقدمة لدول الصراع، والثالثة، تبدأ بعد حدوث تقدم كبير فى المفاوضات الثنائية وخلالها يتم البحث جدياً بإجراءات ضبط الأسلحة وإزالة أسلحة الدمار الشامل ، وزيادة مبادرات وخطوات بناء الثقة فى الجانبين ، والمرحلة الرابعة ، عمليات وتدابير واسعة وشاملة لإقامة نظام جديد للأمن وخفض التسليح التقليدى وتقليص الجيوش وإزالة أسلحة الدمار الشامل (من الجانب العربى فقط) وإقامة منطقة (تشمل الشرق الأوسط كله) منزوعة السلاح النووى .

وخلال اجتماعات اللجنة عقدت ندوات على مستوى الخبراء والباحثين لمناقشة المسائل والقضايا التى تتفرع عن العنوان الرئيسى أوضح فيها كل طرف وجهات نظره فى مستقبل السلام على المدى القصير، وعلى المدى البعيد واقتراحاته ومطالبه بهذا الشأن .

- ويمكن التعرف على الآراء الاسرائيلية على النحو التالى :
- يجب وقف تزويد الدول العربية (كافة) بالسلح المتقدم نظراً إلى أنها متفوقة على اسرائيل فى الأسلحة التقليدية .
 - فرض رقابة على أسلحة الصواريخ العربية ذات المدى المتوسط والطويل (القادرة على بلوغ أهداف اسرائيلية) كمرحلة أولى قبل ازالتها تماماً .
 - تجريد الدول العربية من الأسلحة الكيماوية .
 - تقليص حجم الجيوش العربية بنسبة عالية حتى تمحى امكانياتها على مباغطة اسرائيل فى أى هجوم .
 - إن اسرائيل يمكن أن تجارى الدول العربية فى مجال واردات الأسلحة الحديثة وتخفيض الأسلحة التقليدية، لكنها لا تستطيع قبول أى تخفيض فى ترسانتها النووية قبل تحقيق السلام فعلياً وقيام النظام الشرق الأوسطى الجديد ونظام الأمن الجماعى، واستقرار هذا النظام.
 - وطرحت الدول العربية بالمقابل آراءها حيال المسائل السابقة، ويمكن ايجازها على الشكل الآتى :
 - إن التسلح العربى كفى أكثر منه نوعى ولا يمكن وضع كل الأسلحة العربية فى خانة واحدة واعتبارها موجهة ضد اسرائيل لأن هناك صراعات ونزاعات مع دول عديدة غير اسرائيل.
 - إن الدول العربية لا تقبل أى تخفيض فى حجم جيوشها وأسلحتها قبل حدوث تقدم حقيقى فى عملية السلام يتمثل فى التزام اسرائيل بقرارات الشرعية الدولية واعادة الأراضى المحتلة إلى الدول العربية
 - لإنشاء منطقة منزوعة السلاح فى الشرق الأوسط وإزالة أسلحة الدمار الشامل لابد أن تقوم اسرائيل أولاً بتوقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية وإزالة ما تملكه منها .
 - إن الدول العربية تقبل بقاعدة عدم التوازن فى اجراءات الحد من التسلح لصالح اسرائيل، ولكن على ان يبدأ سريان هذه القاعدة بعد العوصل إلى السلام .
 - الدول العربية توافق على أن تكون أية أراض تنسحب منها اسرائيل منزوعة السلاح وخاضعة لنظام الإنذار المبكر .
 - الدول العربية موافقة أيضاً على تقديم بعض المبادرات من جانبها بهدف بناء الثقة ولكن ليس قبل الوصول إلى اتفاقيات سلام . (٦٢)
 - أما المدى البعيد فاسرائيل تفكر فى تحويل الشرق الأوسط الى منطقة ذات أمن اقليمى يتمحور حول نمطين من الالتزامات المتبادلة : أمة - أمة، وأمة - منطقة حسب تعبير "شمعون بيريز" فى كتابه المشار إليه سابقاً .

ويشدد "بيريز" والاسرائيليون عموماً على ضرورة وضع نظام رقابة صارم على واردات السلاح من الخارج إلى المنطقة وكذلك على تصنيع السلاح بكل فئاته ، وعلى تخفيض الجيوش وإعادة هيكلتها بطريقة تتحول مهماتها من الوظيفة الحربية الهجومية، إلى الوظيفة الأمنية فى أدنى درجاتها . وتطالب اسرائيل أيضاً بالتعاون الأمنى لمكافحة التيارات المتطرفة على مستوى المنطقة كلها ، وإقامة تدريبات ودورات وأبحاث مشتركة بين دول المنطقة ومؤسساتها العسكرية والأمنية !

٤ - قضايا البيئة

عقدت لجنة البيئة اجتماعات وندوات ربما فاقت أى لجنة أخرى، وذلك لسهولة الاتفاق على المشاكل البيئية، ولتقارب وجهات النظر حول هذه المشاكل ويمكن التعرف على أهم الآراء والاقتراحات، التى قدمتها الأطراف على النحو التالى (٦٣) :

١ - اسرائيل

اقترحت إقامة مشروع لمكافحة التصحر، وافقت عليه ست دول عربية (مصر، تونس، الجزائر، عمان ، الاردن، فلسطين) واتفق لتنفيذه على إنشاء هيئة تنسيقية وشبكة اتصال وتعاون بين الأجزاء المختصة فى الدول المعنية (مع اسرائيل) وقرر البنك الدولى اقامة صندوق خاص برأسمال (٨ - مليون دولار) لتمويل بحوثه التى تشمل إدارة وتنمية المزارع والمراعى الحيوانية، وتنمية المياه، معالجة الأراضي المالحة ، وتطوير الغابات، وتطوير المياه النباتية فى الأراضي الصحراوية

٧ - الدول العربية

اقترحت مصر إنشاء مركز تنسيق اقليمى للكوارث البحرية واستعدادات الطوارئ ، واتفق إنشاء مراكز طوارئ فى العقبة ونوبع وتقوية مركز إيلات واتفق على خطط عمل مشتركة المشرفة على خليج العقبة وقدم البنك الدولى دراسة خاصة بها . اقترح الفلسطينيون اقامة بنك معلومات عن البيئة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتعهدت باجراء مسح بيئى للضفة والقطاع كما تعهدت النمسا بتمويل البنك . أثارت الدول العربية المشاركة مجتمعة قضية امتلاك اسرائيل للأسلحة النووية باعتبارها خطر كبير على البيئة، من ناحية التجارب وتصريف النفايات، ومن ناحية احتمالات وقوع أحوادث فى المصانع النووية الاسرائيلية .

وقد حاولت اسرائيل رفض مناقشة هذا الموضوع الحساس بدعوى انه غير وارد فى جده للجنة . ولكنه نوقش بصورة غير رسمية فى نهاية المطاف كحل وسط بين الجانبين . وأثارت الدول العربية مرة ثانية مسألة التجارب والعمليات العسكرية التى تسبب أضرار للبيئة وطالبت مصر صاحبة الاقتراح بالتزام دول المنطقة بسياسات واجراءات عملية لـ

التفانيات وضمان دفنها بطريقة سليمة وداخل الدول المنتجة لها نفسها .
واقترحت الدول الأجنبية المشاركة فى أعمال لجنة البيئة التوصل إلى وضع قواعد قانونية لحماية البيئة تلتزم بها الدول الشرق أوسطية أيضا فيما يخص منطقتها وبيئتها .
أما على المدى البعيد بعد تحقيق السلام الموعود ، فالاسرائيليون يتحدثون عن برامج طموحة لتحويل الصحارى إلى أراض خضر ، وتنظيف البيئة والبحار من التلوث ، ويتحدثون عن إمكاناتهم الرائدة فى مجال علوم البيئة والزراعة وبحوثهم المتقدمة فى هذه المجالات .

٥ - لجنة قضايا اللاجئين

مع أن قضية اللاجئين قضية إنسانية بالدرجة الأولى ، فإنها أكثر القضايا التى ستكون موضع إجحاف وظلم ، فقد نشأت على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ بطرد الأغلبية الساحقة من الشعب الفلسطينى من بلاده ، ثم تكرر هذه الجريمة البشعة عام ١٩٦٧ ، إضافة لآلاف المبعدين والمشردين والفارين من العسف الاسرائيلى المستمر والتمييز العنصرى إلى شتى بقاع الدنيا وأربع جهات الأرض حتى لم يعد هناك بلد واحد لا يعيش فيه فلسطينيون . وأصدرت المنظمة الدولية منذ عام ١٩٤٨ قرارات تكفل باسم المجتمع الدولى والشرعية حق هؤلاء اللاجئين بالعودة إلى ديارهم وأوطانهم مع تخييرهم بين التمسك به أو القبول (الرضائى) بالتعويض المادى المناسب بدلا من العودة . كما أقامت المنظمة العالمية ، وكالة خاصة للعناية باللاجئين الفلسطينيين وتوفير الحد الأدنى من مقومات الحياة والغذاء والتعليم لهم مارست مهنتها فى أعقد الظروف منذ اغتصاب فلسطين إلى اليوم .

وحسب مصادر (معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى) فإن العدد الإجمالى للشعب الفلسطينى يبلغ ٥.٥ مليون نسمة ، يبلغ عدد المهجرين واللاجئين منهم ٤.٥ مليون نسمة . وقد تمسك هؤلاء اللاجئين الذين يعيش معظمهم فى الاردن (١ مليون نسمة) وسوريا (٧٠٠ ألف) ومصر (٤٠٠ ألف) وأوروبا وأمريكا (٣٥٠ ألفاً) ودول الخليج العربى والسعودية والعراق (نصف مليون) ولبنان (٣٥٠ ألفاً) بحقهم فى العودة طوال هذه السنين المديدة بل وأورثوا أبناءهم أمل العودة ، وتعتبر منظمة التحرير الفلسطينية التى قادت الكفاح الثورى المسلح والسياسى منذ عام ١٩٦٥ ، ممثلة فى الدرجة الأولى للاجئين الفلسطينيين والمهاجرين فى الخارج ، ولا سيما سكان المخيمات فى الاردن وسوريا ولبنان الذين ظلوا يعيشون (فى المخيمات الخاصة والمؤقتة) تعبيرا عن إصرارهم وتصميمهم على العودة . ونظراً لحساسية مشكلة اللاجئين وجوهرها الانسانى - السياسى إضافة لتعقدها ، فإن أى جهة أو محاولة تتناول الصراع العربى - الاسرائيلى أو القضية الفلسطينية بهدف تسويتها ، لا يمكنها القفز عليها .

ولذلك كانت مشكلة اللاجئين فى صلب القضايا والإشكاليات الإقليمية التى وضعت للمناقشة

والمعالجة على جدول المفاوضات المتعددة الأطراف ، إضافة إلى حتمية طرحها وتناولها فى إطار المفاوضات السياسية الثنائية بين اسرائيل والفلسطينيين ، وكذلك بينها وبين الاردن إلا أن هذا التصنيف فى إطار المفاوضات المتعددة يعكس فى الوقت نفسه رغبة الدولة اليهودية تجنب بحث هذه القضية ورفض أى حل لها على أساس مبدأ حق العودة ، إذ أن هذا التصنيف بجانب قضايا البيشة والمياه ، يجعلها وكأنها مشكلة طبيعية أو مشكلة من مشكلات الطبيعة ، مع أنها مشكلة سياسية ناجمة عن اغتصاب فلسطين وسياسة التهجير والطرده الجماعى للفلسطينيين من أراضيهم وبيوتهم . وقد استبقت اسرائيل المفاوضات وأكدت أنها لن تقبل عودة الفلسطينيين إلى اسرائيل مهما كانت الظروف لأن ذلك من شأنه تكثير الصفاء الدينى اليهودى لمجتمع اسرائيل ، وهو ما لا يمكن قبوله على الإطلاق .

وعندما بدأت لجنة اللاجئين اجتماعاتها ، تهرت اسرائيل من حضور اجتماعاتها أحياناً بحجج وذرائع مختلفة ولكن السبب الحقيقى لذلك مفهوم . والجدير بالاشارة أن اسرائيل لم تتغيب عن حضور أى اجتماع لأى لجنة أخرى فى حين ان الدول والأطراف العربية غابت بصورة عشوائية عن اجتماعات اللجان كافة باستثناء هذه (عدا مقاطعة سوريا ولبنان الدائمة للمفاوضات المتعددة الأطراف) . وفى صفقة أوسلو وما نتج عنها من اتفاق محدود بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل ، تجاهل الطرفان قضية اللاجئين ، وتجنبوا الخوض فيها لاستحالة الاتفاق عليها وعدم إمكان القيادة الفلسطينية التنازل عن (حق العودة) للملايين الفلسطينيين لاعتبارات كثيرة ، فتم تأجيل البحث فيها إلى المفاوضات النهائية لاحقاً .

ومن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية تساند اسرائيل فى موقفها من حق عودة الفلسطينيين أى ضرورة ايجاد حل بديل غير العودة إلى فلسطين فهى رفضت التصويت إلى جانب القرار السابق الصادر عن الأمم المتحدة وذلك فى اجتماعات الجمعية العمومية لعام ١٩٩٣ .

وعلى هذا فمناقشات اللجنة التفاوضية تناولت أفكاراً واقتراحات لتوطين الفلسطينيين فى البلدان التى يعيشون فيها ومنحهم جنسياتها باستثناء لبنان بسبب هشاشة تركيبته الطائفية والديمقراطية ، حيث يجرى الضغط (من تحت الطاولة) على العراق ليقبل فلسطينى لبنان المسلمين كأحد الشروط غير المعلنة لرفع الحصار المفروض عليه منذ أزمة الخليج .

وتقترح اسرائيل فى هذا الصدد (تحسين) ظروف معيشة هؤلاء اللاجئين ورفع مستويات معيشتهم وصحتهم وسكنهم فى المخيمات . ولكن ليس من باب الشفقة والاحسان بقدر ما هو من باب إزالة أسباب نمو الفئات الثورية (المتطرفة) ، الذين يمارسون (الارهاب) ضدها .

وقبلت اسرائيل عودة جزء من فلسطينى الضفة الغربية المهجرين عام ١٩٦٧ إلى بيوتهم فى

منطقة الكيان الفلسطيني والحكم الذاتى على أن لا يزيد هذا العدد عن ٢٠٠ ألف شخص (بينما العدد الاجمالى لهؤلاء يبلغ نحو ٧٠٠ ألف) كما وافقت على لم الشمل لبعض العائلات بصورة افرادية فى اراضى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ أى الخاضعين للقانون الاسرائيلى .

وشجعت إسرائيل تجميع أكبر قدر من الفلسطينيين الذين يريدون العودة فى الاردن، باعتبار هذا سيكون مرتبطاً بالكيان الفلسطينى والدولة العبرية .

وتقترح الدول الكبرى المشاركة فى عمل اللجنة جمع تبرعات سخية من العالم لإنفاقها على توطين وتعويض الفلسطينيين فى بلاد الشتات .

ومع ذلك فالآمال بإمكان حل هذه الإشكالية المعقدة ضعيفة ومحدودة ، فالزعامة الفلسطينية لن تستطيع المجازفة بقبول ما يعرض عليها والدول العربية المضيضة تخشى من النتائج السياسية والاجتماعية لتوطين وتجنيس الأعداد الكبيرة منهم. واسرائيل لن تقبل اعادتهم مطلقا ، والدول الغربية لن تفرض على اسرائيل ما لا تطيقه !

فالشعب الفاتض فى منطقة الشرق الأوسط، سىظل فائضاً رغم توفر ما يسمى بالكيان الفلسطينى المتمتع بسلطة الحكم الذاتى .



الجزء الثانى

رؤية عربية تحليلية

"عالم عربى تحكمه ثلاث قطرات : قطرة
بتروىل، وقطرة دم وقطرة ماء . والقطرات الثلاث
لا تمتزج!
وعالم عربى تحكمه مجموعة من العقد وهذه
العقد لا تحل ولا تنفرج !
وعالم عربى تحكمه مؤثرات تهب عليه من خارجه
وتدفع أشروعه إلى أى اتجاه تريد " !
محمد حسنين هبكل

إن أول ما يسترعى الانتباه، ثم يستدعى الاهتمام والتفكير فى مشروع السوق أو النظام الشرق الأوسطى، أنه فكرة خارجية بدرجة كبيرة ، حتى وإن كان بعض دول المنطقة قد ساهم فى طرحه أو الدعوة إلى بعض عناصره (كالاقتراح التركى الشهير لمشروع أنابيب السلام) أو أن تكون بعض شرائح النخبة الفكرية والسياسية (العربية) تهمست له، فذلك لا يغير شيئاً فى حقيقة أن الفكرة أجنبية ، وقديمة ، اقترنت بالغزو الصهيونى لفلسطين منذ بداية القرن العشرين، وبالنفوذ الأمريكى الامبريالى فى الشرق الأوسط، بعد الحرب العالمية الثانية بصورة مشتركة .

ويسترعى الانتباه أيضاً أن الفكرة ليست مطروحة للنقاش والإختيار الحر على دول وشعوب المنطقة وبالتحديد الشعوب العربية، بل هى مفروضة عليهم فرضاً فى هذه المرحلة . وتجبرى عملية تغليف الإكراه بوسائل وأفكار وعائية واعلانية خداعة، كالإدعاء أن إقامة النظام الشرق الأوسطى هى المدخل التاريخى إلى الديمقراطية ومفاهيم حقوق الانسان فى الوطن العربى وأنها نتيجة من نتائج السلام وضمانة لاستقراره واستمراره، والشرط اللازم لحل مشاكل وأزمات المنطقة وتوفير أسباب الرفاه والرخاء . لكن الثقافة الاعلانية والترويج على الطريقة الأمريكية لن تستطيع إخفاء عنصر

الإكراه والإخضاع فى السياسة الأميركية - الاسرائيلية الساعية لفرض النظام المذكور على العرب . فقد هددت واشنطن منذ عام ١٩٩٠ معارضى مبادراتها لتسوية المشكلة الفلسطينية والصراع العربى - الاسرائيلى ووصفتهم بمناهضى السلام، وأنصار الإرهاب، وقد ضاعفت من التركيز على هذه الأوصاف ومن تهديداتها بعد الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى عام ١٩٩٣، وأصبح أى معارض له ، مناهضاً للسلام بصفة مطلقة وعامة .

وبات كل من يدعو أو يحفز على الكفاح المسلح أو الجهاد ضد الاحتلال الاسرائيلى، متطرفاً وارهابياً يجب عزله وقمعه. وشملت هذه التهديدات الدول والمنظمات والأحزاب بما فيها الانتفاضة الفلسطينية نفسها أو حركة حماس . وجاء فى سياق التهديدات والاجراءات التمهيدية لؤاد حركة القوى المناوئة للمشاريع المطروحة، الإصرار على فرض العقوبات على ليبيا، وعزلها عربياً ودولياً واستعمال سياسة العصا الغليظة على العراق والتهديد باستمرار عزله وحصاره فترة طويلة والانتذار بتقسيمه ، وكذلك التهديدات المبينة إلى سوريا . ولا تقتصر هذه الرسائل المشفرة على الدول الراديكالية أو التى عرفت فى الماضى بعدم مسايرة الخط الأمريكى، وإنما تشمل أيضاً الدول العربية التى انتهجت سياسة مرتبطة بالمصالح الأميركية تقليدياً. فقد صدرت عن مستشار الأمن القومى "انطونى ليك" انذارات مبطنة إلى كل الدول العربية ، بما فيها بل على رأسها دول الخليج والمملكة السعودية وهو مالم يحدث من أى مسؤول أمريكى فى الماضى أبداً وقال "ريتشارد أرميتاج" وهو مساعد وزير دفاع سابق أن الإدارة الحالية (فى عهد كلينتون) تنتقد الدول العربية كلها بسبب غياب الديمقراطية، ولكنها فى الوقت نفسه تخاف من حدوث التحول الديمقراطى، لأنه سيغير النظم الموالية لها بنظم معادية لسياساتها تجاه القضايا العربية ولذلك ، رأت من الأفضل دعم المصالحة الاسرائيلية الفلسطينية لأن من شأنها خلخلة النظم والبنى والأوضاع فى البلدان العربية كافة . وأضاف "أرميتاج" بما معناه أن الاتفاق الاسرائيلى - الفلسطينى، سيكون نواة التغيير الشامل فى استراتيجية يمكن تسميتها (استراتيجية التدخل والتوسع الديمقراطى) (٦٤)

وظهرت فى الصحافة الأميركية والأوروبية فى هذه الفترة مقالات وتعليقات كثيرة مفادها أنه لا يمكن ضمان السلام فى الشرق الأوسط إلا بنقل هذه المنطقة إلى عصر جديد، ودمقرطتها على الطريقة الغربية (أى إجبارها على اتباع الديمقراطية الغربية) .

ومن جانبها حذرت اسرائيل أنه مالم يعم السلام المنطقة ، وتشترك دولها كافة فى نظام شرق أوسطى يواجه التحديات البيئية والاجتماعية والإقتصادية المتفاقمة فإن المنطقة ستنفجر وتتحطم على رؤوس الجميع عرباً واسرائيليين . ويقول زعماء اسرائيل أنه لا بديل عن المشروع المطروح، سوى الحروب المدمرة خصوصاً بعدما دخلت الأسلحة النووية والكيمياوية والصواريخ بعيدة المدى إلى ساحة

الصراع وهى أقوال تنطوى على تهديدات ظاهرة . بل أن "شمعون بيريز" أفصح فى كتابه عن الشرق الأوسط الجديد أن الفضل لانطلاق عملية السلام والانتقال إلى مرحلة التعاون والتفاعل مع العرب يعود إلى امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية. اذ بدونها لا شيء (يقنع) العرب بحق الدولة اليهودية فى الوجود وفى رفع المقاطعة عنها .. الخ .

وأقل درجات التهديد فى (الخطاب الشرق أوسطى) وأكثرها دبلوماسية ورقة القول : أن مشروع السوق الشرق الأوسطية ، لا بديل له وأنه مقدور على العرب القبول به والتفاعل معه بحكم كونه جزءاً من التحولات العالمية والكرونية وخاصة التحولات الاقتصادية . (٦٥)

ازاء هذه المعطيات وسواها كثير فى التطورات المكثفة والمتسارعة خلال السنوات الأخيرة التى أعقبت أزمة الخليج وبدء مسيرة التسوية ، يمكن القول بكل موضوعية ورواية أن العرب وطناً وأمة ، ليسوا مدعويين كطرف إلى النظام الشرق الأوسطى ، ولا يشكلون طرفاً أو عاملاً فى تصميمه وهندسته وإقامته ، ولكنهم مجرد (موضوع) أو (مادة) لهذا النظام أو المشروع ، سوف يتشكل منهم ومن بلدانهم وثرواتهم ، شاءوا أم أبوا .

وهل يمكن للمرء مهما تجرد من هواجسه ونوازعه ، ومهما تمسك بالعقلانية والتفكير العلمى أن ينكر أن المشروع المذكور ما هو إلا حلقة متكررة فى سلسلة تاريخية بدأت منذ قرنين ، عندما انطلق الاستعمار الأوروبى للاستيلاء على بلاد الجنوب بصفة عامة ، وعلى الوطن العربى والعالم الاسلامى بصفة خاصة ؟ هل يمكن إنكار أن المفاهيم والأفكار التى يستبطنها مشروع الشرق الأوسطية ، صورة أخرى من مشاريع الهيمنة والسيطرة الامبريالية السابقة التى استهدفت دائماً نهب الثروات والازدهار على مقومات وجود العرب والمسلمين وتدمير ثقافتهم وهويتهم وتحويلهم إلى شعوب مستلبة ومسخوخة تقلد الأوروبيين فى أنماط حياتهم وعملهم وانتاجهم وتفكيرهم وتربط مصيرها بمصالحهم ، وترهن حيواتها وامكاناتها لرغباتهم ؟؟

الحق أنه لا يمكن النظر إلى المشروع المعروض إلا من هذا المنظور ..

فالاستعمار الغربى عينه ، فى عهده الأمريكى يعيد انتاج أدواته وأساليبه ويعيد تجديد طروحاته ومقولاته عن الحداثة والتقدم والعصرنة ، والمهمة أو الوظيفة الرسالية للغرب فى تحضير وتطوير الشعوب البربرية والمتخلفة التى ترزح تحت نير الميراث الشرقى الدينى الاستبدادى المعادى بطبيعته للتنوير والعلمانية والديمقراطية وكرامة الانسان !

ولا يمكن إلا للسذج الفصل بين السياسة أو الدبلوماسية التى تتبعها واشنطن منذ بداية الثمانينيات (الحقبة الريغانية) والمعتمدة على القوة والتدخل السافر بالوسائل العسكرية والنظريات الاستشراقية والامبريالية والعنصرية التى تطفح بها الجامعات والمؤسسات والمعاهد الرصينة فى هذه

الفترة كنظرية نهاية التاريخ للأمريكي "فوكوياما"، والتي ترى أن الرأسمالية والديمقراطية أبدية للرشد الانساني والعالمى، وتجعل منها ديانة عقلية غير سماوية . ونظرية صراع الحضارات "لصميريل هانتيجتون" التى تتمحور، حول فكرة حتمية الصدام بين أمم الحضارة الغربية المتقدمة وأمم الحضارة الاسلامية والكونفوشيوسية ذات الطبيعة الهمجية والعدوانية . ونظرية هلال الأزمة التى طرحها ويستمر فى طرحها حتى اليوم "زيجنيو بريجنسكى" وزملاؤه فى المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية (لندن) والتى تقوم على فكرة أن العدو الجديد للغرب والديمقراطية بعد اندحار الشيوعية ، هو الاسلام .

جميع هذه النظريات والأطروحات الفكرية تتقاطع فى محور واحد ، هو التهديد الاسلامى للغرب وأزلية التناقض بينهما وحتمية الصراع وضرورة الاقدام على عمل استباقى لإخضاع المسلمين اليوم قبل الغد . وهذه الأفكار المسطحة والمعلبة تشغل رأى العام فى الغرب بكل فئاته ومستوياته، الجماهير والصفوة على حد سواء ، الاقتصاديون والعسكريون والفلاسفة فى آن واحد . وربما كانت هذه الأفكار قاعدة أساسية اليوم للوحدة الأوروبية والغربية تجاه العالم الاسلامى . وفى القلب منه الوطن العربى . فالمفوضية الأوروبية لا تكل ولا تمل فى اعداد الدراسات عن سبل وقف الزحف القادم على أوروبا من الشرق بدل أوروبا الشرقية، والأمم المتحدة تتحول إلى أداة من أدوات السياسة الخارجية الأمريكية، ووسيلة لفرض السيطرة على دول الجنوب وتنفيذ الحروب الاستعمارية واقتسام العالم . هذا كله على المستوى الكونى والعالمى، لكى لا تدخل فى التفاصيل الصغيرة مثل بروز التيارات والحركات العنصرية فى كل دولة من دول أوروبا والغرب، وتقاطعها جميعاً فى مشاعر الكراهية والعداء والحقن تجاه العرب والمسلمين وتبلور ظواهر (هتلرية) خطيرة مثل "جرينوفكسى" فى روسيا "وليان" فى فرنسا ، "ميلوسيفيتش" فى صربيا "وكاراجيتش" فى البوسنة وعشرات الظواهر الأخرى فى ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وحتى فى دول لم تعرف سابقا مثل هذه الظواهر الفوغائية الفاشية، كاليونان والسويد ورومانيا !

لقد تجلّى هذا الاجماع الغربى ضد العرب والمسلمين فى هيئة تحالف عسكرى لا سابقة له فى التاريخ عام ١٩٩٠ فى حرب الخليج ضد دولة عربية هى بكل المعايير، دولة صغيرة وضعيفة والوصف ليس من بنات أفكارنا أو خيالنا ولكن جزء من تحليل لفكر فرنسى مرموق هو "موريس برتران" الذى عمل مفتشاً فى الأمم المتحدة . (٦٦)

ويذكرنا هذا الكاتب بزميل له حلل اعتراف القاتيكان بدولة اسرائيل، عام ١٩٩٣ بدون قيد ولا شرط وبدون أن تلبى الدولة اليهودية أى شرط من الشروط التى كانت تضعها زعامة العالم الكاثوليكى والمسيحى الدينية والسياسية .. إذ رأى "جان دانيال" رئيس تحرير مجلة نوفيل أر

برسفاتور الفرنسية فى هذه الحادثة ، تعبيراً عن تحالف مسيحى - يهودى عالمى ضد الخطر المشترك عليهما : يمثلان بالأسولية الاسلامية الصاعدة بقوة وسرعة على امتداد العالم الاسلامي، وخاصة فى البلدان العربية والشرق الأوسط ا

يمر الغرب الآن بنوبة من السعار والهيجان ضد المسلمين، بعامة وضد العرب بخاصة. وليست هذه النوبة شيئاً جديداً، فهى بصفة دورية وترتدى أقنعة وملامح تنكزية متشابهة كلما ظهرت وغالباً ما تكون هذه الأقنعة عبارة عن شعارات ومبادئ انسانية سامية ونبيلة تخدع الذات وتضلل الآخر ا "فتابليون بونابرت" غزا مصر فى مطلع القرن التاسع عشر تحت عنوان الاسلام، والدول الأوروبية تدخلت أول ما تدخلت فى الشرق العربى تحت عنوان حماية الأقليات المستضعفة . أما أكثر المشاريع والشعارات التقدمية والسامية التى استخدمتها الدول الاستعمارية فى القرن الماضى تشابهاً وتماثلاً بمشروع السوق الشرق الأوسطية الذى تستعد أميركا لغزو المنطقة تحت بريقه التقدمى اليوم، فهو تلك المبادئ التى صاغتها بريطانيا وأعلنتها غطاءً لغزوها لمنطقة الجنوب العربى (الجزيرة العربية والخليج، واليمن) وتقسيمها واقامة الدويلات والامارات القبلية فيها والاستيلاء على الامتيازات البترولية فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر . لقد تمت تلك العملية الاستعمارية الاستراتيجية تحت ثلاثة مبادئ حضارية وعصرية (فى ذلك الوقت) اعلنت كمفاهيم وقواعد للنظام الدولى، فى العالم كله ، وفى منطقة الجزيرة العربية والخليج بصفة خاصة وهى (٦٧) :

اولاً : مكافحة تجارة الرقيق .

ثانياً : مكافحة القرصنة وضمان حرية التجارة فى البحار والمحيطات .

ثالثاً : مكافحة التجارة فى الأسلحة الحربية .

وما أشبه اليوم بالبارحة . فمكافحة تجارة الرقيق ، يشبه اليوم مبدأ أو ذريعة حقوق الانسان، فى السياسة الأميركية الخارجية، وأما مكافحة القرصنة وضمان حرية التجارة فى القرن الماضى فأصبح اليوم مبدأ تحرير التجارة وفتح الأسواق وازالة الحماية الجمركية ومكافحة الاشتراكية والسياسات الاجتماعية كافة . وأما مكافحة التجارة فى الأسلحة الحربية آنذاك، فما زال على حاله اليوم فهو منع الدول العربية من امتلاك الأسلحة المتقدمة التى تمكنها من تحرير ارادتها وتحدى سياسة الهيمنة .

وربما كان مفيداً التنويه أو الاستطراد للتذكير بأن أوروبا والدول الغربية كافة كانت فى منتصف القرن التاسع عشر وقت صدور ذلك البيان الاستعماري تمارس تجارة الرقيق على نطاق واسع ، وبلغت أعداد الرقيق الذين اصطادتهم من أفريقيا نحو مائة مليون !! وكانت الدول العربية لا تمارس هذه التجارة الشائنة إلا فى أضيق الحدود، أما مكافحة القرصنة لضمان حرية التجارة فكان المقصود بها المقاومة الوطنية الباسلة للشعوب العربية فى منطقة الخليج والجزيرة العربية واليمن ضد محاولات

الاستعمار الأوروبي الالتفاف على العالم الإسلامى من ظهره حيث دارت حروب ومعارك على مدار قرنين كانت كلها تنتهى بانتصار العرب على الغزاة (الهولنديين والبرتغاليين ثم الاسبان ثم الفرنسيين وأخيراً الانكليز) قبل أن يتمكن هؤلاء، الأخيرون من كسر شوكة المقاومة لاختلال موازين القوى ، وعدم اهتمام السلطنة العثمانية آنذاك بحماية هذه المنطقة التى كانت قليلة الاهمية . وكانت أساطيل التجارة العربية محمية بالأساطيل الحربية تجوب البحار بين الخليج والشرق الأقصى وسواحل أفريقيا قبل أن تفرض الاساطيل الانكليزية هيمنتها بالقوة والارهاب وتحطم الأساطيل التجارية والحربية العربية وتغرقها تحت ذريعة القضاء على القرصنة التى لم يكن لها وجود مطلقاً فى هذه المنطقة .

أما مكافحة تجارة السلاح فكانت تعنى حرمان العرب من حيازة الأساطيل والأسلحة الحربية الحديثة التى يدافعون بها عن أنفسهم ، بينما قال الانكليز أنهم يريدون منع هذه التجارة لحماية السلام والاستقرار فى المنطقة !!

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن دول أوروبا الاستعمارية كلها أيدت والتزمت تطبيق المبادئ التى أعلنتها بريطانيا وفرضتها على منطقة الجنوب العربي ، ورغم المنافسة الضارية فيما بينها .

لقد كانت تلك المبادئ، برنامجاً للاستعمار الأوربي كله فى سعيه الخثيث للسيطرة على المنطقة وإضعاف العرب ، ومثلت فى حينها منعطفاً هاماً وفاصلاً فى التاريخ وتغيرت من بعده خريطة الأرض العربية . وتغيرت موازين القوى بين العالم الإسلامى ، والعالم الأوربي . وانفتحت الأبواب أمام دخول الاستعمار الأوربي المباشر إلى الوطن العربى ، وبدأت معه أيضاً حقبة النفط ، وعصر الدوليات الشركات المؤسسة حول النفط والقائمة على عائداته المالية الريعية . وهى حقبة لم تنته حتى اليوم .

وعلى غرار ذلك المنعطف ، يمكن توقع نتائج وآثار مشروع السوق الشرق أوسطية الذى يقدم نفسه تحت شعارات وعناوين تكاد تكون مطابقة تماماً لمبادئ الاستعمار البريطانى .

أولاً - دعم التحول نحو الديمقراطية واحترام حقوق الانسان ومعارضة النظم الاستبدادية والديكتاتورية والشمولية والاتوقراطية ومكافحة الارهاب .

ثانياً - تسوية الصراعات الاقليمية وإطلاق الحريات ، واقامة السلام الشامل وفتح الحدود للتجارة وحرية التنقل والتبادل ودعم الخصخصة ، والقطاع الخاص والمبادرات الفردية والغاء النظم الاشتراكية والسياسات التدخلية للدولة لحماية التوازن الاجتماعى .

ثالثاً - الحد من التسلح وازالة الأسلحة غير التقليدية التى حصل عليها العرب أو حاولوا انتاجها فى الأعوام الأخيرة، وفرض رقابة صارمة على تسلحهم وجيوشهم، وتحويل الشرق الأوسط إلى منطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل (من الجانب العربى فقط) !

هذه هى المبادئ الجوهرية فى النظام الشرق الأوسطى الجديد كما عبرت عنها الولايات المتحدة

الأميركية في وثيقة (مشروع اعلان المبادئ) الذي قدمته إلى المفاوضات المتعددة الأطراف. وأشرنا إليها سابقاً (وثيقة رقم ١٢) وكذلك هي نفسها المبادئ الرئيسية التي وضعها "شمعون بيريز" في كتابه عن الشرق الأوسط كمحتوى ومضمون لهذا النظام المعروض أو المفروض .

قد يكون بعض هذه المبادئ تقدمياً ونبيلاً وثورياً، وتحتاجه شعوب المنطقة وتتطلع إلى تحقيقه بفارغ الصبر كمبدأ الديمقراطية، ومبدأ حقوق الانسان ، ولكن من المقطوع فيه أن يكون الغرب الاستعماري أو الامبريالي وكذلك اسرائيل العنصرية تريد مساعدة الشعوب العربية على نيل تلك الأمنى وتحقيق السلام العادل والدائم والشامل فى المنطقة، ذلك أن هذه الأمنى والمطالب تتنافى وطبيعة الاستعمار وقياساً على تجارب الماضى التى لا يمكن نسيانها بالنسبة للشعوب العربية أو الاسلامية مطلقاً ولا يوجد دليل واحد على أن الغرب الامبريالي تحول إلى نصير للضعفاء ورفيق بالفقراء ، فالجشع الإمبريالى يتعاطم كل يوم، ونهب دول الجنوب يزداد، وقمع تطلعاتها وأشواقها للحرية والتنمية والعدل يقوى ويشدد فى نهاية القرن العشرين كما كانت عليه الحال فى منتصف القرن التاسع عشر، فى عز الاستعمار القديم وذروة عمليات التوسع والاحتياح والغزو. فعلى أى أساس سنبنى تقديراتنا الطبية والخيرة تجاه مشاريع الغرب الامبريالي والصهيونية العنصرية ؟

على أساس خبرة الماضى؟ أم على أساس التجارب الراهنة؟ أم على ضوء ما يحدث اليوم فى العالم من حولنا ؟؟ أم نكتفى بضوء ما يحدث فى (الشرق الأوسط) وحده؟؟

أضحى بديهياً منذ نصف قرن أن الدول الغربية الاستعمارية تقاوم انتشار الحرية والديمقراطية فى العالم العربى بقدر مقاومتها لحركات التحرر وربما كان مثال الجزائر الأخير يفى بالحاجة هنا للبرهنة على هذه المقاومة للديمقراطية لأن نتائجها تعنى بكل بساطة أن يعبر الشعب عن رأيه ويختار مصالحه ويقرر من يحكمه . ولو تحقق هذا ، فإن الشعوب العربية ستختار عدم الإرتهان لنفوذ الغرب الإمبريالى ، ومقاومة إسرائيل بلا هوادة ولن تختار إلا ما يناسبها من مفاهيم ومناهج كالتنمية المستقلة ، والوحدة العربية القومية والسعى لاقامة عالم أو نظام اسلامى متضافر ومتضامن والتجديد الحضارى ، ومعارضة أو مناهضة السياسات الإمبريالية والاستعمارية فى العالم . ولأن الغرب الاستعماري يعلم هذه الحقيقة علماً أكيداً، فهو يدعم دائماً وبلا استثناء قيام النظم الديكتاتورية المرتبطة به، ويتآمر على كل نظام أو حركة أو جهة تمثل إرادة مجتمعاتها، من الجزائر إلى مصر والعراق وسوريا من الخمسينيات والستينيات. والحق أن هذه السياسة كانت اتجاهاً ثابتاً منذ بداية الغزو الغربى ، حتى أن الباحثين يؤكدون أن منطقة الجزيرة العربية والخليج لم تعرفا طوال التاريخ النظام الديكتاتوري، والحكم الملكى العائلى الوراثى لأن ذلك يتنافى مع طبيعة البيئة الصحراوية والحياة البدوية وأنماط العمل فيها وان مثل هذه النظم لم يوجد فى المنطقتين إلا بعد وصول الاستعمار

البريطاني ، ويتخطيط ثابت منه استهدف إيجاد ضوابط وضمان لحماية نفوذه ومصالحه بواسطة هذه النظم والعائلات وبعد أن نجح في إقامتها وإقامة الدويلات - الشركات النفطية ظل يواصل التدخل لحمايتها حتى ولو اضطر لخوض حروب اقليمية أو عالمية، وحرب الخليج (١٩٩١) التي خاضتها أمريكا وحليفاتها للحفاظ على إمارة الكويت ما هي إلا مثالا تكرر نحو خمس عشرة مرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما أن أمريكا ظلت تعلن طوال الحرب الباردة أنها مستعدة لإشعال حرب عالمية نووية لو أن الاتحاد السوفياتي هدد مصالحها البترولية في الخليج والجزيرة، ومن ضمن هذه المصالح تهديد النظم والامارات القائمة والحاكمة .

أما إسرائيل، فتاريخها حافل في الدفاع عن (الديمقراطية) في الشرق الأوسط منذ أن قامت ١١ حيث شكل قيامها (قبلاً جماعياً) للديكتاتوريات العسكرية التي كانت تحكم البلدان العربية، ومهدّ المناخ لازدهار النظم الديمقراطية والليبرالية على أوسع مدى في البلدان العربية كافة ١١ أليس كذلك ؟ ولا شك أن التاريخ يسجل بحروف من ذهب الدور الاسرائيلي المباشر لتحطيم الكيان والتجربة السياسية (الديكتاتورية جداً) في لبنان بعد عام ١٩٦٧ . ودورها في مكافحة الفكر القومي والتيارات الحديثة والعصرية قبل أن تنصدر الحملة العالمية للقضاء على الحركات الاسلامية ١ بل أن اتفاق الحكم الذاتي مع قيادة عرفات هو قمة (انتصارات) الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان كما رأينا في النصف الأول من هذا الكتاب وهي (انتصارات) يعود الفضل في إنجازها للولايات المتحدة الأميركية واسرائيل أولاً وأخيراً ١١

الأهداف البعيدة للمشروع :

على أي حال ، لا يغنينا ما سبق عن ايضاح المرامي والغايات البعيدة لمشروع النظام الشرق الأوسطي المعروض أو المفروض علينا. وهي مرامي وغايات متوسطة المدى وأخرى بعيدة المدى ومنها ما يتعلق بالجغرافيا البشرية ومنها ما يتعلق بشكل المنطقة وطبيعة علاقاتها الداخلية وبنائها الذاتية ، ومنها ما يتعلق أيضاً بالمفاهيم والقيم الفكرية والأدبية والاجتماعية .

ومن البدهي التنويه إلى أن ما سنتناوله هنا ، غير وارد في نصوص الأفكار المطروحة ، ولكنه يكمن خلف الكلمات ، ومن أعماق معانيها لا في مبانيها الظاهرة . وهو يدخل في باب النتائج المتوقعة أو الاحتمالات المقصودة الظاهرة . وهو يدخل في باب النتائج المتوقعة أو الاحتمالات المقصودة منها. فهي جزء صميمي منها ، وإن كان غير مكتوب ولا مشروح في متون الاتفاقيات والبروتوكولات والنصوص ولا في هوامشها المعروفة .

ويمكن تقسيم هذه الأهداف والغايات إلى ثلاثة محاور رئيسية :

أولاً: تفتيت العروبة وقييع عناصرها :

يرمى المخططون الأمريكيون والاسرائيليون إلى إحداث تجزئة جديدة فى (الوطن العربي) تعمق التجزئة السابقة التى صنعها الاستعمار الأوروبى بعد أن أثبتت حركة التحرر العربية إمكانية إعادة الوحدة وتجاوز التقسيم الجغرافى. وتستهدف التجزئة الجديدة تفتيت العناصر التى يتشكل منها الوطن العربى ، الجغرافية والبشرية حتى لا يتمكن العرب مرة أخرى من إعادة الوحدة أو اللحمة إلى أجزائه وعناصره الأساسية، فالخطة الجديدة تصحيح لما أغفلته الخطة الأولى، وتهدف إلى تجزئة كيميائية - إذا جاز التعبير - يستحيل إعادة مكوناتها إلى ما كانت عليه قبل التفاعل.

فالهدف ليس مجرد تخطيط النظام القومى العربى بشقه الأمنى أو شقه السياسى أو شقه الاقتصادى.. ولا إلغاء جامعة الدول العربية كتجسيد قومى ، اقليمى (ولو بالحد الأدنى) للمصالح والأواصر التى تجعل من العرب (أمة) دون غيرها من الأمم . ولكنه يتخطى ذلك إلى تذيب وتسييل المكونات التى قامت عليها (وحدة الأمة وحقيقتها كظاهرة حضارية تاريخية حية ومتجددة). (٦٨)

وكما أسلفنا فقد كان هذا الهدف فى مقدمة وصلب الاستراتيجيات الأمريكية والصهيونية بشكل خاص. والغربية بشكل عام. بل أن خلق اسرائيل وغرسها وتدعيمها كان منذ البداية يرمى إلى هذا . إلا أن المقاومة العربية الضارية للمخططات الأمريكية والاسرائيلية لاسيما فى العقود الثلاثة الأولى التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، أخرت وأعاقت كثيراً تنفيذ هذه المخططات والمؤامرات والاستراتيجيات الامبريالية. ولا شك فى أن بعض صفحات تلك المقاومة العربية، ملحمة انسانية وعالية ألهمت مشاعر شعوب أخرى وألهمتها العنفوان الوطنى . والكبرياء الثورى فى أفريقيا وفى المحيط الإسلامى بل وفى أمريكا الجنوبية أيضاً. ولا زالت فكرة ان نهوض العرب ووحدتهم واستقلالهم ستؤدى حتما إلى نهوض العالم الإسلامى وتحرره واتحاده حقيقة يدركها الاستعماريون والصليبيون وتحثهم على مضاعفة عدوانيتهم بكل أشكالها وأدواتها على العرب رغم أن هؤلاء تقاعسوا عن المقاومة الثورية منذ منتصف السبعينيات وتخلوا عن الكفاح والنضال وانشغلوا بصراعاتهم الداخلية والقطرية ، وقدموا تنازلات طائلة لأعدائهم لأن استعادة العرب روح التحدى ومواصلتهم فى صياغة مشروعهم الحضارى المعاصر واستئناف دورهم الإسلامى والعالمى الريادى فى عالم الجنوب ، من الممكنات الواقعية ، والفرضيات العلمية السديدة التى يدركها الاستراتيجيون فى واشنطن وتل أبيب . ذلك أن الامكانيات الهائلة والثروات غير المحدودة التى يملكونها ، إلى جانب اتساع رقعة وطنهم وازدياد أعدادهم ، والمواقع الاستراتيجية التى يتحكمون بها . وخصوصيتهم فى الأمة الإسلامية كفيلة بتحقيق المعجزات عندما تتوفر العوامل والشروط الذاتية وربما كانت تجربة مصر فى الخمسينيات والستينيات وتجربة العراق فى الثمانينيات (وغيرهما) أمثلة على إمكان تحقيق

معجزات فى التنمية والتجدد الحضارى وامتلاك أسباب القوة والتكنولوجيا الحديثة وتحدى ارادة الطاغوت الامبريالى .

لهذه العوامل والأسباب ، كان مخططو ومفكرو الامبريالية والصهيونية لا يألون جهداً ولا يفوتون فرصة لإضعاف العرب وتعميق تجزئتهم وتزريق روابطهم وأواصرهم ، الفكرية أو الأثنية أو الطائفية أو المذهبية أو القبلية أو القطرية . لقد شجعوا كل ما من شأنه إضعاف العرب، كهوية مشتركة بدءاً من الاصرار على رفض تسمية بلدانهم بالوطن العربى وتكريس عبارة الشرق الأوسط إلى الاصرار اليوم على عدم وجود (أمة عربية أو عالم عربي) والادعاء ان الشرق الأوسط موازيك أو فسيغاء عرقى وقومى ودينى لا رابط يربطه، وان المسافة بين المسيحى اللبنانى والمسلم السورى مثلها مثل المسافة بين أى منهما واليهودى الاسرائيلى . وربما كان أخطر ما فى منطق اعلان المبادئ الاسرائيلى - الفلسطينى (الذى صاغه خبراء يهود) هو فكرة أن العلاقات والمصالح التى تجمع الفلسطينى والاسرائيلى والاردنى أقوى وأوثق من العلاقات والمصالح بين الفلسطينى والمصرى أو بين الاردنى والسورى، والعمل (بموجب الاعلان أو الاتفاق المذكور) لبناء وتأسيس شراكة ثلاثية على أرضية ذلك المنطق .

لقد حاربت أميركا واسرائيل (العربية) بضراوة موصوفة حتى أنهكتها وساندتا كل فكرة مضادة لها أو بديلة عنها فشجعتا فى الخمسينيات والستينيات (الجامعة الاسلامية) فى الشرق الأوسط ودعت واشنطن إلى (حلف اسلامى) بزعامتها، وناصرت النظم القبلية العربية التى كانت تتستر تحت الحركات الاسلامية الدينية ، كما دافعت عن (الشيوعيين) المحليين الذين كانوا فى فترة من الفترات يناهضون القومية العربية والناصرية والمفارقة المدهشة ان ذلك حدث فى اكثر سنوات الحرب الباردة حدة وشدة، حين كانت السياسة الأميركية مشحونة (بالمكاثرة) ومحمومة فى القتال ضد الاخطبوط الشيوعى! ولكن العداء المتأصل للعروية فاق العداء للشيوعية فى الوطن العربى ، واستخدمت ضدها نفس الأحكام الجزافية التى تطلقها اليوم على (الظاهرة الاسلامية) وأكثر فوصمتها آنذاك بالارهابية والفاشية ومعاداة الغرب واسرائيل .

ساندت أميركا واسرائيل (والغرب بصفة عامة) الدعوات القطرية والاقليمية ووصل الأمر إلى درجة التدخل السافر والمباشر عسكرياً لحماية كل (كيان) قطرى عربى تتهدد حدوده وكيانته من جانب التيار القومى الوجدوى كما حدث فى لبنان والاردن (١٩٥٨) والكويت (١٩٦١) وتآمرت بكل الوسائل لإسقاط الوحدة السورية - المصرية عام ١٩٦١ ، وغدت (القومية السورية) فى الخمسينيات لأنها كانت مناهضة للعروية ، ثم وقفت ضدها حين تبنت هذه الحركة الهدف القومى فى تحرير فلسطين والتحمت بالنضال الفلسطينى والعربى ضد اسرائيل . كما غدت القومية اللبنانية

(الفينيقية) والقومية التونسية والقومية المصرية (الفرعونية او المتوسطية) وظلت دائماً تدعم نشوء وإنشاء هويات بديلة عن الهوية العربية، كالهوية الخليجية ممثلة بمجلس التعاون الخليجي والهوية المغاربية .

والواقع أن المواجهة غير المتكافئة بين حركة التحرر العربي من جهة والقوى الاستعمارية والصهيونية من جهة أخرى لم تضعف العروبة برغم الضراوة التي اتسمت بها، وبرغم الهزيمة العسكرية الفادحة التي حققتها بها عام ١٩٦٧ . بل ربما صلبتها وجذرتها كهوية وكحركة تحرر ومحتوى للمشروع الاستقلالي النهضوي . فرغم ما يقال عن آثار ونتائج هزيمة ١٩٦٧ وانها حفرت قبر (العروبة والناصرية) فلا شيء علمياً يؤكد هذا الاستنتاج ، بل ان التحليل العلمي للسنوات الثلاث التي أعقبت الهزيمة، وما حفلت به من زخم ثوري وقومي وانبعاث لروح التحدي والبطولة والمقاومة (الثورة الفلسطينية المقاتلة وعزم الشعوب العربية على التعبئة والاستعداد لخوض حرب حتمية مع اسرائيل) وظهور يقظة فكرية وأدبية ونقدية وابداعية عارمة مرتبطة ومقتترنة بعوامل الاستجابة التاريخية للتحدي وهو ما ظهرت نتائجه في حرب الاستنزاف المصرية الاسرائيلية . وفي الثورة الفلسطينية وفي حرب ١٩٧٣ المجيدة . إن كل هذه الأحداث الضخمة تبرهن على أن هزيمة ١٩٦٧ كانت (عقوبة) عسكرية من النظام الدولي الطاغى على الأمة العربية بسبب عدم تكافؤ القوى العسكرية والمادية، ولكنها لم تؤد إلى تحطيم الارادة وهزيمة الشخصية القومية والروح الخلاقة المتوثبة، بل زادت تأصيلاً وعنفواناً وقوة .

إلا أن (العروبة) تعرضت لتراجع وانحسار بسبب العوامل الذاتية والانشقاقات الداخلية في التيارات الأهلية الشعبية الأصيلة أهمها على الإطلاق الانقسام غير المبرر بين التيار الاسلامي، والتيار القومي (وهما جناحا أي نهضة اجتماعية عربية) إذ أدى هذا الانقسام العميق إلى تبدد الطاقات والجهود وحرفها عن اتجاهها السديد واليسليم، يضاف إليه انقسامات ليست أقل أهمية بين التيارات القومية نفسها والتيارات الاسلامية نفسها وبين هذه الفئات والفئات الثورية واليسارية والتيارات الديمقراطية وتقدمت النزاعات والخلافات بين هذه التيارات أحياناً على التناقض الأساسي فأضاعت الهدف ، وحادت عن المنهج .

ومن هذه العوامل (التي أضعفت العروبة) انتقال زمام المبادرة في الساحة العربية ، ولا سيما على مستوى النظم والعمل الرسمي والحكومي من (مواقع الثورة إلى مواقع الثروة) على حد تعبير الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ، حتى أصبح العمل القومي والعربي المشترك خاضعاً لارادة تيار أو طرف واحد هو أكثر التيارات والأطراف في الساحة العربية تخلفاً ورجعية بكل هشاشة بنوية وحساسية للضغط الامبريالي وميلاً للتماهى بالعالم الغربي ولا سيما الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا

وتقديم التنازلات لهما طلباً للحماية منهما وبسبب كثافة الروابط والنفوذ بينهما وبعبارة موجزة، أصبح العمل العربى المؤسسى على الصعيد الحكومى خاضعاً لسيطرة الدول العربية البترولية التى تقدم المساعدات المالية وتفرض شروطها وقيمها السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية وخلال عقدين من (حقبة النفط) وكنتيجة لتأثير دورة المال البترولى فى جميع الدول العربية ظهرت طبقات وفئات اجتماعية جديدة متحالفة مع النظم والفئات الحاكمة ومعظمها (عسكرية) معادية للعروبة ذات المحتوى الاجتماعى أو التحررى، وهعت إلى نوع من العروبة التضامنية الفوقية للمحافظة على استقرار الأوضاع والحكومات القائمة وحسب، على حساب الطموحات الوطنية والقومية والاجتماعية للطبقات الشعبية ولا سيما الطبقة المتوسطة العريضة التى تعرضت للتدمير والتفكير والتهميش مما أفقد التوازن الاجتماعى قواعده وأركانه وتبع ذلك للإبداع وللثقافة المنفتحة ، والمستوى الأكاديمى والموسوعى ، وانحصرت قيمها ومثلها الفكرية والأدبية على إعادة انتاج المدارس والمذاهب التقليدية العتيقة والمتخلفة مما أحدث انفصاماً من نوع آخر بين حداثة متغربة ومستلبة فى الممارسة الحياتية اليومية وتقليد للغرب فى كل صغيرة وكبيرة بما فيها السياسة الحكومية من ناحية ، ورجعية متغلقة على ذاتها فى الممارسة الأدبية والفكرية والسياسية غير الحكومية من ناحية ثانية .

ولقد أفضت حقبة النفط بما قامت عليه وما أحدثته إلى تراكم أزمات مجتمعية بالغة الخطورة والعمق فى جميع البلدان العربية . إذ تمكنت الأنظمة الديكتاتورية بفضل الحقن المالية النفطية من الاستمرار فى مواقع السلطة ورغم افتقارها لكل شروط الاستمرار . فلا شرعية لمعظم النظم العربية ولا قاعدة اجتماعية تستند إليها سوى شرائح محدودة وانتهازية وطفيلية تتقاسم معها الأرباح السهلة والعوائد الريعية والرشاوى ولا قدرة لمعظم النظم العربية على الوفاء بأبسط الوظائف والمهام التقليدية للدولة كمؤسسة اجتماعية والتى بدونها تنعدم مقومات الدولة ككيان اجتماعى سياسى ونقصد بها (وظائف الأمن - العدل - التوازن الاجتماعى) ومع هذا فقد قويت وتضخمت واستمرت بفضل الزيادة المستمرة فى القمع ضد القوى الاجتماعية والسياسية المناوئة لها ، ووصل القمع فى بعض الحالات إلى مجازر جماعية دموية وإلى حروب شبه أهلية أو اضطرابات مستديمة أصبحت ظواهر (عادية) تتكيف معها الحياة اليومية . وانعدمت الحريات السياسية انعداماً تاماً فى معظم البلدان العربية ، وافقد المواطن أى ضمانات لحقوقه بما فيها حياته وبيته وكرامته، فضلاً عن إمكانية المشاركة فى النشاط السياسى، المتمحور حول السلطة وتأبيدها فقط، أو المساهمة فى نشاط ثقافى .. أو حتى رياضى ما لم يكن على قاعدة النظام الحاكم نفسه . لقد أصبح صحيحاً توصيف الأزمة الاجتماعية - السياسية فى الوطن العربى بأنها حرب الدولة على المجتمع، ذلك أن المؤسسات الحاكمة تحاول بكل همة إلغاء المجتمعات المدنية بكل ما أوتيت من طغيان وعسف، وتعمل ليل نهار لخصى

الشعوب وتعقيمها من أى حركة معارضة تنافسها أو تهددها ومن الطبيعي أن كل ذلك فى الداخل ، يواكبه تنازلات قومية على الصعيد الخارجى لاسرائيل وللدول الغربية الأخرى كشنن أو رشوة للسكوت على ما تقتضيه ولاستمرار الدعم السياسى والأمنى وكنتيجة طبيعية وأكيدة لغياب المقدرة - أى قدرة- على خوض مجابهة مع هذا الخارج والافتقار إلى شروطها الموضوعية اجتماعياً وقومياً واقتصادياً.

حدث كل ذلك على حساب (العروبة) كمشروع قومى وحدوى نهضوى وتحررى ثورى فتجدرت القطرية وترسخت الرجعية وازدهرت النزعات الاغترابية والاستلابية . وانهارت المجتمعات التقليدية والأهلية والمدنية وظهرت الحكومات ذات المفهوم (الأوليغارشى) بأجلى وأوضح صورها. حتى لم يعد ثمة ما يفرقها عن العصابات والفتوات التى كانت سائدة فى عصور المماليك والتدهور العثمانى . وتكاتفت فئات الأنتلجنسيا المعادية للعروبة والمشروع الوحوى على رغم تضاربها وتناقضها وتعددها فيما بينها ، بين العلمانية والليبرالية والماركسية والاسلامية التقليدية والاسلامية الحمينية والمتغربة والانعزالية المارونية والبربرية الانفصالية، وسواها فى تحالف غير معلى ضد العروبة وتحليلاتها المؤسسية والقومية والاقليمية وتضافرت (نضالاتها) حتى بلغت أحياناً درجات عالية من الاتفاق الانتهازى كالجهاد الاسلامى (الحمينى) ضد العروبة ومسawatها بالصهيونية . والتعاون بين الفرائكفونية فى الساحة الجزائرية أو التونسية والقوى الشيوعية والليبرالية ضد الظاهرة الاسلامية العروية هناك !

ولم تدرك القوى المعادية للعروبة فى الوطن العربى ، أن إضعاف العروبة سيسبب مؤثرات عرقية وأثنية ومذهبية وطائفية لا تنتهى، إلا بعد أن تحولت أكثرية البلدان العربية إلى (مختبرات) للعنف الأهلى والانقسامات الدينية والطائفية (الأفقية) والاضطرابات المكبوتة والمكتومة التى تهدد بإشعال حرب أهلية عربية من المحيط إلى الخليج حسبما توقع المفكر المغربى الكبير "محمد عابد الجابرى" . المهم أن العروبة انحسرت وتراجعت تحت ضغط وأعباء الواقع العربى المذكور وإن كانت كفكرة ومفهوم حقيقة راسخة وساطعة لا يمكن القول حتى الآن أنها تأثرت . ولكن هذا الاحتمال بدا أو لاح كأمل ممكن فى عام ١٩٩٠ حين غزا العراق الحرم الكويتى المقدس بالنسبة للمصالح الامبريالية والعالمية فاعتبرته القوى والتيارات السائدة فى الأقطار العربية نهاية النظام العربى الاقليمى الذى نشأ بنشوء جامعة الدول العربية وحركة الاستقلال الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية وجرى تحميل الخطيئة العراقية للعروبة نفسها . واعتبرت المسمار الأخير فى نعش التضامن العربى، ومعاهدات أو اتفاقيات الأمن والدفاع القومى المشتركة واتفاقيات التكامل الاقتصادى، ومواثيق التضامن الأخرى. لقد كانت الحادثة بمثابة زلزال عنيف قوض أركان الواقع العربى السقيم والواهن ولكن الأهم من

ذلك أن المعاول الأميركية والاسرائيلية تولت الباقي فأعملت تحطيماً وتفتيتاً واقتنصت الفرصة الاستثنائية لتحقيق كل ما أعدته من مخططات اقليمية ودولية لإعادة بناء النظام الدولي الجديد الذى يضمن مصالحها فى مرحلة ما بعد انهيار الامبراطورية السوفياتية وعلى عظام وأنقاض النظام العربى الاقليمى فى الشرق الأوسط . ولا مبالغة أبداً فيما لو اعتبرنا عام ١٩٩١ ، عام الهاوية بالنسبة لميزان القوة العربية وعام القمة فى القوة الأميركية العالمية ولذلك تم اختياره لبدء عملية (المشروع الشرق الأوسطي) اختياراً طبيعياً قائماً على معادلات القوة الراهنة فى هذه اللحظة من الاختلال المريع لتثبيت الحالة الراهنة وتأبيدها أطول فترة ممكنة وتجديد طاقة الاستعمار والامبريالية على الصعيد العالمى أطول فترة ممكنة .

إن المشروع المذكور يهدف فى البداية إلى تحطيم العروبة تحطيماً نهائياً وذلك بتمزيق الوطن العربى تمزيقاً جديداً إلى كتل صغيرة متناثرة أولاً ، ثم بتجميع هذه الكتل والأجزاء فى محيط أثنى أو ديمغرافى أوسع ، بحيث لا تعود العروبة اللون البارز . ولكننا أحد الألوان الثانوية . وتتفق التقديرات فى الساحة العربية جلها إن لم يكن كلها على أن البلدان العربية ستكون موزعة على الوجه الآتى .

أولاً : دائرة تحت الوصاية والهيمنة الاسرائيلية المباشرة . وتضم فلسطين والأردن .

ثانياً : دائرة تحت الوصاية والهيمنة الاسرائيلية غير المباشرة . وتضم سوريا ولبنان .

ثالثاً : عزل العراق عن (المشرق العربى) وتفتيته إلى دويلات أو كيانات عرقية وطائفية ضعيفة ومتنازعة .

رابعاً : دول الخليج العربى والسعودية ستكون تحت الهيمنة الأمريكية مباشرة ومعزولة عن (العرب) الآخرين وخاصة مصر مع الاعتراف بالمصالح الإيرانية فى الخليج (المياه والدويلات) ودعم هذه المصالح على حساب المصالح العربية القومية ولكن بشرط أن يجرى ذلك مقابل انضواء إيران تحت مظلة الإحتواء الأمريكية .

وسيجرى تعزيز المصالح التركية فى هذه المنطقة وتوفير حاجياتها من النفط ، مقابل مبيعات من الانتاج الصناعى التركى العسكرى والمدنى وزيادة العمالة التركية وترتيب اجراءات أمنية بين دول المنطقة وتركيا تحت مظلة الأميركية لمواجهة أى خطر محتمل (إيرانى أو عراقى) .

وسيجرى تدريجياً ، تحقيق أطماع اسرائيل الاقتصادية فى بلدان النفط هذه . خاصة الحصول على حاجتها من الغاز والبتروول وفتح الأسواق أمام صادراتها الصناعية إليها .

خامساً : عزل اليمن عن التأثير فى الخليج والسعودية واحتوائه .

سادساً : عزل مصر عزلاً كاملاً عن المشرق العربى وعن الخليج من النواحي الاقتصادية والأمنية وإبقاء علاقاتها السياسية والثقافية وأرضائها ببعض الفتات فى ليبيا والسودان .

ساهمياً : دعم التوجه السوداني إلى إفريقيا وإضعاف انتمائه العربى بكل السبل واحتواء الحركة الإسلامية فيه .

ثامناً : تكريس الهوية الإفريقية لدول القرن الإفريقى العربى على حساب الهوية العربية لها (إريتريا، جيبوتى، الصومال) وتكثيف الوصاية عليها بسبب موقعها على البحر الأحمر أهم ممرات النفط إلى الغرب .

ثاسعاً : الاعتراف بالمصالح الأوروبية الاقتصادية والسياسية والثقافية فى دول المغرب العربى وخاصة تونس والجزائر والمغرب وتقليص النفوذ الأمريكى إلى أدنى حد، ودعم التيارات غير العربية والإسلامية فى المنطقة وتشجيع دور الأقليات البربرية فيها وتحويلها إلى منطقة اقتصادية مرتبطة ومتكاملة مع اقتصاديات دول اتحاد أوروبا بشرط أن يحدث ذلك مع كل دولة مغربية بمفردها .

عاشراً : إبقاء ليبيا تحت الضغط والحصار إلى أن يسقط النظام فيها ويمكن تأمين نظام جديد يستجيب للمصالح الأمريكية البترولية فيها بحيث تستعيد أمريكا مواقعها التى فقدتها فى ليبيا قبل ثورة ١٩٦٩ فى هذا البلد الغنى الذى يتسم بسمات ديمقراطية مشابهة لأمارات ودويلات الخليج يجعله قابلاً للهيمنة بأقل التكاليف .

ثانياً : تحويل اسرائيل لتكون "قطب" المنطقة :

وغنى عن التنويه أن العلاقات مع اسرائيل وتبادل التجارة والسياحة معها سيكون شرطاً مفروضاً على جميع الدول العربية، وإن كانت هذه العلاقات من الممكن ألا تكون واضحة ومباشرة خاصة فى البداية ومن الملاحظ فى هذا الصدد أن الدول العربية فرض عليها جميعاً المشاركة فى مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ بصورة رمزية كما فرض على بعضها المشاركة الفعالة فى المفاوضات المتعددة الأطراف كما أسلفنا . كما أن بعضها أصبح محطة رئيسية فى مسيرة التطبيع مع اسرائيل رغم أنها غير معنية بالصراع أو بالمشكلة مباشرة كالمغرب الذى استبق الجميع ، وأقام شركة استثمارات برأس مال ٢٠٠ مليون دولار مع اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وإسبانيا وافتتح خطاً مباشراً للطيران المدنى بين الدار البيضاء وتل أبيب وأقام علاقات سياسية وثقافية متطورة (مع اسرائيل) واختار مواطناً يهودياً ليشغل منصب وزير السياحة بهدف (جذب الاسرائيليين واليهود للسياحة فى المغرب) ١

وغنى عن التنويه أيضاً أن التقسيم السابق يأخذ بوجهة النظر القائلة أن الشرق الأوسط لا يضم المغرب العربى أو شمال إفريقيا بل لا يضم أيّاً من شعوب عرب إفريقيا بما فيها مصر وأنه سيكون مقتصرراً على معظم عرب المشرق وتركيا وإيران وربما باكستان . وعلى هذا فلن يزيد حجم العنصر العربى فى هذا الكيان أو النطاق على خمسين مليون نسمة وهو أقل من سكان تركيا وحدها أو سكان

ايران وحدها . هذا مع الإشارة إلى أن العرب لن يكونوا كتلة متحدة لا بشرياً ولا اقتصادياً ولا سياسياً ولا جغرافياً . ولن يكونوا قوة اقتصادية مؤثرة ، بل الأضعف بين الجميع .
فالدخل القومي في اسرائيل ٦٥ بليون دولار سنوياً وهى تصدر من الانتاج الصناعى والزراعى ما قيمته ١١ بليون دولار سنوياً . والدخل الفردى في إسرائيل ١٢ ألف دولار سنوياً . أما الناتج المحلى الفردى فيبلغ ١٢٥٠٠ دولار .

والدخل القومى فى ايران والسعودية يزيد عن دخل اسرائيل ولكن بسبب النفط وهو مادة خام قابلة للنضوب وتأثر أسعاره بالمتغيرات . أما الدخل الاسرائيلى فقائم على الانتاج الصناعى الناتج عن قوة العمل . ومع ذلك فالدخل الفردى فى اسرائيل أعلى من أى شبيه له فى دول المنطقة بما فى ذلك الكويت (١٠ آلاف دولار) أو الامارات العربية المتحدة (١٠ آلاف دولار أيضاً) . كما أن الدخل الفردى فى تركيا (١٦٥٠ دولار) والدخل الفردى فى ايران (٢٥٠٠ دولار) أعلى من الدخل الفردى فى كل الدول العربية باستثناء دول النفط وتقتسم تركيا واسرائيل النسبة العظمى فى الصادرات الصناعية (نحو عشرين بليون دولار) وهى تشكل ٦٦٪ من مجموع صادرات الشرق الأوسط الصناعية وتحتل ايران مرتبة متقدمة فيما تبقى من نسبة الثلث (٦٩)

وعلى صعيد التطور الثقافى والعلمى ، فاسرائيل تحتل المرتبة الأولى ، تليها تركيا . إذ تقف اسرائيل على رأس جميع دول العالم (١) فى نشر الأبحاث بالعلوم الهندسية والطبيعية ، وتنشر (٦٠) ستين بحثاً مقابل كل عشرة آلاف شخص من قواها العاملة بينما تبلغ هذه النسبة ٣٠ بحثاً فقط فى الولايات المتحدة . وتقول مثلاً - مجلة لانسيت الطبية البريطانية المتخصصة ان اسرائيل تنتج أبحاثاً طبية أكثر مما تنتج أميركا أو بريطانيا . وتتفق اسرائيل ٣٠٪ من مجموع ميزانيتها على التربية والتعليم والتأهيل المهنى والعلمى . وهى تملك أكبر عدد وأعلى نسبة من العلماء المتخصصين بين دول الشرق الأوسط وزاد ما تملكه منهم بعد هجرة مليون يهودى سوفياتى والعدد الأعظم منهم يحملون مؤهلات علمية عالية (٧٠)

أما فى البلدان الأخرى فالأمية لا تزال أكبر من نسبة المتعلمين بالمعنى البسيط للمتعلم والأمى . إذ تبلغ الأمية فى مصر ٥٢٪ وفى ايران ٤٦٪ وفى العراق ٤٠٪ وفى سوريا ٣٦٪ وفى الاردن ولبنان ٢٠٪ وفى تركيا ٢٠٪ بينما تكاد تنعدم فى اسرائيل !

وأشارت احصائيات منظمة اليونسكو عام ١٩٩٢ أن الأمية فى البلدان العربية ترتفع باستمرار وإطراد بدلاً من أن تنخفض وذلك بسبب ازدياد معدلات التكاثر السكانى (بين ٣ - ٤٪) فى معظم البلدان العربية . وكانت احصائيات الأمم المتحدة عام ١٩٨٠ قد أوضحت أن الفرد العربى يقرأ بنسبة واحد من ١٤٤ مما يقرؤه الفرد اليابانى فى العام مثلاً (٧١)

إذا فالعوامل الموضوعية تجعل من الكتل العربية الأطراف الأكثر ضعفاً وفقراً وتخلفاً بين الشعوب والدول التي ستشارك في السوق الشرق الأوسطية ونظامها الاقليمي، ومن البدهى أن تكون النتيجة والحال على ما هي عليه لصالح اسرائيل وتركيا في الدرجة الأولى ثم لايران، وأخيراً للعرب . وليس بعيداً عن الدقة والواقعية أبداً التصور الذي يجعل اسرائيل (قطب الشرق الأوسط) ومركزها الاقتصادي والتجاري والأمنى والعلمى والسياسى بطبيعة الحال ؛

والذين قللوا من المخاوف العربية تجاه هذا التصور ، بنوا مزاعمهم على أن اسرائيل ليست (معجزة اقتصادية) في العالم ، وليست قوة عملاقة كما هي دول شرق آسيا (النمور الآسيوية) وهذا صحيح من الناحية الشكلية والرائنة فقط . فالدخل الاسرائيلى القومى أو ناتجها المحلى لا يمكن مقارنته بمثيله في كوريا الجنوبية أو حتى سنغافورة . ولكن هؤلاء تعوزهم البصيرة العلمية لكي يروا احتمالات المستقبل وإمكانات النمو لدى اسرائيل في حال ما عولجت الشروط والظروف الموضوعية المرتبطة بحلول السلام مع جيرانها العرب وأهم هذه الشروط والظروف التي أعاقت انطلاق الاقتصاد الاسرائيلى، في الماضى والتي بإزالتها تتحقق (المعجزة) :

– المقاطعة العربية.

– الانفتاح الاسرائيلى على المنطقة والتعاون الاقتصادى والتجارى بينها وبين العرب .

– نظم الحماية الجمركية والرقابة الحكومية على الاقتصاد والمبادلات التجارية .

– الظروف العسكرية والحروب والجيوش والاتفاق الدفاعى .

– الحرج الدولى على تقديم المساعدات أو القروض أو الاستثمارات لاسرائيل . وكذلك الحرج

الدولى من التعامل معها والخوف من المقاطعة .

أما في حال السلام وزوال تلك العوامل فالتقديرات العلمية تؤكد أن اسرائيل ستكون سويسرا الشرق الأوسط حقيقة لا وهماً من الناحية الصناعية والعلمية والطبية والتجارية والمالية لا لإمكاناتها الذاتية على النمو وقدراتها الاقتصادية فقط ، ولكن كنتيجة طبيعية لقرار سياسى على مستوى الدول الغربية والصناعية الكبرى بدعم اسرائيل لتلعب هذا الدور وقدرتها على القيام بهذه المهمة استجابة لشرحيها لها . فالدول الغربية (الاستعمارية) التي جعلت اسرائيل قوة عسكرية متفوقة على جميع الدول العربية لمدة نصف قرن وبفارق نوعى ضخم، قادرة أن تجعل من اسرائيل قاعدة اقتصادية متفوقة أو بالشكل الذى نحذر منه ونرسمه والدول الغربية التي استطاعت توفير مساعدات سنوية لاسرائيل ربما زادت عن ستة بلايين دولار (من أمريكا وحدها) تستطيع ببسر وسهولة توجيه الاستثمارات إلى اسرائيل وتشجيع السياحة لها ودفع الشركات العملاقة والمتعددة الجنسيات التي ستوافد على المنطقة بعد توقف الحروب لتفتح وتؤسس مشاريعها وفروعها في اسرائيل بسبب توفر

القاعدة التحتية والمناخ السياسى والعلمى الملائم ، إضافة إلى زوال عنصر الخوف والمخاطرة من جراء رد الفعل العربى الذى كان متمثلاً فى السابق بالمقاطعة . إن الدخل القومى لاسرائيل سيتضاعف وستجنى اسرائيل حصة الأسد من الدخول والاستثمارات والمساعدات والتدفقات المالية الأجنبية إلى المنطقة وعبرها بلا أى شك وسيشجع هذا الوضع الاسرائيليين الأغنياء والمستثمرين اليهود فى العالم على توظيف طاقاتهم العلمية والمالية التى تباطأت فى الهجرة إلى اسرائيل طوال العصور الماضية بسبب ظروف الحرب وعدم الاستقرار لانجاح الأمبراطورية الاسرائيلية الكبرى فى طورها الاقتصادى بعدما تخطت طورها العسكرى والسياسى الأول وأصبحت إحدى القوى النووية القليلة فى العالم والقوة الوحيدة فى الشرق الأوسط بل بين شبه الجزيرة الهندية شرقاً، وأوروبا غرباً وأحدى أكثر دول العالم فعالية ونفوذاً على الصعيد السياسى الدولى .

وإذا احتجنا إلى تقديرات الخبراء العالميين عن مستقبل الدولة اليهودية فى ظل السلام، فلنقرأ ما ورد فى تقرير لمصرف الاتحاد السويسرى صدر عام ١٩٩٣ .

(إن اسرائيل قد تصبح خلال سنوات قليلة ثالث أكبر دولة فى العالم من حيث القوة التنافسية بعد كوريا الجنوبية والصين ، ومتقدمة على دولة تنافسية عظيمة كاليابان) (٧٢)

والعبارة واضحة فى الإشارة إلى عنصر القدرة التنافسية بالتحديد، وهو العنصر الذى قصدها فى أثناء ايضاح القدرات الاسرائيلية التى كانت معطلة بسبب مناخ الحرب، والتى ستنتطلق عندما تتوفر لها الظروف الملائمة .

وكنا قد أشرنا إلى قول "بيريز" أن مجرد حلول السلام سيرفع قدرة الاقتصاد الاسرائيلى بنسبة ٥٠٪ دفعة واحدة .

كما يتوقع خبراء السياحة أن اسرائيل ستتحول إلى دولة سياحة رئيسية فى العالم فى غضون سنوات قليلة ، وسوف يرتفع عدد السياح إليها إلى أربعة ملايين بعد خمس سنوات فقط (تجنى اسرائيل الآن ٢ بليون دولار عملة أجنبية من عائدات السياحة، وهو أعلى مما تجنيه أى دولة عربية فى الشرق الأوسط) .

لذلك فالقول أن اسرائيل لا تمثل خطراً اقتصادياً على الدول العربية ، قول قاصر قصوراً مركباً، عن الوعى بأبعاد القوة الاسرائيلية الاقتصادية أولاً وعن الوعى بإمكانياتها المستقبلية ثانياً وعن الوعى بأبعاد المشروع الدولى لتحويل اسرائيل إلى قطب المنطقة الاقتصادى والتجارى والمالى . والدليل على ذلك خطط الاتحاد الأوروبى المعلنة، والاسلوب الغربى فى تقديم المساعدات إلى دول المنطقة من الآن فصاعداً وفق اسلوب الدانمارك الذى سبق أن أشرنا إليه حين ذكرنا أن الدانمارك وافقت على تقديم معونة لتدريب كوادى زراعيين مصريين، ولكن بشرط أن يتدربوا فى اسرائيل نفسها ..

ووفق الاسلوب الأميركي فى التخويف والابتزاز لدول المنطقة اذا امتنعت عن المشاركة والمساهمة فى المشاريع المطروحة عليها وعلى المنطقة . فإذا كان الصلح مع اسرائيل ورفع المقاطعة والاندماج الاقتصادى معها لدولة كالاردن ، يتم بالسهولة التى حدثت تحت الضغط الأمريكى، فما بال المسائل الأقل أهمية من تلك القضايا المصيرية كالعلاقات التجارية والمشاريع الاقتصادية والتعاون فى هذا القطاع أو ذاك .

إذا فاسرائيل ستبقى، قوة نووية، عسكرياً، تفرض هيمنتها الأمنية المطلقة بالتعاون والتحالف الاستراتيجى مع الأساطيل والقواعد والأحلاف العسكرية الأمريكية . ويجرى من الآن حصر وربط الموانئ التى تعتمد عليها السفن الحربية الأمريكية وحلف الناتو باسرائيل على امتداد الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وهو ما لا تحظى به ولن تحظى به أى قاعدة بحرية عربية.

واسرائيل ستصبح قوة اقتصادية عالمية، ومركزاً غريباً صناعياً وعلمياً ومصرفياً وتجارياً للتعامل مع المنطقة وأسواقها وبلدانها وشعوبها . واسرائيل ، ستتحول إلى قوة سياسية كبرى ورئيسية لا فى المنطقة فقط ولكن فى العالم كله . ذلك أنه سيفرض على كثير من الدول فى الشرق والغرب أن تختار المرور عبر إسرائيل لكى تصل إلى مبتهاها فى واشنطن أو مجلس الأمن أو العواصم الغربية الأخرى وسيكون بمقدور اسرائيل استثمار هذه الفرص والأوضاع الجديدة إلى أقصى حد، لا سيما فى أفريقيا وآسيا .

وستعمل اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية على إضعاف الدول العربية عامة، وعزلها عن بعضها ، وربما كانت مصر فى مقدمة الدول الخاسرة من جراء هذا المشروع إذ ستفرض عليها أن تنسى دورها القيادى الرائد أو دور (الأقليم القاعدة) فى المشروع القومى العربى لبناء الوحدة ، وأن تنسى مصالحها الأمنية والسياسية والاقتصادية فى المشرق العربى والخليج . وسيفرض عليها من ناحية معاكسة أن تتذكر واجباتها فى دعم السلام مع اسرائيل وأن تقدم رافداً من نيلها لرى صحراء الثقب ، وأن تستخدم قوتها وتأثيرها الفكرى والثقافى والروحى لمواجهة ومكافحة التيارات الاسلامية والقومية المناهضة للسلام مع اسرائيل والهيمنة الغربية وأن تعطل دورها التاريخى فى صياغة مشروع النهضة والتحرر والتجدد الحضارى للأمة العربية والعالم الاسلامى .

وفى هذه الدوائر يقع الدور التركى المتحالف مع اسرائيل. بالتحديد وبالضبط . فتركيا ليست مطلوبة كقوة أطلسية عسكرية موالية للغرب ومرتبطة ارتباطاً عضوياً بالولايات المتحدة الأمريكية، فهى كما ذكر كثيرون من المخططين والمفكرين الأمريكيين مطلوبة باعتبارها نموذجاً مثالياً للدولة الاسلامية التى يثنى عليها الغرب ويتقبلها ويحتضنها فى إطار مشاريعه للمستقبل إنها جسم معدى يتوخى الغرب منه نقل عدواه إلى العالم العربى أولاً، ومنه إلى بقية أنحاء العالم الاسلامى .

إن التخطيط الأمريكي يوكل لبعض دول المنطقة القيام بوظائف أو أدوار القوى الوكيله عنها محلياً، لكي لا تتورط مباشرة في أحوال المنطقة ورمالها المتحركة وزلازلها التي لا يمكن اكتشافها مسبقاً . وقد تتقاسم تركيا وإيران ، وإلى حد ما ، حق بعض الوظائف النوعيه التي تستطيع اسرائيل القيام بها مباشرة، كالوظيفة الأمنية لتركيا في الخليج والعراق، والوظيفة الايرانية ، أو الوظيفة المصرية في المجال الثقافي والإيديولوجي . ولكن اسرائيل ستكون في جميع الاحوال (مصر) المنطقة الجديد، أي اقليمها المركزي أو قاعدتها الرئيسية أمنياً واقتصادياً وعلمياً وسياسياً .

ثالثاً : «أمركة» المنطقة وتزييف وعيها :

لا شك أن مثل هذا المشروع التاريخي الكبير ينطوي على تغييرات عميقة في كل أوجه الحياة لا بد أن تواجبه وتمهد له لكي يترسخ ويتجذر، ويؤتي ثماره المرجوة، وأهم هذه التغييرات ما يتعلق بالجانب الفكري أو النفسي أو الديني أو الثقافي بصورة عامة وواسعة وحسب المفهوم الانثروبولوجي للثقافة . ويمكن القول أن المشروع يطمح إلى دفن ثقافة قائمة، وخلق ثقافة اقليمية جديدة محل محل القومية (العروبة) ومحل الأصولية (الاسلام) ، ومحل القيم والمثل العربية التقليدية كالتضحية والفداء والشرف والشأ والغيرة (الوطنية) والشهامة وتعظيم شأن الأرض أو الوطن أو الشرف ويندرج هذا في أطر مشروع لبرلة (من ليسبرالية) الشعوب العربية والاسلامية ببطء أي إعادة تربيتها وتأهيلها لتكون شعباً ليبرالية مدمقرطة (أي جعلها تتقبل الديمقراطية) على الطريقة الغربية .

لقد عملت أوروبا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على وضع مشروع لأوروبية الشرق الأوسط، أي جعله أوروبا. وجاء الدور لإعادة تأهيل الشرق الأوسط (١) مع مفاهيم وثقافة العصر الأمريكي أي القيام بعملية أمركة لشعوبه AMER والواقع أن هذا المشروع بدأ من السبعينيات بصورة مكثفة مستثمراً الإمكانيات الخارقة التي أتاحها التقدم التكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام ولا سيما البصرية منها، وفي مقدمتها التلفزيون والسينما . والتطور في هذا المجال مطرد مع ظهور شبكات البث الفضائي وأجهزة الإتصال الحديثة والحاسوب (الكومبيوتر) وغير ذلك من أنظمة المعلوماتية (انفورماتيك) وكان مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي "زيجنو بريجنسكي" (وهو مفكر أكثر منه سياسياً) كتب في عام ١٩٧٩ معلقاً على أطروحات الزعيم الايراني الراحل "آية الله خميني" بصدد القطيعة مع الغرب وبناء جدار متين يحصن ايران من الغزو الغربي الثقافي . قائل : فليحاول الخميني ذلك، ولكن ليعلم أن التكنولوجيا الأمريكية سيكون بمقدورها في غضون سنوات معدودة اقامة جامعة أميركية لتعليم وتدريب الطلاب الايرانيين وهم في بيوتهم في اصفهان

وطهران وقم بدون أن تكون هناك حاجة لإرسال مدرسين أو حضورهم إلى أميركا ، وبدون أن تستطيع السلطة الايرانية التأثير على هذه العملية. (٧٣)

وقد تحققت (نبوءة) بريجنسكى وزيادة إذ لم يعد بمقدور معظم دول الجنوب الوقوف فى وجه وسائل الاعلام الأمريكية التى تغطى كل نقطة فى كوكب الأرض، ناقلة التأثير السحري للصورة ومن وراء ذلك الترويج للسلطة الأمريكية وللمفاهيم والقيم والمعايير والأذواق الأمريكية فى السياسة والثقافة والأدب والفن والطعام واللباس وكل شىء من أشياء الحياة اليومية . إنه أشبه ما يكون باجتياح فضائى للأرض ، ولكل فرد أو كل بيت على وجه الأرض حتى أن دولاً غربية كبرى مثل فرنسا وكندا أمستا تشكيان من (الغزو الثقافى الأمريكى) على رغم ضالة التباين بينهما فى المفاهيم والثقافة والفكر . فكيف يكون حال ومصير الثقافات الأضعف والأقل حصانة وقدرة على التأقلم .. وكيف يكون موقف الثقافات الأكثر تبايناً وتعارضاً مع الثقافة الأمريكية وأذواقها كالثقافة العربية والاسلامية ؟؟

لقد حذر المسؤولون الكنديون من خطر الغزو الأمريكى الاعلامى والثقافى على قيم مجتمعهم وثقافته وخصوصياته (٧٤) وشن الفرنسيون حملة ضارية ضد الثقافة الأمريكية فى اللغة والأدب والإعلام والسينما وعارضوا إدراج الإنتاج السينمائى فى إطار اتفاقية الجات للتجارة الحرة بين أوروبا وأميركا خوفاً على ثقافتهم القومية الفرنسية وليستطيعوا حماية أجيالهم ومجتمعهم من التأثير الأمريكى الذى يحتاج العالم عبر السينما والتلفزيون . وما فرنسا وكندا طبعاً إلا مثليين لعشرات الدول والشعوب المدركة لخطر . أما العالم العربى فهو (مفتوح) الآن على مصراعيه أمام الاجتياح بلا أى إرادة أو رغبة فى المقاومة حتى أن المال العربى يستثمر فى مجال الاعلان لكى يكون أدوات وقنوات تمرير وتكريس للثقافة الأمريكية عبر شبكات تلفزيونية وصحف، ترفع شعارات البسملة والشهادة الاسلامية فى الشكل، بينما هى فى الباطن محشوة بكل ما هو أمريكى المغزى والمعنى والمذاق والنكهة . وتقوم بدور (رائد) فى التطبيع النفسى والفكرى لا مع عملية الأمركة فقط ولكن مع اسرائيل والصهيونية واليهود، فى دور يوازى ويأشى ايقاع عملية السلام ومسيرة المفاوضات الثنائية والمتعددة الأطراف .

إن أهم وأبرز القيم والمفاهيم التى يراد غرسها فى الوعى العربى الجماعى تعظيم شأن قيمة الفرد والفردية على حساب قيمة الجماعة والمجتمع والأهل وتقديم مصلحة الفرد والذات على الكل والآخرين . وكذلك تعظيم وتقديس قيمة (الحياة) نفسها تقديساً مطلقاً وإعلاء شأنها على الموت لأى سبب أو هدف . والى جانب ذلك تسفيه معنى التضحية والشهادة والفداء حتى ولو كانت فى سبيل الشرف أو الوطن أو القضية أو الأرض .. الخ وتسفيه فكرة الحرب مهما كانت أسبابها مشروعة وسامية .

فالسلاام دائماً وبأى شكل أفضل وأعظم من الحرب مهما كانت ولأى سبب كانت ا
ويقود إلى ذلك جعل (البطن) أولى وأعلى من (الوطن) والمصلحة الشخصية أهم من المصلحة
الوطنية والقومية .. الخ إنها القيم والأفكار والفضائل الطفيلية والاستهلاكية التى تتعارض تمام
التعارض والمنظور الاسلامى للحياة والانسان ووظيفة هذا الانسان فى أهله وبلاده ومجتمعه وزمنه
وعالمه.

لقد أطلقت قنوات الترويج لهذه الثقافة فى الساحة العربية شللاً هادراً من هذه السموم الكريهة
وصلت إلى حد القول أن النضال العربى ضد إسرائيل فى السنين الحالية كان علامة من علامات
تخلفهم الحضارى وجهلهم . وأن السلام أول علامة على تطورهم واقتربهم من عتبات العصر والحداثة
وأن العرب لن يتحضروا ما لم يندمجوا اندماجاً كاملاً فى الحداثة العالمية بالمفهوم الأمريكى ويستفيدوا
من العبقرية اليهودية والفرصة التاريخية التى أتاحتها لهم اسرائيل بوجودها فيما بينهم . وهو ما
قاله كثير من المسؤولين الفلسطينيين والعرب فى طبيعتهم العاهل المغربى شخصياً وكثير من المثقفين
العرب الليبراليين ومن هذه السموم أيضاً القول أن المشروع القومى هو تفكير عنصري وعرقى لأنه
قائم على نبذ اسرائيل وكذلك المحاولات الفكرية السامة لإيجاد مرتكزات تاريخية لفكرة الهوية
الشرق الأوسطية بمفعول رجعى والزعم أن الدولة الاسلامية فى أبهى مراحل ازدهارها الحضارى (الدولة
العباسية مثلاً) كانت نظاماً شرق أوسطياً ، لا قومياً عربياً ! مع أن الحقيقة القومية العربية الراهنة
والمعاصرة هى كما عبر عنها "كلوفيس مقصود" حركة تؤكد ما يجمع العرب بالغير لا ما يفرقهم عن
الغير (٧٥) وان الحضارة العربية الاسلامية وكذلك أنظمة الحكم والدول التى قامت قبل غزو المغول
وانتقال الحكم إلى أيدى ومراكز وعواصم غير عربية كانت تتألف من تركيب عضوى بين عام اسلامى
وخاص عربى. فهو خلق وتكوين وبناء وابداع عربى خالص من الناحية الثقافية وأدوات
التعبير والتفكير والبروتقة التى يجرى فيها . ولكن القاعدة التى نشأ عليها كانت الاسلام
كدين وعقيدة وروح. ولم تكن (العربية) يوماً إلا ظاهرة ثقافية ، حضارية ، مفتوحة على
كل الثقافات والحضارات الأخرى شرقية أم غربية ، ولم تكن يوماً منغلقة أو عنصرية أو
متعالية أو شوفينية لأنها غير قائمة أصلاً على الجنس أو الدم أو العرق أو النسب.
فمحاولة استعارة بعض القرائن المجتزئة أو بعض الصفات الشكلية من التاريخ لإضافته على مشروع
الشرق الأوسطية وإيجاد قوائم أو قواعد أو مرجعية له من التاريخ العربى أو الاسلامى ليس إلا
محاولة للتلاعب بالتاريخ والتعامل معه كأنه (ألبوم صور) للذكريات .

إن الثقافة التى تنظر للتطبيع مع (العدو الاسرائيلى) والتماهى مع النظام العالمى (الأمريكى)
الجديد والاندماج فى مخطط الشرق أوسطية ما هى إلا ثقافة واهنة، يمكن أن نقيس بها منسوب

الانهيار الفكرى والخلقى للأنتلجنسيا السياسية والأدبية التى ربطت مصيرها بالنظم الديكتاتورية والبهترولية الحاكمة ليس إلا . أما القاعدة العريضة من المثقفين فهى ملتزمة بثقافة الأمة التاريخية ، وبثوابت المصلحة القومية التزاماً قوياً عبرت عنه الساحة المصرية طوال خمسة عشر عاماً منذ اتفاقية كامب ديفيد . وأعربت عنه مؤسسات واتحادات ونقابات المثقفين والكتاب والمحامين ورجال القانون والصحافيين والمهندسين والعلماء والأطباء وغيرهم سواء على مستوى كل قطر أو على المستوى العربى . ولكن لا بد من الحذر الشديد هذه المرة لأن المشروع المطروح يحوز إجماعاً على المستوى الدولى الغربى ويحوز رضا أو تأييداً (ولو سلبياً) من النظم العربية والصفوة البيروقراطية العسكرية، والجماعات التى تحيط بها وفى مقدمتها الشرائح الاقتصادية الطفيلية الجديدة والأنتلجنسيا الإعلامية والفكرية الواهنة. وهذه القوى تسيطر على أدوات التقرير والتنفيذ والقرض كافة فى الواقع الراهن، ومدعومة من النظام الدولى .

ومن المقطوع أن الحياة العربية ستشهد انقلاباً واضطراباً واسعاً يصل إلى العمق ويتناول القضايا الجوهرية والمبادئ والثوابت . وستشهد الساحة طوفاناً إعلامياً وأدبياً يروج لمفاهيم الأمركة والتطبيع مع اسرائيل ولوعود كاذبة بالثمار الكثيرة التى ستجنيها شعوبنا من خيرات (السلام) والنظام الإقليمى الجديد .

بل ستكون الدول العربية (برغبتها أو بدونها) ملزمة على اجراء تغيير منهجى عميق فى الخطاب السياسى والحزبى والإعلامى والصحافى بل وفى مناهج التربية والتعليم للانسجام والتكيف مع متطلبات العصر الجديد. وقد يصل الأمر إلى حد التدخل فى النصوص الدينية الاسلامية بما فيها القرآن الكريم الذى تحفل صفحاته بالتحذير من اليهود وبنى اسرائيل قتل الأنبياء ومحض آياته الشريفة على عزة المؤمنين ومكارم الأخلاق والجهاد ضد الأعداء . ذلك أن اسرائيل سيمكنها مطالبة أى نظام عربى بموجب معاهدات السلام والالتزام بالسلام نصاً وروحاً ، منع أى مسلسل تلفزيونى ، وحظر أى كتاب أو رواية تسمى لليهود أو معاقبة أى صحفى أو أى نقابة تقدم على خطوة أو قرار أو سلوك يتعارض مع مصلحة السلام ومفاهيم الأخوة والتعاون مع شعوب المنطقة واسرائيل!! ويقال أن اسرائيل احتجت عدة مرات لدى الحكومة المصرية على موافقتها على عرض بعض الأعمال الفنية فى التلفزيون المصرى تتعارض و(كامب ديفيد) غير أن الاحتجاجات لم تجد أذنأ صاغية، وسكتت اسرائيل فى ذلك الوقت حفاظاً على ما كسبته من مصر . أما فى المرحلة الجديدة فلن تسكت ولن تقبل بأقل من السلام الشامل والكامل حسب مفاهيمها لأن الدول العربية وافقت والتزمت ولنا أن تتصور مدى وحجم ردود الفعل (الطبيعية) من جانب القوى والتيارات الاجتماعية الأهلية ضد هذا التلاعب فى المقدسات والمحرمات الفكرية والثقافية للأمة بما فيها الجانِب

العقيدى من الاسلام .. ولنا أن نتصور مستقبل المجتمعات العربية واستقرارها وازدهارها فى ظل الضغوط والتوترات والانقسامات الحادة . ولنا أن نتصور هذا (السلام) الذى يقوم على جراحة عميقة إلى هذا الحد لزرع مخ فى رأس الأمة العربية واستئصال ما اختزنه من عقائد ومسلمات وبدهيات . انهم يريدون اقناعنا أن الدنيا تغيرت فجأة والقوانين التى انفطر البشر عليها تبدلت، فالذنب لم يعد وحشاً كاسراً ولا عدواً للغنم، والأفعى لم تعد سامة ، وحب الأذى ليس من طباع العقارب .. والعالم الآن خال من اللصوص والإمبرياليين وتجار الحروب والمتآمرين ولا غير ذلك مما لا وجود له إلا فى تخيلاتنا ونظرياتنا القومية المتطرفة وعقائدنا العنصرية الانعزالية المعادية للامتزاج الانسانى والتفاعل الخلاق .. الخ

إنها خدعة كبرى تستهدف العرب والمسلمين وشعوب العالم الجنوى كافة ، خدعة كبرى هدفها تحطيم السيادة الثقافية للأمم بعد أن حطموا السيادة السياسية والسيادة الاقتصادية وهل هى مجرد صدفة أن تتزامن الدعوة إلى إزالة القيود أمام تدفق المعلومات بين الشعوب والدعوة لإزالة القيود من أمام التطور الحر للتجارة ؟؟ فلولا الأولى يستحيل تحقيق الثانية . إنها مرحلة جديدة من مراحل نمو وتضخم الرأسمالية الامبريالية ومرحلة من مراحل هجومها الضارى على الشعوب الأخرى الفقيرة تتطلب إزالة القوانين والسيادات الوطنية والاستقلالية بكل صورها ، وفى المقدمة منها السيادة الثقافية ، والإستيلاء على العقل والفكر والعلم لاستخدامها أدوات فى عملية الغزو والهيمنة فها هو "هربرت شيلر" (البروفيسور الأمريكى) يلاحظ أنه لا وجود فى - هذا العصر - لبحث علمى مستقل أو غايته مستقبل الإنسان بصورة مجردة ، فكل يندرج فى إطار هذا البحث حالياً، يتم وفقاً لاحتياجات واهتمامات مراكز القوى فى الدول الصناعية الكبرى. ويلاحظ كذلك الجهود الجبارة التى بذلتها السياسة الخارجية الأميركية من عشرات السنين لتسييد مفاهيم عالمية جذابة فى مضمار الثقافة الانسانية كحرية الصحافة، وحرية تدفق المعلومات وحرية الصورة (من سينما وتلفزيون) وحرية السباحة .. الخ وهى كلها لا تهدف إلا للمزيد من السيطرة والنهب ، ويضيف الكاتب إلى أن الصراع الطبقي على المستوى العالمى أضيف إليه اليوم عنصر جديد، هو الثقافة والاتصال، كحلبة أو ميدان لصراع ضار .

وإذا كان لشعب من الشعوب أن يفقد سيادته على أرضه حيناً من الزمن ويحتمل ذلك وإذا كان له أيضاً أن يفقد سيطرته على جزء من اقتصاده وثرواته المادية، ويحتمل ذلك، فإنه لا يمكن لشعب من الشعوب ولا لفرد من الأفراد أن يفقد عقله ويفقد فكره لصالح طرف آخر .. كما يقول الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل .. لأن من شأن ذلك أن يقضى حتماً على هذا الفرد أو الشعب ويضع نهاية مأسوية لحياته .

إن الصراع اليوم بين العرب والمسلمين، من جانب والقوى الامبريالية من جانب آخر تدور وتتركز على جبهة العقل والثقافة والفكر، فبعد أن نجحت هذه القوى العدوانية فى الاستيلاء على أراضينا واقتصادياتنا . وحطمت دفاعاتنا المادية، تريد وتخطط للاستيلاء على عقولنا . وهو أخطر جولات الصراع ، وربما آخرها، وعلى حسمها يتوقف المستقبل والمصير . ومن هنا نلاحظ التركيز على انتاج وسائل اعلام تبث باللغة العربية وتفتتح برامجها بالبسملة والصلاة وآيات القرآن ولكن ليس لها من العروبة سوى الأبجدية، ويتعرض المواطن العربى لنحو ٦٠٠ ساعة من البث الاعلامى الفضائى يومياً ذات محتوى امريكى غريبى بالكامل .. ولذلك نرى أيضا التركيز على خلق وتشكيل جيوش من الكتاب والصحفيين والمثقفين الذين يحملون أسماء عربية وليس لهم من العروبة سوى أقنعة التثنية الماكر تروج المفاهيم الامبريالية المعادية لأبسط المصالح العربية ويتناقض مع أكثر الأسس الثقافية القومية والدينية بداهة .



ملاحق وإشارات

ملحق ١

القرارات والقوانين الدولية التي تضمن الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني في فلسطين :

أولاً : التوصيات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة وأهمها :

١ - قرار (١٩٩٠ / ٢ / ١٦) للجنة حقوق الإنسان حول المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة.

٢ - القرار ٤٣ (١٩٨٦ / ١٢ / ٢) الخاص بتقرير اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف ، كذلك اللجنة المعنية بالتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة .

٣ - القرار ٥ (لعام ١٩٧٧) المتعلق بالإجراءات الإسرائيلية غير المشروعة في الأراضي المحتلة التي تستهدف تغيير الطبيعة القانونية والتشكيل الجغرافي والتركيب السكاني .

٤ - القرار ٣٣٧٩ (لعام ١٩٧٥) الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية .

٥ - القرار ٣٢٤٦ (لسنة ١٩٧٤) الخاص بإقرار حقوق الشعب الفلسطيني .

٦ - القرار ١٩٤ (لسنة ١٩٤٨) المتعلق بتقرير حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم في سبيل تعديل الأوضاع حتى تؤدي إلى تحقيق السلام في فلسطين .

٧ - القرار ١٨١ (لسنة ١٩٤٧) الخاص بالتوصية بخطة تقسيم فلسطين والذي ينص على أن تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية (

ثانياً : قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي وأهمها :

١ - القرار ٢٤٢ (لعام ١٩٦٧) والقرار ٣٣٨ (لعام ١٩٧٣) المتعلقان بإقرار مبادئ سلام عادل ودائم على أساس « مبدأ الأرض مقابل السلام ».

٢ - القرارات ٢٥٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧ ، وهي جميعها تتعلق بالممارسات الإسرائيلية والإجراءات الخاصة بمدينة القدس أو إقامة المستوطنات في الأراضي المحتلة ، وهي كلها تدين هذه الأعمال في جانب سلطة الاحتلال وتعتبرها غير شرعية وباطلة تماماً .

ثالثاً : إتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ وغيرها من الاتفاقيات المتصلة بالأراضي المحتلة وما تقره من قواعد خاصة بعدم إبعاد السكان من البلد المحتل ، ، وحماية المدنيين في ظل الاحتلال وكذلك ممتلكاتهم وأموال الدولة الواقعة تحت هذا الاحتلال وعدم التعرض للأموال والمنشآت المخصصة للعبادة أو للأعمال الخيرية أو للتعليم أو غيرها من المعالم والمنشآت الثقافية والتاريخية .

رابعاً : قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥١٤ لعام ١٩٦٠ والذي تضمن إعلان منح الإستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة وحققها في تقرير المصير .

خامساً : ميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ ، وكذلك إعلان حقوق الأقليات لعام ١٩٩٢ .

ملحق ٢

المواد التي أسقطتها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من الميثاق الوطني الفلسطيني استجابة للشروط الإسرائيلية . وجدير بالذكر أن المادة الأخيرة منه (٣٣) نصت على أن الميثاق لا يعدل إلا بأغلبية الثلثين من مجموع أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في جلسة خاصة من أجل هذا الغرض . بينما أسقطت قيادة المنظمة المواد التالية بدون الرجوع إلى المجلس مطلقاً .

المادة (٢) فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ .
المادة (٩) الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً . ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدماً نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة إليه وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه .

المادة (١٠) العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية وهذا يقتضى تصعيده وشموله وحمايته وتعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعملية الفلسطينية وتنظيمها وإشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب الفلسطيني وبينها وبين الجماهير العربية ضمناً لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها .

المادة (١٩) تقسيم فلسطين الذي جرى عام ١٩٤٧ وقيام إسرائيل باطل في أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير .

المادة (٢٠) يعتبر باطلاً كل من تصريح بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما وأن دعوى الترابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات في مفهومها الصحيح . وأن اليهودية بوصفها ديناً سماوياً وليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فإن اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها .

المادة (٢١) الشعب العربي الفلسطيني معبراً عن ذاته بالثورة الفلسطينية المسلحة يرفض كل الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريراً كاملاً ويرفض كل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية أو تدويلها .

المادة (٢٢) الصهيونية حركة سياسية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالإمبريالية العالمية ومعادية لجميع حركات التحرر والتقدم في العالم ، وهي حركة عنصرية تعصبية في تكوينها ، عدوانية توسعية استيطانية في أهدافها وفاشية نازية في وسائلها وأن إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية وقاعدة بشرية جغرافية للإمبريالية العالمية ونقطة ارتكاز ووثوب لها في قلب الوطن العربي لضرب أماني الأمة العربية في التحرر والوحدة والتقدم . إن إسرائيل مصدر دائم لتهديد السلام في الشرق

الأوسط والعالم أجمع . ولما كان تحرير فلسطين يقضى على الوجود الصهيونى والإمبريالية فيها ويؤدى إلى استتباب السلام فى الشرق الأوسط . لذلك فإن الشعب الفلسطينى يتطلع إلى نصره جميع أحرار العالم وقوى الخير والتقدم والسلام فيه ويناشدهم جميعاً على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم تقديم كل عون وتأييد له فى نضاله العادل المشروع لتحرير وطنه .

المادة (٢٣) دواعى الأمن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلب من الدول جميعها حفظاً لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لأوطانهم أن تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها .



إشارات

- ١ - كان الفيلسوف الفرنسي المعاصر جيل دولوز هو الذى رأى فى الانتفاضة الفلسطينية اختراقاً عميقاً للكيان الإسرائيلى ، فقال بعد شهور من بداية ثورة الحجارة : لقد توغل الفلسطينيون فى روح إسرائيل ، وهم « يشتغلون » على هذه الروح كشيء يسبر غوره ويخترق كل يوم .
- ٢ - محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج . أوهام القوة وأوهام النصر . مركز الأهرام للترجمة والنشر . عام ١٩٩٢ . ص ٦٩ وما بعد .
- ٣ - نفسه .
- ٤ - سفير من كبار مسئولى جامعة الدول العربية نقل الواقعة إلينا وطلب عدم ذكر اسمه .
- ٥ - صدر بالانكليزية كتاب للصحافية جين كورين ، وهى شاركت فى تنظيم المفاوضات عنوانه (القناة النرويجية السرية للسلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية : غزة أولاً . أكدت فيه إرسال تقارير منتظمة إلى واشنطن ولندن عن سير المفاوضات وفى مرحلة لاحقة اعترف وزير خارجية النرويج وكذلك شمعون بيريز بذلك .
- ٦ - انظر مقال إدوارد سعيد فى صحيفة الحياة فى ١٠/٧/١٩٩٤ .
- ٧ - انظر فى هذا الصدد مقال البروفيسور الفلسطينى رمضان عبد الله فى جريدة الحياة ٢٦/١١/١٩٩٣ ، ومقال الكاتب الفلسطينى محمد الأسعد فى الصحيفة نفسها ١٥/٩/١٩٩٣ .
- ٨ - هانى الحسن . محاضرة فى الجمعية العربية بجامعة أكسفورد ، انظر تقريراً عنها فى الحياة ٢٩/١٢/١٩٩٣ .
- ٩ - بيان نويهض الحوت . صحيفة الحياة ١٠/١/١٩٩٤ .
- ١٠ - خالد الحسن ، مقابلة فى جريدة الحياة . ٢٩/١١/١٩٩٣ .
- ١١ - انظر الحياة فى ٢٦/١١/١٩٩٣ بشأن مساحة أريحا .
- ١٢ - د . شفيق المصرى استاذ فى الجامعة الأمريكية . والجامعة اللبنانية ببيروت . انظر بحثه فى صحيفة الحياة . ١٩/٩/١٩٩٣ .
- ١٣ - نفسه .
- ١٤ - نقلاً عن صبرى جريس . انظر بحثه فى صحيفة الحياة يومى ١٩ ، ٢٠/١٠/١٩٩٣ .
- ١٥ - نفسه .
- ١٦ - انظر ما نقله صفوت حاتم فى مقاله بالحياة (١٣/١/١٩٩٤) عن الصحفى الاسرائيلى جى بيكو ، فى مقال له فى هآرتس .
- ١٧ - راجع تصريح جيمس بيكر فى الحياة ١٣/١١/١٩٩٣ .
- ١٨ - د . ادوارد سعيد فى صحيفة الحياة ١٣/١٠/١٩٩٣ .
- ١٩ - هانى الحسن . مصدر سابق .

- ٢٠ - راجع آراء سعيد كمال (سفير منظمة التحرير فى القاهرة) فى ندوة صحيفة الحياة عن الشرق أوسطية فى ١٩٩٣/٩/١٥ .
- ٢١ - د . شفيق المصرى . مصدر سابق .
- ٢٢ - د . أوروى ديفيس فى صحيفة الحياة ١٩٩٣/٩/١٣ .
- ٢٣ - نقلاً عن إدوارد سعيد فى صحيفة الحياة ١٩٩٣/١٠/١٣ . وكان اسحاق رابين ذكر الشيء نفسه فى مؤقره الصحفى بواشنطن يوم ١٩٩٣/٩/١٣ .
- ٢٤ - راجع مقابلة مردخاى غور نائب وزير الدفاع الإسرائيلى مع صحيفة الحياة يوم ١٩٩٤/٢/١٧ .
- ٢٥ - جوزيف الفير مدير مركز يافى (وهو رئيس سابق للإستخبارات العسكرية وجنرال فى الجيش) مقابلة مع صحيفة الحياة ١٩٩٤/٢/١٢ .
- ٢٦ - تقرير لوكالة الصحافة الفرنسية . الحياة ١٩٩٣/١١/١٦ .
- ٢٧ جوليان اوزان ، تقرير من تل أبيب . فى الفايينشال تايمز ، الحياة فى ١٩٩٤/١/٨ . ويتر نورمان تقرير من تل أبيب . فى الفايينشال تايمز ، الحياة فى ١٩٩٤/٤/٦ .
- ٢٨ - استعان تحليلنا هنا بآراء د . بركات أحمد فرا (استاذ فى جامعة القاهرة) فى صحيفة الحياة ١٩٩٣/١٢/٢٩ .
- ٢٩ - استعنا هنا ببحثين للدكتور طاهر حمدى كنعان (وزير سابق فى الأردن) نشر فى ١٩٩٤/٥/١٢ .
- ٣٠ - راجع التصريحات فى صحيفة الحياة يوم ١٩٩٤/٥/١٠ .
- ٣١ - راجع تقرير جريدة الحياة من عمان يوم ١٩٩٤/٥/١١ . وتقرير آخر فيها عن موقف المستثمرين الفلسطينيين من البروتوكول ، فى الصحيفة نفسها يوم ١٩٩٤/٥/١٥ .
- ٣٢ - هانى الحسن . تقرير سبقت الإشارة إليه .
- ٣٣ - تقرير لوكالة الصحافة الفرنسية من باريس منشور فى (الحياة) ١٩٩٤/٥/١ .
- ٣٤ - راجع مقال د . رمضان عبد الله بخصوص هذه المسألة فى صحيفة الحياة ١٩٩٣/١٠/٢٣ .
- ٣٥ - أسامة الغزالي حرب : الاستراتيجية الاسرائيلية والمقاومة فى الأراضى المحتلة صادر فى القاهرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عام ١٩٧٧ ص ٤٨ وما بعدها .
- ٣٦ - نفسه .
- ٣٧ - راجع مقابلتنا مع السيدة روت بلاو زوجة زعيم الطائفة ، فى مجلة المصباح اللبنانية فى آيار/ مايو ١٩٨١ .
- ٣٨ - هناك شكوك علمية قوية فى النظرية الصهيونية التى تزعم أن مملكة إسرائيل أو شقيقتها مملكة يهوذا قامت فى أرض فلسطين . والأرجح ما ذهب إليه عالم التاريخ المعاصر كمال صليبي فى كتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب) صدر فى بيروت عام ١٩٨٣ .
- ٣٩ - انظر مقابلة معد فى جريدة الحياة ١٩٩٣/١١/٦ .
- ٤٠ - أوروى ديفيس . مصدر سبق ذكره .

- ٤١ - د . إدوارد سعيد فى صحيفة الحياة ١٠/١٢/١٩٩٣ .
- ٤٢ - د . غازى إسماعيل ربيعة - القدس فى الصراع العربى - الإسرائيلى ، دار الفرقان للنشر ، عمان ١٩٨٧ ص ٥٥ وقد أكدت استفتاءات الرأى العام التى أجريت بعد توقيع إعلان المبادئ الإسرائيلى - الفلسطينى عام ١٩٩٣ أن هذه النسب ما تزال على حالها .
- ٤٣ - سليم نصار . جريدة الحياة فى ١/٨/١٩٩٤
- ٤٤ - د . نصير عاروى (بروفيسور فلسطينى فى أمريكا) فى صحيفة الحياة ١/٨/١٩٩٤
- ٤٥ - صبرى جريس . مصدر سابق .
- ٤٦ - نعيم تشومسكى ، مصدر سابق .
- ٤٧ - وحيد عبد المجيد . (الاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى خطوة تراجعية عن إطار كامب ديفيد) صحيفة الحياة ٩/٢٤/١٩٩٣ .
- ٤٨ - أورى ديفيس . مصدر سابق .
- ٤٩ - جورج قزم . الشرق الأوسط . كتاب بالفرنسية . اقرأ عرضاً له بقلم جورج طرايشى فى صحيفة الحياة ١١/٢٧/١٩٩٣ .
- ٥٠ - يمكن الرجوع إليها فى (وثائق فلسطين) صادر عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٨٧ .
- ٥١ - توماس أ . بريسون (العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط ١٧٨٤ - ١٩٧٥) ترجمة ونشر دار طلاس بدمشق عام ١٩٨٥ . ص ٤٣٦ .
- ٥٢ - رغيد الصلح . (المشاريع الإسرائيلية شهادات المنشأ العربية) فى الحياة ٧/٢٦/١٩٩٣ .
- ٥٣ - بشأن هذه وسواها من وثائق تلك المرحلة ، راجع كتاب (وثائق فلسطين) السابق ذكره .
- ٥٤ - نفسه .
- ٥٥ - يمكن الإطلاع على ترجمته العربية الصادرة عن لدار الأهلية للنشر فى عمان ١٩٩٤ .
- ٥٦ - ترجمته صحيفة الحياة ونشرته يوم ٤/٢٤/١٩٩٤ .
- ٥٧ - جهاد الخازن . تقرير من واشنطن . الحياة ٢٨/١٠/١٩٩٣ ص ١٨ .
- ٥٨ - د . عبد المنعم سعيد . الشرق الأوسط بعد السلام . مجلة السياسة الدولية . عدد يناير ١٩٩٤ . القاهرة .
- ٥٩ - انظر بهذا الصدد تقرير جريدة الحياة من عمان (تجار فلسطينيون يسوقون سلعاً إسرائيلية بأغلفة عربية) المحرر : صلاح حزين . الحياة ص ١٠ فى ٩/٣/١٩٩٣ .
- وجاء فيه أن عدد الشركات الفلسطينية التى تروج بضائع إسرائيلية على أنها عربية فلسطينية يزيد عن ٥٠٠ شركة فى الضفة الغربية .
- ٦٠ - د . طه عبد العليم . مشروعات التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط . السياسة الدولية عدد يناير ١٩٩٤ . القاهرة .

- ٦١ - مجدى صبحى . مشروعات التعاون الإقليمى فى مجال المياه . السياسة الدولية عدد يناير ١٩٩٤ .
- ٦٢ - م . نبيل فهمى ود . محمود كام . المشروعات والأفكار المطروحة بخصوص التعاون الإقليمى فى مجال الأمن والحد من التسلح ونزع السلاح . مجلة السياسة الدولية عدد يناير ١٩٩٤ .
- ٦٣ - عمرو الجوىلى . صراع التعاون . مجلة السياسة الدولية . عدد يناير ١٩٩٤ .
- ٦٤ - ريتشارد أرميتاج ، مقال فى صحيفة الحياة ، أواخر عام ١٩٩٣ .
- ٦٥ - لطفى الخولى ، فى ندوة صحيفة الحياة فى الشرق أوسطية . نشرت فى منتصف أيلول/سبتمبر ١٩٩٣ .
- ٦٦ - راجع لوموند ديبلوماتيك (بالعربية) ص ١٢ عدد ١٧ مارس ١٩٩٠ .
- ٦٧ - يمكن الرجوع إلى هذه المسألة فى كتاب د . خلدون النقيب : الدولة والمجتمع فى الخليج العربى . صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ١٩٨٨ .
- ٦٨ - أيمن هويدى . السوق الشرق أوسطية . التطبيع أم السلام أولاً . جريدة الأحرار المصرية ١٩٩٣/٥/٣٠ .
- ٦٩ - جورج قرقم . مصدر سابق .
- ٧٠ - بيتر نورمان . مصدر سابق .
- ٧١ - جورج قرقم . مصدر سابق .
- ٧٢ - بيتر نورمان . مصدر سابق .
- ٧٣ - كانت مجلة الآداب (اللبنانية) نشرت عرضاً مكثفاً لهذا البحث المهم فى أحد أعدادها عام ١٩٨٠
- ٧٤ - د . فيكتور سحاب . الغزو الإعلامى الأمريكى . بيروت عام ١٩٨٣ .
- ٧٥ - كلوفيس مقصود . (أمة متقهقرة وشعب مقهور) . صحيفة الحياة ١٩٩٣/٧/١٥ .



وُتَائِق

النصوص الحرفية للرسائل المتبادلة كما وزعتها رئاسة الحكومة الإسرائيلية
 فى ما يلى ترجمة النص الحرفى للرسائل المتبادلة بين رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير
 الفلسطينية ياسر عرفات ورئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق رابين بصدد اتفاق الاعتراف المتبادل
 بين المنظمة وإسرائيل كما وزعتها رئاسة مجلس الوزراء الإسرائيلى ليل الخميس .

الرسالة الأولى من عرفات إلى رابين

د فى ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣
 السيد رئيس الوزراء :

ان توقيع إعلان المبادئ ينهى عهد جديد فى تاريخ الشرق الأوسط وإننى بدافع الاقتناع الجازم بذلك أود
 أن أؤكد التعهدات التالية لمنظمة التحرير الفلسطينية :
 ان منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بحق دولة إسرائيل فى العيش فى سلام وأمن . وتوافق منظمة
 التحرير الفلسطينية على القرار الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ لمجلس الأمن الدولى .
 ان منظمة التحرير الفلسطينية ملتزم بمسيرة السلام فى الشرق الأوسط وبالمشاركة فى إيجاد حل سلمى
 ينهى النزاع بين الطرفين وتعلن أن جميع المسائل المعلقة التى ترتبط بالوضع الدائم سيتم تسويتها عن طريق
 التفاوض .

وتعتقد منظمة التحرير الفلسطينية أن توقيع إعلان المبادئ يعد حدثاً تاريخياً ينهى بدء عهد جديد من
 التعايش السلمى يكون خالياً من العنف وأى عمل آخر يمكن أن يعرض للخطر السلام والاستقرار . ومن ثم
 فإن منظمة التحرير الفلسطينية تتخلى عن الإرهاب وعن أى عمل من أعمال العنف وستتحمل المسؤولية
 بالنسبة إلى كل عناصر وموظفى منظمة التحرير الفلسطينية . وتتعهد بتدارك أى انتهاك لهذه التعهدات
 وباتخاذ إجراءات تأديبية ضد أى مخالف لها .

ومنظمة التحرير الفلسطينية إذ تستقبل عهداً جديداً وتوشك أن توقع إعلان المبادئ فى إطار الموافقة
 الفلسطينية على القرار الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ لمجلس الأمن الدولى تؤكد أن مواد ونقاط الميثاق الفلسطينى
 التى تنكر حق إسرائيل فى الوجود وأيضاً نقاط الميثاق التى تتعارض مع التعهدات الواردة فى هذه الرسالة
 أصبحت عديمة الأثر وغير سارية المفعول . وبالتالي ستعرض منظمة التحرير الفلسطينية على المجلس الوطنى
 التغييرات الضرورية فى الميثاق الفلسطينى للموافقة عليها .

المخلص ياسر عرفات
 رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

الرسالة الثانية

من عرفات إلى وزير خارجية النرويج جوهان جورغن هولست

« فى ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣

سعادة وزير خارجية النرويج / جوهان جورغن هولست

أود أن أؤكد لكم أن تصريحاتى العلنية ستتضمن المواقف التالية عند توقيع إعلان المبادئ:

على ضوء العهد الجديد الذى يبنى به توقيع إعلان المبادئ فإن منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه إلى المشاركة فى التدابير التى تؤدى إلى التطبيع ورفض العنف والإرهاب والإسهام فى تحقيق السلام والاستقرار والمشاركة الايجابية فى التعمير والتنمية الاقتصادية والتعاون .

المخلص ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

الرسالة الثالثة

من رابين إلى عرفات

« السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

رداً على رسالتكم المؤرخة ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣ أود أن أعلن لكم أنه على ضوء تعهدات منظمة التحرير الفلسطينية الواردة فى هذه الرسالة فقد قررت الحكومة الإسرائيلية الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل للشعب الفلسطينى وبدء مقاضات مع منظمة التحرير الفلسطينية فى إطار مسيرة السلام فى الشرق الأوسط .

إسحق رابين

رئيس وزراء إسرائيل»

نص إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي

فى ما يأتى ترجمة من الإنكليزية للنص الرسمى لمسودة إعلان المبادئ الخاص بترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية فى الأراضى المحتلة وحصلت وكالة «فرانس برس» على نص الاتفاق من خلال صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية التى نشرته بالعبرية :
المسودة النهائية اتفق عليها فى ١٩ / ٨ / ١٩٩٣ تحت عنوان إعلان المبادئ الخاص بترتيبات الحكومة الانتقالية الذاتية .

تتفق حكومة إسرائيل والفريق الفلسطينى (فى الوفد الاردنى - الفلسطينى المشترك إلى مؤتمر السلام الخاص بالشرق الأوسط) ، ممثل الشعب الفلسطينى ، أنه آن الأوان لوضع حد لعقود من المواجهات والصراع ، والاعتراف المتبادل لحقوقهما السياسية والشرعية ، ولتحقيق تعايش سلمى وكرامة وأمن متبادلين ، والوصول إلى تسوية سلمية عادلة وشاملة ودائمة ، ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها . وعليه يتفق الطرفان على المبادئ الآتية :

البند الاول - هدف المفاوضات :

إن هدف المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية ضمن إطار عملية السلام الشرق أوسطية هو ، إلى جانب أمور أخرى ، تشكيل سلطة فلسطينية انتقالية ذاتية ، المجلس المنتخب للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة لمرحلة انتقالية لا تتعدى خمس سنوات وتؤدى إلى تسوية نهائية مبنية على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

البند الثانى - إطار عمل للمرحلة الانتقالية :

إن إطار العمل المتفق عليه للمرحلة الانتقالية منصوص عليه فى إعلان المبادئ هذه.

البند الثالث - الانتخابات :

- ١ - كى يتمكن الفلسطينيون فى الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم أنفسهم وفق المبادئ الديمقراطية ، ستجرى انتخابات سياسية عامة مباشرة وحررة لانتخاب المجلس فى ظل إشراف متفق عليه تحت رقابة دولية فى الوقت الذى ستحافظ فيه الشرطة الفلسطينية على النظام العام .
- ٢ - سيصار إلى اتفاق على روح الانتخابات وشروطها حسب البروتوكول المرفق كالملحق الرقم واحد ، بهدف إجراء انتخابات ضمن فترة لا تتعدى تسعة أشهر بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ .
- ٣ - ستشكل هذه الانتخابات خطوة أولية انتقالية مهمة باتجاه الاعتراف بالحقوق الشرعية والمطالب العادلة للشعب الفلسطينى .

البند الرابع - الولاية :

ستشمل ولاية المجلس منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء قضايا سيتم التفاوض عليها فى مفاوضات للوضع النهائى . ينظر الطرفان إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كوحدة جغرافية واحدة سيحافظ على

وحدتها خلال الفترة الانتقالية .

البند الخامس - الفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع النهائي :

- ١ - ستبدأ مرحلة الخمس سنوات الانتقالية فور الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا .
- ٢ - ستنتقل مفاوضات الوضع النهائي في أقرب وقت ممكن ، على ألا يتعدى ذلك بداية السنة الثالثة للفترة الانتقالية ، بين حكومة إسرائيل وممثلي الشعب الفلسطيني .
- ٣ - من المفهوم أن هذه المفاوضات ستغطي قضايا متبقية تشمل : القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين وقضايا أخرى ذات أهمية مشتركة .
- ٤ - يتفق الطرفان على أن نتيجة مفاوضات الوضع النهائي لن تكون محكومة ومتأثرة باتفاقات تم التوصل إليها للمرحلة الانتقالية .

البند السادس - نقل الصلاحيات والمسؤوليات التمهيدية :

- ١ - مع دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا سيبدأ نقل السلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى الفلسطينيين المخولين هذه المهمة ، كما هو موضح هنا ، وستكون طبيعة هذا النقل أولية حتى إنشاء المجلس .
- ٢ - فوراً بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، أخذين بالاعتبار ترويج التطوير الإقتصادي لقطاع غزة ومنطقة أريحا ، ستنتقل السلطة إلى الفلسطينيين في المجالات الآتية : التعليم والثقافة ، الصحة الشؤون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة والسياحة . وسيشرح الجانب الفلسطيني في بناء قوة الشرطة الفلسطينية حسبما هو متفق عليه . ويانتظار إنشاء المجلس يمكن للجانبين التفاوض على نقل صلاحيات ومسؤوليات إضافية حسبما هو متفق عليه .

البند السابع :

- ١ - سيتفاوض الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي على اتفاق للمرحلة الانتقالية «الاتفاقية الانتقالية» .
- ٢ - سيحدد الاتفاق الانتقالي ، ضمن أمور أخرى ، تركيبة المجلس ، عدد أعضائه ونقل الصلاحيات والمسؤوليات من الحكومة الإسرائيلية العسكرية وإدارتها المدنية إلى المجلس . وسيحدد الاتفاق الانتقالي أيضاً سلطة المجلس التنفيذية والسلطات التشريعية ، وفقاً للبند التاسع المبين أدناه . والأجهزة القضائية الفلسطينية المستقلة .
- ٣ - سيشمل الاتفاق الانتقالي ترتيبات تطبق فور تشكيل المجلس لتحويل الصلاحيات والمسؤوليات المنقولة مسبقاً حسب البند السادس .
- ٤ - من أجل مساعدة المجلس على تشجيع النمو الاقتصادي فور إنشائه سيشكل المجلس ، ضمن أمور أخرى ، سلطة إدارة كهرباء فلسطينية ، سلطة ميناء بحري في غزة ، بنك تنمية فلسطيني ، هيئة تشجيع صادرات فلسطينية ، سلطة بيئية فلسطينية ، وسلطة أراض فلسطينية وسلطة إدارة مياه فلسطينية ، وأى سلطات يتفق عليها وفقاً للاتفاق الانتقالي الذي سيحدد صلاحياتها ومسؤولياتها .
- ٥ - بعد إنشاء المجلس ستحل الإدارة المدنية وتنسحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية .

البند الثامن - النظام العام والأمن :

من أجل ضمان النظام العام والأمن الداخلي لفلسطيني الضفة الغربية وقطاع غزة ، سيشكل المجلس قوة شرطة فلسطينية قوية ، بينما تواصل إسرائيل تحمل مسؤولية الدفاع ضد الأخطار الخارجية وكذلك مسؤولية الأمن العام للإسرائيليين من أجل حماية أمنهم الداخلي والنظام العام .

البند التاسع - القوانين والأوامر العسكرية :

١ - سيخول إلى المجلس التشريع ، وفقاً للاتفاق الانتقالي ، في كل الصلاحيات المنقولة إليه .

٢ - سينظر الطرفان معاً في القوانين والأوامر العسكرية المتداولة حالياً في المجالات المتبقية .

البند العاشر - لجنة الارتباط الفلسطينية - الإسرائيلية المشتركة :

من أجل تأمين تطبيق سهل لإعلان المبادئ هذا وأي اتفاق لاحق متعلق بالفترة الانتقالية ، وقور دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ ، سيتم تشكيل لجنة ارتباط فلسطينية - إسرائيلية مشتركة لمعالجة قضايا تتطلب التعاون ، وقضايا أخرى ذات اهتمام مشترك ونزاعات .

البند الحادي عشر - التعاون الإسرائيلي - الفلسطيني في المجالات الاقتصادية :

اعترافاً بالمنفعة المتبادلة للتعاون بتشجيع تطوير الضفة الغربية وقطاع غزة وإسرائيل ، وقور دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ ، سيتم تشكيل لجنة تعاون اقتصادية فلسطينية - إسرائيلية من أجل تطوير وتطبيق - ضمن روح تعاونية - البرامج المشار إليها في البروتوكولات المرفقة كالملاحق الثالث والرابع .

البند الثاني عشر - الارتباط والتعاون مع مصر والأردن :

سيقوم الطرفان بدعوة كل من الأردن ومصر للمشاركة في تشكيل مزيد من ترتيبات التعاون والارتباط بين حكومة إسرائيل والممثلين الفلسطينيين من جهة ، وحكومة الأردن ومصر من جهة أخرى ، لتشجيع التعاون بينهم . وستشتمل هذه الترتيبات على تكوين لجنة متابعة ستقرر ، من خلال اتفاق ، ماهية صيغة دخول لأشخاص شردوا من الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٦٧ ، ومعاً ، بواسطة الإجراءات الضرورية ، لمنع القوضي والخلل ، وستعالج هذه اللجنة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك .

البند الثالث عشر - إعادة انتشار القوات الإسرائيلية :

١ - بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ ، وليس أبعد من عشية انتخابات المجلس ، ستتم إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إضافة إلى انسحاب القوات الإسرائيلية المنصوص عليه وفقاً للبند الرابع عشر .

٢ - سيتم تطبيق تدريجي لعمليات إعادة انتشار أخرى إلى مواقع محددة وفقاً لتولى مسؤوليات تجاه النظام العام والأمن الداخلي من قبل قوة الشرطة الفلسطينية . المنصوص عليه في البند الثامن .

البند الرابع عشر - الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

ستنسحب إسرائيل من قطاع غزة ومنطقة أريحا حسبما هو مفصل في البروتوكول المرفق كالملاحق رقم ٢ .

البند الخامس عشر - حل النزاعات :

١ - سيتم حل النزاعات الناجمة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ هذا . أو أية اتفاقات متعلقة بالفترة

الانتقالية بواسطة التفاوض من خلال لجنة الارتباط المستركة التي ستشكل وفقاً للبند العاشر .
 ٢ - يمكن حل النزاعات التي لا يمكن للمفاوضات تسويتها من خلال آلية توفيق يتفق الأطراف عليها .
 ٣ - يمكن للأطراف اللجوء إلى التحكيم في نزاعات متعلقة بالفترة الانتقالية، والتي لا يمكن حلها بواسطة التوفيق . وإلى هذا الحد، وفور موافقة الطرفين، يشكلان لجنة تحكيم .
البند السادس عشر - التعاون الفلسطيني - الإسرائيلي المتعلق بالبرامج الإقليمية :
 ينظر الطرفان إلى مجموعات عمل المحادثات المتعددة الأطراف كأداة ملائمة لترويج «خطة مارشال» :
 برامج إقليمية وأخرى تشتمل على برامج خاصة للضفة الغربية وقطاع غزة ، كما هو مشار إليه في البروتوكول المرفق كالملحق رقم ٤ .

البند السابع عشر - فقرات مختلفة :

١ - يدخل إعلان المبادئ حيز التنفيذ بعد شهر على توقيعه .
 ٢ - كل البروتوكولات الملحق بإعلان المبادئ هذا والتفاصيل المتفق عليها المتعلقة به يجب أن تعتبر كجزء واحد منه .

حرر في واشنطن دي ، سي يوم ١٩٩٣
 عن حكومة إسرائيل
 عن الفلسطينيين
 شهد عليه
 الولايات الأمريكية
 الاتحاد الروسي

وثيقة رقم ٣

(أربعة ملاحق للاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي
 في ما يأتي ترجمة عن النص الانكليزي للملاحق الأربعة للاتفاق الفلسطيني - الاسرائيلي :

الملحق الأول :

بروتوكول عن روح الانتخابات وشروطها :

١ - يحق لفلسطيني القدس الذين يعيشون فيها المشاركة في عملية الانتخابات وفقاً لاتفاق بين الطرفين.
 ٢ - إضافة إلى ذلك، يجب أن يشمل اتفاق الانتخابات ضمن أمور أخرى، القضايا الآتية:
 (أ) نظام الانتخابات . (ب) صيغة الاشراف المتفق عليه والمراقبة الدولية وتركيبها الشخصية . (ج) القوانين والاجراءات المتعلقة بحملة الانتخابات ، وترتيبات متفق عليها لتنظيم الإعلام الجماهيري وإمكان الترخيص لمحطة تلفزيون وإذاعة .
 ٣ - الوضع المستقبلي للفلسطينيين المشردين الذين سجلوا في الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لن يتغير لأنهم لن يتمكنوا من المشاركة في عملية الانتخابات لأسباب عملية.

الملحق الثاني،

بروتوكول عن انسحاب قوات إسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

- ١ - سيتوصل الطرفان ويوقعان خلال فترة شهرين من دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ، اتفاقاً على انسحاب قوات إسرائيلية من قطاع غزة ويشمل هذا الاتفاق ترتيبات شاملة تطبق على قطاع غزة ومنطقة أريحا عطفاً على الانسحاب الإسرائيلي .
- ٢ - تنفذ إسرائيل انسحاباً مبرمجاً سريعاً لقوات عسكرية إسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا فور التوقيع على اتفاق قطاع غزة أريحا ، ويستكمل خلال فترة لا تتعدى الأربعة أشهر من توقيع هذا الاتفاق .
- ٣- ويشمل الاتفاق المشار إليه إضافة إلى أمور أخرى :
 - (أ) ترتيبات لانتقال هادئ وسلمي للسلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى الممثلين الفلسطينيين .
 - (ب) تركيبة وصلاحيات ومسؤوليات السلطة الفلسطينية في هذه المناطق باستثناء : الأمن الخارجي، المستوطنات، الإسرائيليين، العلاقات الخارجية ومسائل أخرى متبادلة ومتفق عليها .
 - (ج) ترتيبات تولى الأمن الداخلي والنظام العام من قبل قوة الشرطة الفلسطينية المكونة من ضباط شرطة مجندين محلياً ومن الخارج (حملة جوازات سفر أردنية ووثائق سفر صادرة من مصر) . وأولئك الذين سيشاركون في الشرطة الفلسطينية وهم من الخارج يجب تدريبهم كشرطة وضباط .
 - (د) وجود دولي أو أجنبي مؤقت ، حسب ما يتفق عليه .
 - (هـ) تشكيل لجنة تعاون وتنسيق فلسطينية - إسرائيلية مشتركة لأهداف أمنية متبادلة .
 - (و) برنامج للتنمية والاستقرار الاقتصادي . يتضمن إنشاء صندوق طوارئ لتشجيع الاستثمار الأجنبي والدعم المالي والاقتصادي . ينسق الطرفان ويتعاونان في شكل مشترك ومنفرد مع الأطراف الدولية والإقليمية لدعم هذه الأهداف .
 - (ز) ترتيبات لضمان مرور آمن للأشخاص والمواصلات بين قطاع غزة ومنطقة أريحا .
- ٤ - يشمل الاتفاق المشار إليه أعلاه ترتيبات للتنسيق بين الطرفين في ما يتعلق بممرات :
 - (أ) غزة - مصر .
 - (ب) أريحا - الأردن .
- ٥ - المكاتب المسؤولة عن تنفيذ السلطة والمسؤوليات للسلطة الفلسطينية بموجب الملحق الرقم ٢ والبند الرقم ٦ من إعلان المبادئ ، سيكون موقعها في قطاع غزة وفي منطقة أريحا حتى إنشاء المجلس .
- ٦ - إضافة إلى هذه الترتيبات المتفق عليها ، يبقى وضع قطاع غزة ومنطقة أريحا جزءاً لا يتجزأ من الضفة الغربية وقطاع غزة ولن يتغير في الفترة الانتقالية .

الملحق الثالث :

بروتوكول التعاون الإسرائيلي - الفلسطيني في البرامج الاقتصادية والتنمية :

يتفق الجانبان على تشكيل «لجنة اسرائيلية - فلسطينية دائمة للتعاون الاقتصادي» تركز عملها ، من بين أمور أخرى ، على ما يأتي :

- ١ - تعاون في حقل المياه يشمل «برنامجاً لتنمية الموارد المائية» يعده خبراء من كلا الجانبين ، ويحدد أيضاً إجراءات التعاون في إدارة الموارد المائية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويتضمن اقتراحات لإجراء دراسات وخطط عن حقوق كل جانب في المياه ، إضافة إلى استخدام عادل للموارد المائية المشتركة ، على أن يطبق في المرحلة الانتقالية وما بعدها .
- ٢ - تعاون في حقل يشمل «برنامجاً لتنمية الموارد الكهربائية» ويحدد أيضاً إجراءات التعاون في إنتاج الموارد الكهربائية والحفاظ عليها وشراؤها وبيعها .
- ٣ - تعاون في حقل الطاقة يشمل «برنامجاً لتطوير الطاقة» يتعلق باستغلال النفط والغاز لأغراض صناعية ، خصوصاً في قطاع غزة وفي النقب ، ويشجع على استغلال مشترك لموارد الطاقة الأخرى . ويمكن هذا البرنامج أيضاً أن يتضمن بناء تجمع صناعي بتروكيماوي في قطاع غزة وبناء أنابيب نفط وغاز .
- ٤ - تعاون في حقل المال يشمل «برنامجاً للتطوير المالي» و «برنامج عمل» لتشجيع الاستثمارات الدولية في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي إسرائيل ، وكذلك تأسيس «بنك فلسطيني للتنمية» .
- ٥ - تعاون في مجال النقل والاتصالات مع إعداد برنامج يحدد الخطوط العريضة لإنشاء «منطقة مرفأ غزة» وينص على إقامة خطوط نقل واتصالات من وإلى الضفة الغربية وغزة ، إلى إسرائيل ودول أخرى ، إضافة إلى ذلك سينص البرنامج على بناء ما هو ضروري من الطرق والسكك الحديدية وخطوط الاتصالات ... الخ .
- ٦ - تعاون في مجال التجارة بما في ذلك إعداد دراسات و«برامج لتشجيع التجارة» بهدف تشجيع التجارة المحلية والإقليمية وبين دول المنطقة ، إضافة إلى دراسة عن إمكانية إنشاء مناطق تجارة حرة في قطاع غزة وفي إسرائيل ، مفتوحة أمام الجانبين ، وتعاون في المجالات الأخرى المرتبطة بالتجارة .
- ٧ - تعاون في مجال الصناعة بما في ذلك إعداد «برامج لتطوير الصناعة» تنص على إقامة مراكز - إسرائيلية - فلسطينية للبحث الصناعي والتنمية ، وتشجع على تشكيل شركات فلسطينية - إسرائيلية ، وتحدد الخطوط العريضة للتعاون في صناعات النسيج والأغذية والأدوية والإلكترونيات والماس والكمبيوتر ، وغيرها من الصناعات ذات الأساس العلمي .
- ٨ - برنامج التعاون في ميدان العمل وتنظيم العلاقات في هذا المجال وتعاون في المسائل المتعلقة بالضمان الاجتماعي .
- ٩ - «خطة لتنمية الطاقات البشرية والتعاون» تنص على تنظيم محترفات وندوات إسرائيلية - فلسطينية ، وعلى إقامة مراكز تأهيل مشتركة ومراكز بحوث وبنوك للمعلومات .

١٠ - «خطة لحماية البيئة» تنص على تدابير مشتركة أو منسقة في هذا المجال .

١١ - برنامج لتطوير التنسيق والتعاون في مجال الاتصال ووسائل الاعلام .

١٢ - أى برامج أخرى ذات اهتمام مشترك .

الملحق الرابع

بروتوكول التعاون الاسرائيلي - الفلسطيني في مجال برامج التنمية في المنطقة :

١ - يتعاون الجانبان في إطار مساعي السلام المتعددة الأطراف لتشجيع على وضع «برنامج تنمية» للمنطقة، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة ، تطلقه مجموعة السبع (الدول الصناعية السبع) ويطلب الجانبان من المجموعة أن تسعى إلى مشاركة دول أخرى مهتمة مثل الدول الأعضاء في منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي والدول العربية في المنطقة ، ومؤسسات عربية . إضافة إلى القطاع الخاص .

٢ - يتضمن «برنامج التنمية» شقين :

(أ) «برنامج تنمية اقتصادية» للضفة الغربية وقطاع غزة يتضمن النقاط الآتية :

(١) «برنامج إعادة تأهيل اجتماعي» يتضمن «برنامجاً للإسكان والبناء» .

(٢) «برنامج لتنمية المؤسسات الصغيرة والخاصة» .

(٣) «برنامج لتطوير البنية التحتية» (ماء وكهرباء ونقل واتصالات .. الخ)

(٤) «برنامج للطاقات البشرية» .

(٥) برامج أخرى .

(ب) «برنامج تنمية اقتصادية للمنطقة» يمكن أن يتضمن النقاط الآتية :

(١) تأسيس «صندوق للتنمية في الشرق الأوسط» كخطوة أولى و«بنك للتنمية في الشرق الأوسط» كخطوة ثانية .

(٢) وضع «برنامج اسرائيلي - فلسطيني - أردني» مشترك لتنسيق استثمار منطقة البحر الميت .

(٣) البحر المتوسط (غزة) - قناة البحر الميت .

(٤) مشاريع في المنطقة لتحلية المياه ومشاريع أخرى لتنمية الموارد المائية .

(٥) برنامج إقليمي لتنمية الزراعة بما في ذلك القيام بتحريك إقليمي للوقاية من التصحر .

(٦) ربط الشبكات الكهربائية .

(٧) تعاون إقليمي لنقل وتوزيع الغاز والنفط وموارد الطاقة الأخرى ولاستغلالها صناعياً .

(٨) «برنامج إقليمي للسياحة والنقل والاتصالات» .

(٩) «تعاون إقليمي» في مجالات أخرى .

٣ - يعمل الجانبان على تشجيع مجموعات العمل (في المفاوضات) المتعددة الأطراف ، وينسقان تحركاتهما

بهدف إنجاحها . ويحضر الطرفان على مواصلة النشاطات بين الجولة والأخرى ، وعلى إعداد دراسات

عن إمكان تطبيق ما يتم الاتفاق عليه داخل مجموعات العمل المتعددة الأطراف .

الجدول الزمني لتطبيق الاتفاق

- فى ما يأتى الجدول الزمني لتطبيق الاتفاق .
- يبدأ تطبيق إعلان المبادئ الخاص بالحكم الذاتى فى الأراضى المحتلة بعد شهر على توقيعه، المتوقع أن يتم خلال أيام فى واشنطن فى إطار مفاوضات السلام .
 - فى الشهرين اللذين يعقبان دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ يبرم الطرفان اتفاقاً على انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا فى الضفة الغربية .
 - ما أن يدخل إعلان المبادئ حيز التنفيذ تقوم إسرائيل فى المقابل بنقل محدود للسلطات إلى الفلسطينيين .
 - فور التوقيع على الاتفاق الخاص بقطاع غزة ومنطقة أريحا ، تقوم إسرائيل بسرعة ووفق برنامج محدد بسحب قواتها العسكرية من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، ويتم هذا الانسحاب فى فترة لا تتجاوز أربعة أشهر بعد توقيع الاتفاق .
 - تجرى انتخابات مباشرة لانتخاب مجلس فلسطينى للحكم الذاتى فى الأراضى المحتلة بعد تسعة شهور على الأكثر من دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ . ويعد تشكيل المجلس الفلسطينى، على الحكم العسكرى الإسرائيلى الانسحاب .
 - تعيد القوات الاسرائيلية انتشارها خارج المناطق المأهولة فى باقى الضفة الغربية فى مدة أقصاها عشية إجراء الانتخابات . وتجري عمليات إعادة انتشار أخرى للقوات الاسرائيلية فى مواقع محددة مسبقاً ، وفى شكل تدريجى جنباً إلى جنب مع تولى الشرطة الفلسطينية مسئولية النظام العام والأمن الداخلى.
 - تبدأ المرحلة الانتقالية لخمس سنوات مع الانسحاب من قطاع غزة ومن منطقة أريحا .
 - تبدأ المفاوضات على الوضع النهائى للأراضى المحتلة فى أسرع وقت ممكن وكحد أقصى فى بداية العام الثالث من المرحلة الانتقالية .

وثيقة رقم ٤

كلمة ياسر عرفات

بسم الله الرحمن الرحيم
السيد الرئيس،
سيداتى سادتي،

أود أن أعبر عن تقديرنا الكبير للرئيس كلينتون وحكومته لرعاية هذا الحدث التاريخى الذى يرقبه العالم بأسره .

إننى يا سيدى الرئيس، أغتنم الفرصة لأؤكد لكم ولشعبكم العظيم أننا نشاطركم مبادئ الحرية والعدالة وحقوق الإنسان التى يطمح شعبى إلى التمتع بها .

كما يأمل شعبى أن يكون هذا الاتفاق الذى نوقح عليه اليوم هو بداية لطفى صفحة الآلام والعذاب التى استمرت طوال قرن وأن يفتتح عهد السلام والتعايش والمساواة بالحقوق . إننا نعوّل على دوركم يا سيدى الرئيس ودور جميع الدول التى ترى أن السلام فى العالم لا يكتمل بدون سلام الشرق الأوسط .

إن تطبيق الاتفاق والتوجه نحو حل نهائى بعد سنتين من تنفيذ قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ بجميع جوانبهما ولحل قضايا القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود مسئولية فلسطينية وإسرائيلية وكذلك مسئولية دولية شاملة للمساعدة على التغلب على المصاعب الهائلة التى لا تزال تعترض المسيرة من أجل الوصول بها نحو السلام النهائى والشامل .

فى بداية هذه المرحلة التاريخية الجديدة أتوجه إلى شعب إسرائيل وإلى قيادته التى نلتقى معها اليوم لأول مرة مؤكداً أن القرار الصعب الذى توصلنا إليه معاً كان يحتاج إلى شجاعة كبيرة واستثنائية وإننا سوف نحتاج إلى مزيد من الشجاعة والتصميم لتواصل مسيرة بناء التعايش والسلام بيننا . وهذا ممكن وسيحقق بالارادة المشتركة وبالعامل على إرساء قواعد السلام العادل والشامل مع جميع الأطراف وعلى كل المسارات . وشعبنا لا يعتبر أن ممارسة حقه فى تقرير المصير يمكن أن يشكل اعتداء على حقوق جيرانه ومساساً بأمنهم بل أن فى إلغاء الشعور بالغبن والظلم التاريخى هو أكبر ضمانة لتحقيق الحياة المشتركة والانفتاح بين شعبينا وبين أجيالنا المقبلة .

إن شعبينا يراقبان اليوم هذا الأمل التاريخى ويريدان إعطاء فرصة حقيقية للسلام، مثل هذا التحول سيعطينا الفرصة للدخول فى عملية البناء والتطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والتى نتطلع إلى أوسع مساهمة دولية فيها كما يتيح الفرصة أمام جميع أشكال التعاون على نطاق واسع وفى كل الميادين . أشكركم يا سيدى الرئيس ونأمل أن يكون لقاءنا بداية جديدة لعلاقات مشمرة وفعالة بين الشعبين الأمريكى والفلسطينى .

كما أتوجه بالشكر إلى دولة روسيا الاتحادية وإلى الرئيس بوريس يلتسين وكذلك نشكر الوزيرين كريستوفر وكوزيريف وحكومة الترويج ووزير خارجيتها لدورهم الإيجابى فى التوصل إلى هذا الانجاز الكبير . وأوجه تحية إلى كل إخواننا القادة العرب وفى العالم الذين ساهموا فى الوصول إلى هذا الانجاز . إن معركة السلام أيها السيدات والسادة هى أصعب معارك حياتنا وهى تستحق منا كل الجهود لأن أرض السلام تنوق للسلام العادل والشامل .

شكراً شكراً شكراً

وثيقة رقم ٥

كلمة اسحق رابين

الرئيس كلينتون رئيس الولايات المتحدة،
أصحاب السعادة، السيدات والسادة،

لم يكن توقيع إعلان المبادئ الإسرائيلي - الفلسطيني اليوم أمراً سهلاً بالنسبة إلى كجندى شارك في الحروب الإسرائيلية ولا لشعب إسرائيل، ولا للشعب اليهودي في الشتات الذين يشاهدوننا ونفوسهم مفعمة بأمل كبير ممزوج بالخوف .

ومن المؤكد أنه ليس سهلاً بالنسبة إلى أسر ضحايا الحروب والعنف والإرهاب الذين لن تبرا جروحهم مطلقاً وكذلك بالنسبة إلى الآلاف ممن دافعوا عن أرواحنا بأرواحهم وقدوا حياتنا بحياتهم . بالنسبة إلى هؤلاء فإن هذا الحفل وهذه الحفلة أتت متأخرة جداً . إننا نذكر اليوم عشية فرصة السلام هذه ، وربما فرصة إنهاء العنف والحروب جميع أولئك بحب لامتناه .

لقد أتينا من القدس العاصمة القديمة والأبدية للشعب اليهودي، أتينا من أرض تتألم ، أتينا من شعب ووطن وأسرة لم تشهد سنة واحدة بل شهراً واحداً، لم تشكل فيه أمهات أبناءهن.

لقد أتينا لكي نسعى إلى وضع حد للعداوة حتى لا يشهد أطفالنا وأطفالهم مرة أخرى تجرية الشمن المؤلم للحرب والعنف والإرهاب ، لقد أتينا لضمان حياتهم وتخفيف الأسف وذكريات الماضي المؤلمة ولكي نأمل في السلام ونصلى من أجله .

دعوني أقول لكم أيها الفلسطينيون : أنه محكوم علينا بأن نعيش معاً على الأرض نفسها ، على التربة نفسها . أننا نحن الجنود الذين عدنا من المعارك ملطخين بالدماء ونحن الذين رأينا أقباءنا وأصدقاءنا يموتون أمام أعيننا ونحن الذين شيعنا جنازاتهم ولم يكن بمستطاعنا أن ننظر إلى أعين آبائهم . نحن الذين جئنا من أرض يدفن فيها الآباء أطفالهم ونحن الذين حاربناكم ، أيها الفلسطينيون نقول لكم اليوم بصوت عال وواضح: كفى دماء ودموعاً. كفى.

إننا لا نرغب في الانتقام إذ أننا لا نضمّر نحوكم كراهية ونحو اناس مثلكم ، اناس يريدون أن يبنوا وطناً وأن يقرسوا شجرة يريدون المحبة وأن يعيشوا جنباً إلى جنب بكل كرامة وأخوة باعتبارهم آدميين وأحراراً . اننا نعطي السلام اليوم فرصة ونقول لكم مرة أخرى : كفى، دعونا نصلى من أجل يوم نقول فيه جميعاً : وداعاً للسلاح .

اننا نتمنى أن تبدأ فصلاً جديداً في كتاب حياتنا الحزينة ، فصلاً من الاعتراف المتبادل وحسن الجوار والاحترام المتبادل والتفاهم . ونأمل أن تبدأ عصراً جديداً في تاريخ الشرق الأوسط .

سنبدأ اليوم هنا ، في البيت الأبيض في واشنطن فجراً جديداً في العلاقات بين شعوب بين آباء تعبوا من الحرب وبين أطفال لن يعرفوا الحرب .

السيد رئيس الولايات المتحدة ،
السيدات والسادة ،

إن قيمنا الأخلاقية السامية مستمدة من «أم الكتب» على مدى آلاف السنوات وقد ورد فيه (...) «لكل شيء موسم وزمن ، لكل هدف تحت السماء . زمن للولاية وزمن للموت . زمن للقتل وزمن للبراءة . زمن لليكاء وزمن للضحك . زمن للحب وزمن للكراهية . زمن للحرب وزمن للسلام .»

السيدات والسادة ،

لقد حان وقت السلام (تصفيق) بعد يومين سوف يحتفل الشعب اليهودي ببداية سنة جديدة وأنا أعتقد وأمل وأصلي كي تأتي السنة الجديدة برسالة خلاص لجميع الشعوب سنة طيبة لكم ، لكم جميعاً ، سنة طيبة للإسرائيليين وللפלستينيين ، سنة طيبة لجميع شعوب الشرق الأوسط ، سنة طيبة لجميع أصدقائنا الأميركيين الذين يريدون السلام حقاً ويساعدون على تحقيقه . وللرؤساء وأعضاء الإدارات السابقة خصوصاً لكم سيدي الرئيس كلينتون وموظفيكم ولواطني دول العالم أتمنى أن يعم السلام بيوترككم . ومن العرف اليهودي أن نختم صلاتنا بأن نقول : آمين أو كما قلتموها حسب نطقكم . ولتسمحوا لي يا رجال السلام أن أختم بكلمات من الصلاة التي يرددها اليهود يومياً وأطلب ممن يتطوعون منكم أن يرددوا معي : آمين «حديث بالعبرية» آمين (تصفيق) .

وثيقة رقم ٦

نص كلمة الرئيس بيل كلينتون :

« رئيس الوزراء (اسحق) رابين ، الرئيس عرفات ،

وزير الخارجية بيريز ، السيد عباس ،

الرئيس كارتر ، الرئيس بوش ،

الضيوف الكرام ،

باسم الولايات المتحدة وروسيا ، راعبي عملية السلام في الشرق الأوسط أرحب بكم في هذه المناسبة العظيمة الخافلة بالتاريخ والأمل .

اليوم نشهد فصلاً فذاً في واحدة من قصص التاريخ البارزة . قصة بدأت في عهد أجدادنا حين انطلقت البشرية من رقعة من الأرض بين نهر الأردن والبحر المتوسط . تلك الأرض المباركة أرض الحياة والروح هي موطن ذكريات اليهود والمسلمين والمسيحيين في العالم وأحلامهم .

وكما نعلم جميعاً ، كان الإخلاص لهذه الأرض مصدر الصراع وسفك الدماء لفترة تجاوزت الحدود . وطوال هذا القرن سلبت المراهة بين الفلسطينيين واليهود والمنطقة بأسرها من مواردها وطاقاتها الكامنة وأعداداً أكثر مما ينبغي من أبنائها وبناتها . وغرقت هذه الأرض بالحروب والحقد ما جعل دعاوى تاريخية متضاربة تتصارع بعمق في أرواح المقاتلين هناك إلى درجة أن كثيرين يعتقدون أن الماضي هو الذي سيسود دائماً .

وقبل أربعة عشر عاماً أخذ الماضي يتراجع حين وضع في هذا المكان وعلى هذه المائدة ، ثلاثة رجال ذوي بصيرة نافذة تواقيعهم على اتفاقى كامب ديفيد . واليوم نحى ذكرى مناحم بيغن وأتور السادات ونشيد

بالقيادة الحكيمة للرئيس جيمي كارتر .

آنذاك ، كما هي الحال الآن ، سمعنا أولئك الذين قالوا أن الصراع سيعيد سيرته الأولى ، لكن السلام بين مصر وإسرائيل صمد ، وكذلك يجب أن يصمد هذا المسعى الجديد الجريء ، هذه المغامرة الجسورة كى يكون المستقبل أفضل من الماضى .

قبل سنتين فى مدريد ، خطا رئيس (أميركى) آخر خطوة أخرى فى الطريق نحو السلام بجمع إسرائيل وكل جاراتها للإطلاق فى مفاوضات مباشرة . واليوم نتوجه أيضاً بشكرنا إلى القيادة الماهرة للرئيس جورج بوش .

منذ اعترف هارى ترومان بإسرائيل فى البداية عمل جميع الرؤساء الأمريكيين ، جمهوريين وديموقراطيين من أجل السلام بين إسرائيل وجاراتها وأوصلتنا جهود جميع الذين عملوا فى السابق إلى هذه اللحظة ... اللحظة التى نتجاسر أن نتعهد فيها ما كان حتى الآن أمراً يصعب حتى تصوره ، وهو أن أمن الشعب الإسرائيلى سيتوافق مع طموحات الشعب الفلسطينى وسيزداد الأمن وتتعاظم الطموحات لدى الجميع .

اليوم، ستوقع قيادتا إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إعلان مبادئ فى شأن حكم ذاتى مؤقت للفلسطينيين . وهذا يرسم مساراً نحو الوفاق بين الشعبين اللذين عرف كلاهما المرارة والتشرد ، والآن يتعهد كلاهما أن يضع الآلام والعداوة خلف ظهره وأن يعمل من أجل مستقبل مشترك تصوغه قيم التوراة والقرآن (الكريم) والإنجيل. اسمحوا لنا أن نحبي أيضاً حكومة الترويج لدورها الرائع فى رعاية هذا الاتفاق . ولكن من دون كل الأمور وقبلها جميعاً . اسمحوا لنا أن نشيد بالزعماء الذين تحلوا بالشجاعة وقيادة شعبيهم نحو السلام بعيداً عن آثار المعارك وجروح الماضى وخسائره ، نحو غد أكثر إشراقاً .

العالم اليوم يتوجه بالشكر إلى رئيس الوزراء رابين ووزير الخارجية بيريز والرئيس عرفات ، منحتنا طاقتهم الدؤوبة ورؤاهم الأمل ببداية جديدة .

وما قام به هؤلاء الزعماء الآن يجب أن يقوم به الآخرون ، وينبغى أن يكون إنجازهم عاملاً فاعلاً من أجل التقدم فى كل جوانب عملية السلام . وأولئك الذين يؤيدونهم منا عليهم أن يكونوا مستعدين لتقديم العون فى كل الميادين لأن السلام لا بد أن يعود على أولئك الذين يعزونه .

وصلنا إلى سلام الشجعان ، وفى كل أنحاء الشرق الأوسط هناك توق عظيم إلى حدوث المعجزة بقيام حياة عادية . ونحن ندرك أن أمامنا طريقاً صعباً . ولكل سلام أعداؤه . وأولئك الذين ما زالوا يفضلون استسهال التمسك بمشاعر الحقد على العمل المبنى من أجل الوفاق . لكن رئيس الوزراء رابين ذكرنا أن المرء لا يضطر إلى إحلال السلام مع أصدقائه ويعلمنا القرآن (الكريم) « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » . لهذا ، دعونا نصمم على أن يصبح هذا الاعتراف الجديد المتبادل عملية مستمرة تعيد فيها الأطراف المعنية قولبة جوهر الأسلوب الذى يرى أحدها من خلاله الطرف الآخر ويفهمه . وليتذكر المشككون فى هذا السلام ما كان ذات يوم قائماً بين هذه الشعوب ، كان هناك زمن تنتقل فيه الآراء وحركة التجارة وأفراج الحجيج من دون انقطاع بين مدن الهلال الخصيب . وفى اسبانيا والشرق الأوسط كان المسلمون واليهود يعملون معاً لتسطير الفصول الساطعة فى تاريخ الآداب والعلوم . ويمكن لهذا كله أن يعود ثانية .

السيد رئيس الوزراء .. السيد الرئيس (عرفات) أتعهد بتقديم الدعم الفاعل للولايات المتحدة الأمريكية في الجهود الصعبة المقبلة . والولايات المتحدة ملتزمة ضمان أن يزيد هذا الاتفاق الأمن لأولئك الذين يتأثرون به . وزيادة العالم في تسخير الموارد اللازمة لتنفيذ التفاصيل الصعبة التي من شأنها أن تنجز المبادئ التي تلزمون أنفسكم بها اليوم .

دعونا معاً نتصور ما يمكن تحقيقه إذا أمكننا استثمار طاقة الإسرائيليين والفلسطينيين وصمودهم معاً في جهودكم الدؤوبة والتي يمكن أن تسخر الآن في فلاحه الأرض وتوفير المياه النظيفة وفي إنقاذ المقاتلين وإيجاد صناعات جديدة وفي خلق أرض حافلة بالخيرات والسلام كما هي تحفل بالقدسية . وقبل هذا كله دعونا نكرس أنفسنا اليوم من أجل الجيل الآتي في منطقتكم .

وفي تجميعنا هذا كله ليس هناك من هو أهم من هذه المجموعة من الأطفال العرب والإسرائيليين الفلسطينيين معنا اليوم . ويفضل ما فعلتموه اليوم أصبح القيد لهؤلاء وينبغي أن لا تركهم نهياً لسياسات التطرف واليأس ولأولئك الذين قد يحرفون هذه العملية عن مسارها لأنهم عاجزون عن التغلب على المخاوف والأحقاد التي تنتمي إلى الماضي . يجب أن لا ننحون مستقبل هؤلاء (الأطفال) ، ولقد طالبت الفترة التي احتجز فيها أطفال الشرق الأوسط داخل خناق الحقد الذي لا ضلع لهم فيه . ولقد طال الزمن الذي كانوا يلتفتون فيه تجاههم من سجلات الحرب . ولأن نستطيع أن نعطيهم الفرصة لتذوق السلام .

وعلينا من أجلهم أن ندرك مغزى نبوءة أشعيا بأن لا يسمع صراخ العنف مرة أخرى في أرضكم ولا الدمار داخل حدودكم . إن أبناء إبراهيم وأحفاد اسحق واسماعيل انطلقوا معاً في رحلة جريئة . ونحن جميعاً إليهم وبكل قلوبنا نقول لهم شالوم . سلام . سلام»

وثيقة رقم ٧

وجاء في كلمة وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر :

«السيد الرئيس، السيد رئيس الوزراء، الرئيس عرفات، أعضاء الكونغرس، الضيوف الكرام، الأصدقاء والزعماء، أتشرف بأن أشهد توقيع هذا الاتفاق نيابة عن الولايات المتحدة . لقد حلم ملايين الناس بهذه اللحظة، هذه اللحظة لهذه المنطقة .

لقد اتخذ الإسرائيليون والفلسطينيون خطوة مثيرة باتجاه إحلال سلام عادل ودائم وشامل يحسن حياة شعوب الشرق الأوسط . وتجاوزوا عقبات كان يبدو مستحيلاً تجاوزها في صياغة إعلان المبادئ وشروط الاعتراف المتبادل . وكسروا بذلك حواجز الكراهية والخوف . وأبدوا طوال عملية التفاوض شجاعة غير عادية وأكدوا أنهم بمنزلة رجال الدولة بما يعطى أملاً حقيقياً في أنهم سيكملون الرحلة التي بدأت اليوم .

هذا الإنجاز كان نتيجة لجهود متصلة دولية وغير حزبية هنا في الولايات المتحدة وقد وضع أساس الانفراج في العملية كما قال الرئيس في مؤتمر مدريد الذي عقد في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩١ الذي نجح في

تخطى العقبات أمام المفاوضات العربية - الإسرائيلية المباشرة وأطلق عملية السلام الحقيقية . ولم يكن نجاح مؤتمر مدريد ليتحقق لولا قيامه على أساس اتفاقات كامب ديفيد فى العام ١٩٧٨ واتفاقات فصل القوات بين إسرائيل ومصر وسورية فى العامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ .

وأرى بين المجموعة المميزة التى تجلس هنا اليوم فى الصنف الأول أولئك الذين لم يحققوا الانفراج الذى تشهده اليوم فحسب وإنما سعوا لعقود من الزمان إلى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط . إننى أحبيكم وأهنتكم جميعاً .

وأحبي وأهني أيضاً أولئك الذين ساعدوا فى فترات مختلفة وأعبر خصوصاً عن شكرى لوزير الخارجية (الترويجي) هولست، وزملائه الذين عملوا تحت ظروف صعبة للغاية ، وجعلوا المفاوضات على إعلان المبادئ ممكنة . ونحن مدينون بالعرفان أيضاً لوزير الخارجية المصرى (عمرو) موسى وزملائه ، وآخرين كثيرين قدموا مساعدة كبيرة للعملية السلمية .

نحن جميعاً فخورون بهذا الانفجار الكبير ولكننا نعرف أيضاً أن هناك الكثير الذى يجب عمله إذا أريد لهذه الشجرة التى غرست حديثاً أن تحمل ثماراً . والولايات المتحدة ملتزمة بإحلال سلام شامل بين إسرائيل وكل جيرانها العرب ونحن تأمل ونعتقد أن هذا الاتفاق سيدفع المحادثات بين إسرائيل وسورية والأردن ولبنان . إن الولايات المتحدة مستعدة للقيام بدورها فى المفاوضات المقبلة ولن ندخر جهداً فى مساعدة الأطراف على تحويل الاتفاقات إلى حقائق على الأرض . وسنظل شريكاً كاملاً فى عملية البحث عن السلام ولكننا بالتأكيد لسنا الشريك الوحيد . ونحتاج إلى انضمام المجتمع الدولى كله إلينا فى هذا العمل ، وفى معارضة أى جهود لتخريب السلام ، ولا يمكن السماح بفضل هذا الاتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى . وهناك مشاكل كثيرة تنتظر الحل ، ويدل هذا الاتفاق التاريخى اليوم على أن الشرق الأوسط لا يحتاج أن يكون حمأة للعداوة بل يمكن أن يكون مهداً للأمل .

شكراً» .

وثيقة رقم ٨

النص الحرفى للاتفاق الخاص بالخليل

«بعد مجزرة الخليل المروعة واستجابة إلى حاجة الفلسطينيين الملحة للأمن فى قطاع غزة والضفة الغربية وبخاصة فى مدينة الخليل واستناداً إلى قرار مجلس الأمن الرقم ٩٠٤ اتفق الوفدان الإسرائيلى والفلسطينى على اتخاذ الاجراءات المنصوص عليها فى هذا الاتفاق .

يمجد التوقيع على هذا الإتفاق يبدأ تطبيق بنوده فوراً وتستأنف مفاوضات غزة وأريحا كالتالى :

أ - وجود دولى مؤقت فى مدينة الخليل :

١ - بعد الوضع الاست ، الذى ساد مدينة الخليل إثر المجزرة سيتم نشر قوة دولية مؤقتة فى مدينة

- الخليل كما تنص الفقرة أ. ٣. الواردة أدناه . وستساهم هذه القوة في إرساء الاستقرار في المدينة وتعبئة الجهود لإعادة الحياة إلى مجراها الطبيعي في مدينة الخليل وبالتالي خلق شعور بالأمان لدى الفلسطينيين في هذه المدينة .
- ٢ - سيطلب الطرفان من الدول المانحة مشاركة ١٦٠ عنصراً من النرويج والدنمارك وإيطاليا في تشكيل هذه القوة . وستكون مؤلفة من مراقبين ميدانيين وموظفين وعاملين كما تم الاتفاق عليه . ويجوز إدخال تعديلات على تشكيل هذه القوة من قبل الدول المشاركة بموافقة الطرفين المعنيين . ولن تقوم هذه القوة بأى مهام عسكرية أو بمهام الشرطة .
- ٣ - وستقتصر مهام القوة الدولية المؤقتة في الخليل على ما يلي :
- أ - منح الفلسطينيين عبر انتشارهم شعوراً بالأمان في الخليل .
- ب - المساهمة في إرساء الاستقرار والمناخ الملائم لتحسين ظروف معيشة الفلسطينيين وتنميتهم الاقتصادية .
- ج - تعبئة الجهود لضمان أمن الفلسطينيين ومعالجة الأحداث المتعلقة بذلك وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي في مدينة الخليل .
- د - رفع التقارير كما تنص عليه الفقرة (٥) .
- ٤ - بغية تسهيل مهام القوة الدولية المؤقتة في الخليل سيتم اختيار مبنى في مدينة الخليل لاتخاذ مقرّاً لهذه القوة .
- ٥ - إن القوة الدولية المؤقتة في الخليل سترفع تقاريرها إلى :
- أ - في الحالات الناشئة عن أحداث محددة إلى : لجنة مشتركة في الخليل مؤلفة من ممثلين عن كل جانب . سيكون كبير ممثلي الفلسطينيين رئيس بلدية الخليل وكبير الممثلين الاسرائيليين رئيس الإدارة المدنية في منطقة الخليل . وسيطلب من ممثل القوة الدولية المؤقتة في الخليل المشاركة في اجتماعات تعقدها اللجنة المشتركة في الخليل مرتين كل أسبوع لرفع التقارير المتعلقة بنشاطات هذه القوة .
- ب - في شكل دورى : إلى لجنة الارتباط الفلسطينية - الإسرائيلية التي نص إعلان المبادئ على تشكيلها . علاوة على ذلك سترفع القوة الدولية المؤقتة في الخليل بانتظام تقاريرها إلى رئيس لجنة الارتباط للدول المانحة التي شكلت لهذا الغرض .
- ٦ - وسترتدى عناصر هذه القوة بزات خاصة تحمل شعاراً خاصاً اتفق عليه الطرفان وستحمل سياراتهم الشعار ذاته ويجوز أن تحمل عناصر هذه القوة مسدسات بهدف الدفاع عن النفس .
- ٧ - يتمتع المراقبون والموظفون الدوليون في الخليل بحرية الحركة بهدف تنفيذ مهامهم داخل مدينة الخليل . ولا تخضع هذه الحرية لأية قيود إلا لدواعٍ عسكرية قاهرة وذلك كتدابير استثنائية مؤقتة .
- ٨ - يضع المراقبون والموظفون الدوليون في الخليل ترتيبات وجودهم ونشاطهم بالاتفاق بين الطرفين مع مراعاة المهام المنصوص عليها آنفاً .

- ٩ - تتحمل البلاد المانحة تكاليف المراقبين والموظفين الدوليين فى التحليل .
- ١٠ - للمراقبين والموظفين الدوليين البدء فى العمل فور توقيع هذا الاتفاق ويستمررون فى العمل فور توقيع هذا الاتفاق ويستمررون فى العمل لمدة ثلاثة أشهر . ولهم تمديد هذه الفترة أو تغيير نطاق عملياتهم على النحو الذى يتفق عليه وبموافقة الطرفين .
- ب - مفاوضات غزة وأريحا**
- ١ - تستأنف مفاوضات غزة وأريحا فى القاهرة يوم الخميس ٣١ آذار (مارس) ١٩٩٤ ويتم دفع عجلة هذه المفاوضات بهدف تعويض الوقت الضائع .
- ٢ - توافق إسرائيل على اختصار الجدول الزمنى للانسحاب والتعجيل بالانسحاب على ضوء المواعيد المنصوص عليها فى إعلان المبادئ .
- ٣ - تبدأ مفاوضات نقل السلطة المدنية بمجرد إبرام اتفاق غزة وأريحا وسيستكشف الجانبان إمكان توسيع نطاق هذه المفاوضات إلى ما هو أوسع من المجالات الخمسة المحددة حتى الآن .
- ٤ - يكثف الطرفان المفاوضات فى شأن الترتيبات الانتقالية بما ينسجم مع إعلان المبادئ وعلى ضوء الموعد المنصوص عليه .
- ٥ - يكرر الطرفان تعهدهما بالبدء فى المفاوضات فى شأن الوضع الدائم فى أقرب وقت ممكن بحيث لا يجاوز بدء السنة الثالثة من المرحلة الانتقالية حسبما تنص المادة الخامسة من إعلان المبادئ .
- ٦ - يبدأ الانتشار التدريجى لرجال الشرطة الفلسطينيين فى غزة وأريحا بعد أسبوع من استئناف مفاوضات غزة وأريحا بهدف البدء فى الاستعدادات لممارسة السلطات والمسؤوليات على النحو الذى يتفق عليه الطرفان .
- الميجور جنرال أمنون ليبكين شاحاك ، الدكتور نبيل شعث «

وثيقة رقم ٩

النص الحرفى لاتفاق القاهرة :

أمن الحدود والمستوطنات لإسرائيل

فى ما يأتى ترجمة غير رسمية للنص الحرفى لاتفاق القاهرة الذى وقعه الرئيس ياسر عرفات ووزير الخارجية الاسرائيلى شمعون بيريز فى شأن التدابير الأمنية فى غزة وأريحا :

منطقة أريحا

- ١ - تحدد مساحة منطقة أريحا وفق الخريطة المتفق عليها المرفقة بهذا الاتفاق .
- ٢ - بالإضافة إلى ذلك ومع اعتبارها خارج نطاق منطقة أريحا :

أ) يوضع مقام النبی موسى تحت الإشراف الفلسطيني للغايات الدينية إلى حين البدء بتنفيذ الاتفاق المرحلي .

ب) يحق للفلسطينيين زيارة المغطس تحت العلم الفلسطيني لمناسبة الاحتفالات الدينية التي تقام ثلاث مرات في السنة ولمناسبات خاصة أخرى يتم التنسيق في شأنها مع السلطات الاسرائيلية .

ج) تحدد مواقع إقامة المشاريع الفلسطينية الخاصة والمشاريع المشتركة المنصوص عنها في إعلان المبادئ على ضفة البحر الميت كما ينص إعلان المبادئ .

د) تؤمن سلامة العبور للأسباب المذكورة من منطقة أريحا إلى النبی موسى والمغطس ومواقع المشاريع والشركات المشتركة المحددة مواقعها على ضفة البحر الميت وفق ما ورد في الفقرة السابقة (ج) . وستشكل تفاصيل التدابير الأمنية المتعلقة بسلامة العبور جزءاً من اتفاق غزة - أريحا .

٣ - توضع الطرقات الداخلية في مدينة أريحا تحت الإشراف الفلسطيني . ويمكن تسيير دوريات مشتركة بقيادة مركبات فلسطينية على الطرقات الرئيسية ، وسيجرى التفاوض في طابا على موضوع العوجه وطرقاتها في القريب العاجل .

٤ - توضع الشئون الدينية في كنيس شالوم ال إسرائيل في أريحا تحت إشراف السلطة الإسرائيلية .

قطاع غزة

١ - توضع تحت إشراف السلطات الاسرائيلية خلال المرحلة الانتقالية ووفق ما نص إعلان المبادئ مستوطنات غوش قطيف واريترز والمستوطنات الأخرى في قطاع غزة بالإضافة إلى المنشآت العسكرية الإسرائيلية على طول حدود قطاع غزة مع مصر ، المشار إليها في الخريطة المرفقة، وتوزع المسؤوليات في المناطق المشار إليها باللون الأصفر على الخريطة المرفقة ، ومن دون المساس بالسلطة الفلسطينية ، على النحو الآتي :

تتولى السلطات الاسرائيلية المسؤولية الرئيسية والسلطة في الشئون الأمنية ، وتتولى السلطات الفلسطينية المسؤولية والسلطة في الشئون المدنية المنصوص عليها في اتفاق غزة - أريحا ويقوم في هذه المناطق المحددة باللون الأصفر على الخريطة المرفقة تعاون وتنسيق في الشئون الأمنية ، بما في ذلك تسيير دوريات مشتركة كما ورد سابقاً . ويتم البحث في أي تعديل محتمل للمناطق المشار إليها باللون الأصفر جنوب المنطقة الأمنية في إطار مفاوضات طابا .

٢ - وفقاً لإعلان المبادئ ومن دون المساس بالسلطة الفلسطينية :

أ) تتولى إسرائيل المسؤوليات الضرورية والسلطة لتنفيذ تدابير أمنية منفصلة ، بما في ذلك تسيير دوريات إسرائيلية على الطرق الجانبية الثلاثة التي ترتبط بين المستوطنات الإسرائيلية في قطاع غزة وبين إسرائيل ، أي طرقات كيسوفيم - غوش قطيف وطريق سوكا - غوش قطيف وطريق ناحال عوز - نيزاريم، وعلى الأقسام التي يرتبط بها الأمن على هذه الطرق .

ب) تسيير دوريات مشتركة فلسطينية - إسرائيلية على طول الطرق وعلى جوانب هذه الطرق

المرتبطة بها سلامة العبور، وتقود هذه الدوريات المركبات الإسرائيلية .
 ج (تعمل السلطات الإسرائيلية لدى تنفيذ عمليات التدخل المنفصلة في إطار منظور تسليم الشرطة الفلسطينية في أسرع وقت مهمة متابعة معالجة الحوادث الواقعة ضمن مسئوليات الفلسطينيين .
 د (تقام جسور على تقاطعات الطرق الجانبية والطريق الرئيسي الذي يربط الشمال بالجنوب .
 هـ (تتولى اللجنة المشتركة للتعاون والتنسيق الأمني بعد سنة من تاريخ إكمال انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة مراجعة هذه التدابير .

٣ - تبحث في مفاوضات طابا المسائل المتعلقة بتحديد المناطق .

مسائل أخرى

يتم البحث في اتفاق نقل السلطات بعد تنفيذ اتفاق غزة - أريحا . ويتم التفاوض في العاصمة الأمريكية واشنطن على المرحلة الانتقالية بما في ذلك التدابير المتعلقة بالانتخابات، وإعادة انتشار القوات في الضفة الغربية .

المعايير

١ - أحكام عامة

أ - تنظم هذه الوثيقة أحكام العبور على الحدود مع احتفاظ إسرائيل خلال المرحلة الانتقالية بمسئولية الأمن الخارجي بما في ذلك الأمن على طول الحدود مع مصر والأردن . وتهدف هذه الترتيبات إلى إيجاد آلية تسهل عملية دخول وخروج الأشخاص والسلع بما يعكس الواقع الجديد الناشئ عن إعلان المبادئ المشتركة الفلسطينية - الإسرائيلية مع ضمان الأمن للطرفين .
 ب - يعمل بالترتيبات المنصوص عليها في هذه الوثيقة على المعايير التالية :

(١) معبر جسر النبي

(٢) معبر رفح

ج - تعتمد الترتيبات ذاتها مع إدخال التعديلات اللازمة في المرافق المتفق عليها كالمرافق والمطارات ونقاط العبور الدولية الأخرى مثل جسر الملك عبد الله وجسر دامية .

د - يتعهد الطرفان ببذل كافة الجهود للحفاظ على كرامة الأشخاص الذين يجتازون هذه المعابر . وتستند الآلية التي ستعتمد إلى إجراءات سريعة وحديثة تحقق هذا الغرض .

هـ - يقام على كل معبر مركز حدودي واحد يتألف من جناحين، يسلك الفلسطينيون المقيمون في قطاع غزة والضفة الغربية وزوار هاتين المنطقتين الجناح الأول (ويطلق عليه اسم الجناح الفلسطيني) .

ويسلك الاسرائيليون وغيرهم الجناح الثاني (ويطلق عليه اسم الجناح الاسرائيلي) وتقام منطقة تفتيش فلسطينية مغلقة أيضاً كما سيرد لاحقاً .

و - تطبق تدابير خاصة بالشخصيات المهمة التي تسلك الجناح الفلسطيني وسيحدد مكتب الارتباط الذي سيتم انشاؤه وفقاً للفقرة الخامسة طبيعة ونطاق هذه الترتيبات الخاصة .

٢ - مراقبة المعابر وإدارتها :

- أولاً - تستخدم فى هذه الوثيقة عبارة "الممر" للدلالة على المنطقة الممتدة من حاجز العبور عند الحدود المصرية أو عند جسر اللبى إلى نقطة العبور والمركز الحدودى المقام فيها أى :
- (١) - المنطقة الممتدة من المركز الحدودى إلى منطقة أريحا فى ما يتعلق بجسر اللبى .
- (٢) - المنطقة الممتدة من المركز الحدودى إلى أقصى حدود الوجود العسكرى الاسرائيلى على طول الحدود المصرية فى ما يتعلق بمعبر رفح .

ثانياً :

- (١) - تتولى إسرائيل مسؤولية الأمن على الممر بما فى ذلك المركز الحدودى .
- (٢) - يتولى مدير عام إسرائيلى مسؤولية إدارة المركز الحدودى وأمنه .
- (٣) - يساعد المدير العام نائبان يرفعان إليه التقارير :
- أ - نائب اسرائيلى لإدارة الجناح الاسرائيلى وتكون اسرائيل وحدها مسؤولة عن إدارة هذا الجناح
- ب - نائب فلسطينى لإدارة الجناح الفلسطينى تعيينه السلطة الفلسطينية .
- (٤) يعاون كلاً من نائبى المدير العام مساعد للشؤون الأمنية وآخر للشؤون الادارية وتحدد مهام كل من النائبين الفلسطينيين للشؤون الأمنية والشؤون الادارية فى مفاوضات بين الطرفين فى طابا .
- (٥) يعتمد الطرفان أقصى درجات التنسيق بينهما بشأن المسائل ذات الاهتمام المشترك .
- (٦) يواصل المدير العام التعامل مع متعهدين فلسطينيين لتأمين خدمات النقل باليافعات وخدمات ادارية ولوجستية أخرى .
- (٧) يحمل رجال الشرطة الفلسطينيون فى المركز الحدودى اسلحه فردية ويتم تحديد مواقع انتشارهم فى مفاوضات طابا ولن يحمل الرسميون الفلسطينيون الآخرون الموجودون فى المركز الحدودى أى سلاح .
- (٨) - يتم فى مفاوضات طابا تحديد التفاصيل المتعلقة بالادارة والأمن ومكتب الارتباط .
- (٩) يعمل الطرفان فى مفاوضات طابا على إيجاد ترتيبات اضافية بالنسبة إلى المركز الحدودى فى رفح .
- (١٠) يقوم الطرفان بمراجعة هذه التدابير بعد عام .

ثالثاً :

- تظل الترتيبات والتدابير المعمول بها حالياً خارج المركز الحدودى سارية المفعول على طول الممر باستثناء الترتيبات المنصوص عليها فى هذه الوثيقة .

رابعاً :

- (أ) ما أن يعبر المسافرون الواقدون المركز الحدودى يمكنهم مواصلة طريقهم باتجاه قطاع غزة أو أريحا من دون تدخل من جانب السلطات الاسرائيلية (معبر آمن) .
- (ب) - يمكن للمسافرين الخارجين التوجه إلى المركز الحدودى من دون أى تدخل من جانب السلطات الاسرائيلية وبعد عملية تدقيق مشتركة يتم خلالها التثبت من حيازته الوثائق اللازمة للخروج من المنطقة إلى الأردن أو مصر وفق ما تنص عليه هذه الوثيقة .

٢-١٠٠) إجراءات الدخول من مصر والاردن عبر الجناح الفلسطيني :

- أ - برفع العام الفلسطيني على مدخل الجناح الفلسطيني .
- ب - ويحدد المسافرون قبل دخول الجناح الفلسطيني امتعتهم الخاصة ثم توضع هذه الامتعة على سكة نقل خاصة ويمكن لكل طرف تفتيش هذه الامتعة في نقاط تفتيش خاصة به مستخدماً طاقمه الخاص كما يمكن ان عند الاقتضاء تفتيش هذه الامتعة بحضور صاحبها وشرطى فلسطيني .
- ج - وير المسافرون عبر الجناح الفلسطيني على بوابة الكترونية . ويتخذ شرطيان فلسطيني واسرائيلي مراكز لهما على جانبي البوابة . ويحق لكل منهما في حال الاشتباه طلب إجراء تفتيش جسدي في غرفة تفتيش محايدة للبوابة . ويقوم شرطى فلسطيني بتفتيش المسافرين بحضور شرطى اسرائيلي ويمكن أيضاً تفتيش أمتعة المسافر في الغرفة المشار إليها سابقاً .
- د - يسلك المسافرون عبر الجناح الفلسطيني بعد استكمال المراحل المذكورة أعلاه واحداً من ثلاثة خطوط للتأقبيق في هوياتهم ووثائقهم وتعتمد على هذا الصعيد التدابير التالية :
 - ١ - يستخدم اسم الفلسطينيين سكان قطاع غزة ومنطقة أريحا الخط الأول . يمر هؤلاء المسافرون عبر مركز مراقبة فلسطيني ويجرى ضابط اسرائيلي بصورة غير مباشرة عملية تدقيق وثائقهم بصورة غير ظاهرة .
 - ٢ - يستخدم الفلسطينيون سكان الضفة الغربية الآخرون الخط الثاني . ويمر هؤلاء المسافرون أولاً عبر مركز مراقبة فلسطيني للتدقيق في هوياتهم ووثائقهم ثم يمرّون عبر مركز مراقبة اسرائيلي للتدقيق في هوياتهم ووثائقهم ، يفصل بين مركزي المراقبة الاسرائيلي والفلسطيني حائط زجاجي وباب دوار .
 - ٣ - يستخدم زائرو قطاع غزة والضفة الغربية الخط الثالث وتعتمد على هذا الخط التدابير المشار إليها في الفقرة ٢ أعلاه ولكن يتوجب عليهم المرور أولاً عبر مركز المراقبة الاسرائيلي قبل المرور عبر مركز المراقبة الفلسطيني .
- هـ - يمكن لكل طرف في حالة الاشتباه بأحد المسافرين الذين يعبرون أى خط من الخطوط الثلاثة أعلاه استجواب هذا المسافر في غرفة التفتيش الخاصة به وحالات الاشتباه التي تستدعي الاستجواب في غرفة التفتيش هي التالية :
 - ١ - أن يكون المسافر المعنى متورطاً بشكل مباشر أو غير مباشر بنشاط اجرامي أو بالتخطيط لنشاط اجرامي أو متورط بنشاط ارهابي أو بالتخطيط لنشاط ارهابي ولا تنطبق عليه احكام لقرات العفو المنصوص عليها في هذه الوثيقة .
 - ٢ - أن يكون المسافر حاملاً سلاحاً ومتفجرات أو أدوات مشابهة .
 - ٣ - أن يكون حاملاً وثائق مزيفة أو غير صالحة أو أن تكون المعلومات الواردة في هذه الوثائق غير متطابقة مع تلك التي تتضمنها سجلات الأحوال الشخصية (المقيمين) أو في المستندات الخاصة

بالتأثيرين - ويتم استجواب المسافرين في غرفة التدقيق إذا تعذر رفع الشبهات المتعلقة بعدم تطابق الوثائق خلال التدقيق في مركز المراقبة .

٤ - أن تبذر عن المسافرين تصرفات تثير الشكوك خلال عبور المركز الحدودي .

وفي حال تعذر رفع الشبهات في نهاية الاستجواب يمكن توقيف المسافر بعد إبلاغ الطرف الآخر بالأمر وإذا عمد الجانب الاسرائيلي إلى توقيف فلسطيني مشتبه فيه يطلب من شرطى فلسطيني مقابلة الموقوف ويتم التعامل مع الموقوف بعد إبلاغ مكتب الارتباط بالمسألة وفق احكام الوثيقة المرفقة الثالثة (بروتوكول الترتيبات القانونية بشأن القضايا الاجرامية) .
ويحق لكل طرف داخل الجناح الفلسطيني أن يمنع دخول أشخاص غير مقيمين في قطاع غزة والضفة الغربية .

وتشمل عبارة "مقيمون في قطاع غزة والضفة الغربية" في هذا الاتفاق الأشخاص الذين كانوا مسجلين لدى دخول الاتفاق حيز التنفيذ كمقيمين في هاتين المنطقتين في سجلات الأحوال الشخصية التي تشرف عليها الادارة العسكرية في قطاع غزة والضفة الغربية كما تشمل الأشخاص الذين حصلوا على اجازات اقامة دائمة في هاتين المنطقتين في وقت لاحق بموافقة اسرائيل وفق ما ورد في الاتفاق .

ز - بعد اتمام المعاملات المشار اليها أعلاه ، يجمع المسافرين امتعتهم ويتوجهون إلى قسم الجمارك (بتم الاتفاق على الاجراءات الخاصة بذلك خلال مفاوضات في باريس) .

ح - يمنح الجانب الفلسطيني المسافرين الذين تمت الموافقة على دخولهم اذونات بالدخول بمهورة بختم الجانب الفلسطيني ومرفقة بوثائقهم .

وبنهاية عملية التدقيق المباشر وغير المباشر بوثائق وهوية المسافرين عبر الخط الأول يمنحه المسؤول الفلسطيني بعد ختم اذن الدخول الخاص به بطاقة بيضاء صادرة عن المسؤول الاسرائيلي ويقوم مسؤول فلسطيني يتخذ مركزا له عند مخرج الجناح الفلسطيني بالتأكد من أن المسافر يحمل هذه البطاقة البيضاء ويقوم المسؤول بجمع هذه البطاقات تحت مراقبة اسرائيلية غير مباشرة وغير ظاهرة .

يمنح المسؤول الاسرائيلي المسافرين الذين يرون عبر الخطين الثاني والثالث بطاقات زرقاء بعد التدقيق بوثائق سفرهم وهوياتهم والتأكد من اذونات دخولهم ويعمد مسؤولان اسرائيلى وفلسطينى يتخذان لهما مراكز عند مخرج الجناح الفلسطيني إلى التدقيق بهذه البطاقات الزرقاء وجمعها ويدقق مسؤولون اسرائيليون وفلسطينيون بالبطاقات البيضاء والزرقاء التي تم جمعها .

وفي حال منع أحد الطرفين دخول مسافر لا يحمل اجازة اقامة تتم مرافقة المسافر إلى خارج نقطة مركز العبور وإعادته إلى الاردن أو مصر بعد إبلاغ الطرف الآخر .

٤ - ترتيبات الخروج من الجناح الفلسطيني إلى مصر والاردن

يدخل المسافرون المتوجهون إلى مصر والاردن مركز الحدود من دون امتعتهم، وتعتمد بعد ذلك الترتيبات

ذاتها المشار إليها في الفقرة (٣) أعلاه ولكن مع عكس أولوية المرور على مركزى التفتيش الاسرائيلى والفلسطينى .

٥ - مكتب الارتباط

أ - يُنشأ مكتب ارتباط على كل معبر للبت بالمسائل المتعلقة بالمسافرين الذين يعبرون الجناح الفلسطينى وللمعالجة المسائل التى تتطلب تنسيقاً والخلاقات حول تطبيق هذه الترتيبات يعالج المكتب أيضاً الحوادث من دون المساس بمسؤولية اسرائيل عن الأمن .
ب - يتألف هذا المكتب من العدد ذاته من الممثلين لكل جانب ويتخذ مقراراً له فى مكان محدد داخل كل مركز حدودى .

ج - يلحق هذا المكتب بلجنة الشؤون المدنية ومكتب التعاون والتنسيق الاقليمى المرتبط بها .

٦ - أحكام متفرقة

أ - يتفق الطرفان على ترتيبات خاصة فى ما يتعلق بنقل السلع وعبرو الباصات والشاحنات والسيارات الخاصة ويستمر العمل بالترتيبات المطبقة حالياً إلى حين التوصل إلى اتفاق بشأن الترتيبات الخاصة .
ب - تسعى اسرائيل إلى التغييرات الهيكلية على المركزين الحدوديين عند معبرى رفح وجسر اللنبي فى موعد اقصاه اقام انسحاب الجيش الاسرائيلى من قطاع غزة ومنطقة أريحا .
وفى حال عدم اتمام هذه التغييرات الهيكلية مع حلول هذا الموعد تطبق الترتيبات المنصوص عليها فى هذه الوثيقة باستثناء الترتيبات التى لا يمكن تطبيقها من دون التغييرات الهيكلية المطلوبة .
ج - يتطلب مرور سكان قطاع غزة عبر المراكز الحدودية المؤدية إلى داخل المنطقتين وخارجهما إبراز الوثائق المفصلة فى (النص المرفق الذى وضعته اللجنة المدنية) . ويانتظر تطبيق اتفاق المرحلة الانتقالية يستمر سكان الضفة الغربية الآخرون فى استعمال الوثائق الحالية الصادرة عن الادارة العسكرية والادارة المدنية المرتبطة بها .

د - يسمح للزوار الوافدين إلى قطاع غزة ومنطقة أريحا الإقامة فى هاتين المنطقتين لمدة اقصاها ثلاثة أشهر بعد الحصول على إذن من السلطة الفلسطينية وبموافقة اسرائيل . ويمكن للسلطة الفلسطينية بعد انقضاء مهلة الثلاثة أشهر تمديد تمديد هذه الإقامة لمدة ثلاثة أشهر أخرى على أن تحيط اسرائيل علماً بهذا التمديد . يجب أن يحظى أى تمديد آخر بموافقة إسرائيل ويمكن بحث الطلب الفلسطينى بجعل مدة الإقامة لمدة أربعة أشهر قابلة للتمديد لأربعة أشهر أخرى فى المستقبل القريب فى اطار مفاوضات طابا .

هـ - تسهر السلطة الفلسطينية على الا تتجاوز مدة اقامة الزوار المشار اليهم فى الفقرة (د) المدة المحددة أو التمديد الموافق عليه .

الاتفاق التنفيذي للحكم الذاتي حسب اعلان المبادئ الموقع في اوسلو.

وقع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الحكومة الاسرائيلية اسحق رابين ظهر امس اتفاق تنفيذ الحكم الذاتى لاتفاق غزة - اريحا لبدء أول خطوة نحو قيام أول كيان فلسطينى على الارض الفلسطينية. وكان الاحتفال بالتوقيع بدأ فى الساعة الحادية عشرة والنصف بتوقيت القاهرة فى قاعه (خوفو) كبرى قاعات مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات فى ضاحية مدينة نصر شرق القاهرة . وتوسط الرئيس المصرى حسنى مبارك الرئيس الفلسطينى عرفات ورئيس الحكومة الاسرائيلية رابين وحولهما وزير الخارجية الاميركى وارن كريستوفر والروسى اندريه كوزيريف

كما دخل القاعة معهم السيد محمود عباس (ابو مازن) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وشمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلى والسيد عمرو موسى وزير الخارجية المصرى . وألقى الرئيس المصرى حسنى مبارك كلمة قبيل التوقيع على الاتفاق استمرت ٢٠ دقيقة . تلاه وزير الخارجية الاميركى . وأعقبه أندريه كوزيريف . ثم ألقى السيد محمود عباس (ابو مازن) كلمة . وبعد أن انتهى منها . أعلن أن الرئيس عرفات سيقبلى كلمة بعد استراحة قصيرة يجرى خلالها مفاوضات لحل مشكلة مساحة أريحا ، وبعد أقل من خمس دقائق عاد الرئيس المصرى وبصحبه الرئيس عرفات ورابين وكريستوفر وكوزيريف و"ابو مازن" ووقع عرفات على ملحق الخرائط المرفقة بالاتفاق والتي كان قد رفض التوقيع عليها من قبل ، وظهر الارتياح على وجوه جميع الحاضرين .

غير أن عرفات كتب تحفظا على الخريطة فى أعقاب توقيعها على ملحق الخرائط ثم قام رابين بقراءة تحفظات الرئيس الفلسطينى بواسطة احد المترجمين وبعد ذلك وقع ملحق الخرائط الخاصة بأريحا من دون تسجيل أى تحفظات وصافح عرفات بعد التوقيع . وألقى بيريز كلمة باللغة الانكليزية بعد التوقيع - اعتذر فى بدايتها مرتجلا - عن توقف المشاورات لبعض الوقت ، قائلا " ان المفاوضات استمروا فى عملهم حتى الفجر وكانت مفاوضات شاقة " وخاطب عرفات قائلا : " سيدى الرئيس لقد فعلناها وتوصلنا إلى اتفاق " . ثم ألقى الرئيس ياسر عرفات كلمة . وارتجل رابين بعده كلمة . ثم تحدث بكلمة مكتوبة باللغة العبرية إلى شعب اسرائيل .

مقتطفات من كلمة الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات

"بسم الله الرحمن الرحيم

" ونريد أن فمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ..."

(صدق الله العظيم)

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الشقيقة ، السيد كريستوفر السيد كوزيريف ، السيد رئيس الوزراء الإسرائيلى السيد رابين ، السيد وزير الخارجية الاسرائيلى شمعون بيريز ،

أخى هـالى وزير الخارجية المصرية عمرو موسى

...إن شعبنا اليوم فى الضفة الغربية وغزة والقدس الشريف وفى جميع أماكن اللجوء والشتات يتطلع إلى دوركم أكثر من أى وقت مضى حتى تصبح هذه الخطوة الأولى فى غزة وأريحا فى البداية الحقيقية لإكمال مسيرة السلام وضمان الحقوق المشروعة لشعبنا الفلسطينى وتحقيق العدل والمساواة لإنهاء الاحتلال لأرضنا الفلسطينىة وبناء المستقبل الفلسطينى القائم على الديمقراطية والتنمية والتقدم والمربط بتراث أمتة العربية المهيبة . إن هذا اليوم أيها الاخوة هو يوم لكل أشقائنا الذين ساهموا فى صنعنا لأخينا زين العابدين بن على ورئيس تونس الخضراء الذى وفر لقيادة الشعب الفلسطينى كل الإمكانيات ليصل إلى حقوقه وهو يوم لكل أشقائنا فى المغرب العربى الكبير وبخاصة لجلالة الملك الحسن الثانى ولجهوده الطيبة ولرئيس الاتحاد المغاربى الرئيس الجزائرى الأمين زروال وبقية الاخوة أعضاء الاتحاد المغاربى ، كما انه يوم لأشقائنا فى الخليج العربى وأخص بالذكر دور خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد ولكل أشقائه من قادة دول الخليج .

إن طائرات المملكة العربية السعودية تنقل اليوم أبناء فلسطين من قوات الأمن الفلسطينى العائدة إلى الوطن تأكيداً على الدعم المستمر والاخوة التى لا تنفصم عراها ، إن شاء الله . وفى هذا اليوم كذلك أتوجه بالتحية إلى الاردن الشقيق إلى جلالة الملك الحسين وحكومة وشعب الاردن الذى يرتبط معنا بمصير مشترك ومستقبل واعد بإذن الله .

كما أعبر فى هذا اليوم لأشقائنا فى سورية الرئيس الأسد وفى لبنان الرئيس الياس الهراوى عن الثقة بأن روابط المصير بيننا سوف تتعزز لأننا ننتقل من قاعدة وأسخة لان السلام لن يكون عادلاً إلا إذا كان شاملاً . إن السلام سوف يعم منطقنا عندما تطبق قرارات الشرعية الدولية على كل الجبهات العربية وتنتهى عهد الاحتلال وتنتهى عهد الحروب والعنف ، وأوجه التحية للاخوة فى اليمن والسودان والعراق وليبيا لاحتضانهم اخوانهم الفلسطينين منذ الخروج من بيروت .

السيدات والسادة : اننا نوقع اليوم على خطوة البداية وهى خطوة ترتبط بخطوات اخرى فى الضفة الغربية خلال الاشهر المقبلة القادمة كى يستطيع شعبنا للمرة الاولى ان يرى أمامه الأفق الحقيقى لإقامة السلام العادل.

ان الانسحاب من غزة وأريحا هو المقدمة التى تفتح الباب نحو إزالة الاحتلال بأكمله وإقامة علاقات جديدة بين شعبينا يا سيادة رئيس الوزراء وأبين بين شعبينا الاسرائيلى والفلسطينى بل من أجل أطفالنا وأطفالكم ، وإذا كانت هذه الخطوة تحتاج إلى شجاعة جبارة لإتمامها بعد عهد طويلة من الحروب والعنف فان الخطوات القادمة تحتاج إلى شجاعة أكبر وإلى رؤية عميقة وبعد نظر حقيقى حتى نقيم سلاماً راسخاً لا يتزعزع، سلام الشجعان . لقد عاش شعب فلسطين فوق أرضه خلال جميع مراحل التاريخ وساهم فى صنع الحضارة الانسانية وفى إعلاء صوت السلام صوت الإله الواحد القهار والمخالق الواحد إله الكون وإله الديانات السماوية الثلاثة للتسبيح بحمده وقضله وباسمه فوق هذه الأرض المقدسة.

لقد قدمنا الكثير حتى نصل إلى هذا اليوم وتحملنا بصبر كل التعثر والشكوك واعتبرنا دائماً ان كل خطوة نخطوها فى مفاوضات السلام على الرغم من الآلام الماضى والحاضر هى خطوة نبعد بها عن عهد الحروب

وعهد العنف لتقترب من عهد المساواة فى الحقوق وتطبيق الشرعية الدولية .
وعلى الرغم من أننا نحتفل اليوم بالتوقيع على خطوة البداية لا بد أن ندرك جميعا بأن كل الحريصين على السلام بين فيهم شعبنا المقيم على أرضه وفى الشتات يقيس جدية هذه الخطوة بمقياس واحد وهو مقياس التنفيذ الدقيق والأمين والتقدير للواقع الفعلى القائم على الأرض .
إن من حق شعبنا ومن حق كل متطلع للسلام الحقيقى أن يؤكد أن كل اجراءات العزل لمدينة القدس الشريف وفصلها عن محيطها وحرمان الفلسطينيين من الدخول اليها وإلى أماكن العبادة المقدسة الاسلامية والمسيحية يعطل الحياة فيها ويشل اقتصادها ويفصل بين أبناء العائلة الواحدة .
إن ذلك كله لا ينسجم مع روح السلام العادل والحقيقى ومع نهج المساواة والعدالة وحقوق الانسان الذى نطمح إلى اعتماده كأساس لعلاقات حرة وإيجابية بين الشعبين الجارين كما قال السيد بيريز ، الفلسطينى والاسرائيلى ، ولا يمكن استمرار عذاب مدينة الخليل بعد المجزرة الدموية التى تعرضت لها وما تعانىة حتى اليوم من الحصار والتطويق فى داخلها وخارجها .
إن استمرار الاستيطان ومحاولة فرض الأمر الواقع فى القدس وفى مناطق أخرى يتعارض مع جوهر عملية السلام ونصوصها واهدافها القريبة والبعيدة ، إن شجاعة السلام تدفعنى اليوم إلى أن اعتمد نهج حراية السلام التى لا يمكن بدونها أن ينتهى عهد المواجهة وتدفع عهد التعاون والبناء الحقيقى . إن الشعوب العربية وملايين المسلمين والمسيحيين فى العالم سوف يرون خطواتنا العملية غدا حتى يحكموا على إمكانية التهايش وفتح صفحة جديدة من العلاقات الطبيعية .
إن جميع الذين يحرسون على نجاح تجربة السلام الفلسطينى - الاسرائيلى يدركون أهمية العقبات الكبيرة التى تواجه هذا السلام بما فيها الاستيطان وقضية اللاجئين والقدس الشريف وضرورة أن يتم حلها لاحقا كما اتفقنا على ما يخدم افتتاح عهد جديد لحماية مستقبل المنطقة بأسرها وضمان الانفتاح بين شعوبها ودولها عبر احترام قواعد ومقررات الشرعية الدولية .

وثيقة رقم ١١

نص كلمة رئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق رابين
فى الاحتفال الذى اقيم لتوقيع اتفاق تطبيق الحكم الذاتى الفلسطينى ،

"سيداتىوساداتى

احبى وزراء الخارجية والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والرجال الذين عملوا بجهد للوصول إلى ماتم التوقيع عليه فى هذه المرحلة بين اسرائيل والشعب الفلسطينى .
أود أولا أن اهنئ الرئيس حسنى مبارك بعيد ميلاده وسنتحاج إلى سنوات عدة للوصول إلى حكمته .
ولا أعرف كيف أقول ذلك وقد شاهدنا وشهدتم شهد العالم قمة جيل الجليد من المشكلات التى يجب أن نتغلب عليها فى تنفيذ حتى المرحلة الأولى من اعلان المبادئ ، ولنتغلب على أعوام من العدواة والريبة واراقة

الدماء وهذا ليس بالأمر الهين . ان هناك اتجاهات معارضة من الجانبين لما نفعله اليوم وسيتطلب ذلك الكثير لنتأكد أننا سننجز في تحقيق التعايش السلمى والوصول إلى حل دائم .
واليوم نحن نوقع على الاتفاق الأول ، غزة وأريحا ، وهى المرحلة الأولى للتنفيذ وهو مشروع جريء جدا ونحن ملتزمون بتوقيعه اليوم ولا بد أن نتأكد أنه سينجح وسيحقق أهدافنا وستتمكن من التغلب على كل هذه المشكلات .

لقد سمعنا كلمات جميلة كثيرة واسمحوا لى بعد أن تحدثت معكم أن أتحدث باللغة العبرية إلى شعب إسرائيل :

فى هذه الساعات الصعبة المخرجة أريد أن أوضح أن أمامنا هدفا ونحن استطعنا أن نتجاوز مشاكل التاريخ ويكفى أننا نضع نهاية دموع أسر الشكالى والأطفال . ونحن نوجه نداءنا لتحقيق السلام فى هذه اللحظة التاريخية أريد أن أعبر هنا عن هذه المشاعر بلغات عدة لنضع نهاية لهذه الموجة من البكاء ويجب أن نتطلع إلى الأمام إلى المستقبل الجديد .

فى ١٣ أيلول (سبتمبر) الماضى وقعنا فى البيت الابيض الاميركى على اعلان المبادئ لنخطو إلى الأمام وغدا سنبدأ فى تنفيذ اعلان المبادئ بين اسرائيل والفلسطينيين لنضع هذا الاتفاق اعتباراً من الغد موضع التنفيذ الكامل فى غزة وأريحا وهذا الهدف نضعه نصب أعيننا وسنسمح للسلطة الفلسطينية بأن تتولى إدارة شؤون الفلسطينيين وتطبق القانون والنظام العام فى قراها .

هدفنا الحقيقى أن نوفر الأمن للإسرائيليين وبخاصة فى أعقاب هذا التغيير الذى سيبدأ فى غزة وأريحا . ومن دون أن نكفل الأمن للإسرائيليين ومن دون أن نعطي الأمل الجديد للفلسطينيين لا يمكن أن نحقق هدف الاتفاق . إن هناك أمورا كثيرة مرتبطة بالفلسطينيين ونحن نخطو سويا فى طريقنا إلى السلام نخطو فى رغبة قوية أمامنا برغم الاحتمالات بأن هناك مصاعب ومخاوف ومع ذلك نحن على قناعة تامة بأن الشعبين سيستطيعان العيش فى سلام وأمن .

كما قال لنا الأنبياء هذه أرض اللبن والعسل ونحن بالفعل نستحق ان نعيش سويا .
وأنا أتوجه للشعب الفلسطينى وأقول له أنتم جيراننا أيها الفلسطينيون ولقد عبرت سنوات سفك الدماء وأنتم تربصتم بنا ونحن تربصنا بكم قتلنا منكم الكثيرين وأنتم كذلك وسقط الآلاف من بيننا والآلاف من بينكم سقطوا فى هذه المعارك والحروب وأنا أرى أن هذه المعارك هى علاقات طريق لتاريخ اليهود وللتاريخ الفلسطينى .

والآن أنتم تودون أن يتم السلام ونحن نبني سويا مسيرة جديدة والشعب فى اسرائيل ينتظر وأرجو ألا تخيبوا ظن الشعب فى اسرائيل فهذا أمر جديد . وهيا ننسى الماضى ونضع ستار عليه هيا ننسى رواسب الماضى ونصعد سويا من أجل بناء أفق جديد ومستقبل جديد كل حسب قدراته نبني تاريخا جديدا .
هذه فرصة لا يمكن أن تتكرر من أجل أن نقيم حياة جديدة . حياة ليس فيها خوف . حياة خالية من التوتر ومن العنف حياة خالية من أطفال فى حالة قلق وخوف . حياة خالية من الخوف والألم . حياة تساعدنا على إقامة العائلة والمنزل والوطن لنمضى سويا كل إلى جوار الآخر .

إننا جميعا نشعر بالأمل لنبدأ من الغد يوما جديدا إننا نمسك غدا بمشعل جديد يقودنا إلى حياة جديدة مستقبل كلا الشعبين .

وأنا أوجه الشكر لكل من ساعدنا في الوصول إلى هذا اليوم التاريخي . أوجه الشكر إلى المجتهد الذين حاربوا وآمل ألا يضطروا مرة أخرى إلى خوض حرب جديدة وأنتم كذلك أيضا .

أوجه الشكر إلى رئيس جمهورية مصر العربية قائد الدولة العربية الكبير الذي وضع حقيقة أن السلام يمكن تحقيقه والحفاظ عليه ويمكن أن يضم الشعوب معا .

واسمحوا لي أن أشكر وزير خارجية الولايات المتحدة وهو صديق عزيز لاسرائيل ووزير خارجية روسيا وممثل الترويج ولكل هؤلاء الذين ساعدونا .

لا حدود للرغبة الطيبة في أن تقيم تاريخا جديدا لكلا الشعبين اللذين عاشا على دمار الحروب . ونحن نتطلع اليوم إلى أن نعيش معا في منطقة غزة ومنطقة رفح وفي العفولة . لا بد أن نضع نهاية لأعمال العنف ونفتتح صفحة جديدة . لقد مرت عشرات السنين من الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي وملايين من الشهداء فقدوا حياتهم " .

وثيقة رقم ١٢

نص مشروع اعلان المبادئ المقترح

في ما يأتي ترجمة غير رسمية لنص مشروع اعلان المبادئ الذي اقترحتة الولايات المتحدة على الدول المشاركة في المفاوضات المتعددة :

"مع الأخذ في الاعتبار الحاجة الملحة إلى تحقيق تسوية سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط قائم على أساس قراري مجلس الأمن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨ وادراكا للإنجازات التاريخية منذ مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط الذي عقد في عام ١٩٩١ ، وتحديدأ اعلان المبادئ الفلسطيني - الاسرائيلي وجدول الأعمال المشترك بين الأردن واسرائيل ،

وادراكا بأن لجان العمل المنبثقة عن المفاوضات المتعددة الأطراف تكمل المفاوضات الثنائية وتساعد على تحسين المناخ لوضع حد للنزاع العربي - الاسرائيلي من خلال خلق فرص للتعاون الاقليمي في معالجة القضايا العملية والمهمة على مستوى المنطقة ،

وبالاتفاق على أنه ينبغي على كل الأطراف في المنطقة السعي من أجل الهدف المشترك بتحقيق علاقات كاملة ودائمة من السلام والمصالحة والصراحة والثقة المتبادلة والأمن والاستقرار والتعاون والتقدم الاقتصادي والاجتماعي في كل أنحاء المنطقة ،

ويعد مباشرة المفاوضات المتعددة الأطراف التي تهدف إلى :

* توفير رؤية للشرق الأوسط تخدم كدليل للخطوات التالية في العملية وتحدو شعوب المنطقة بالأمل

والثقة بتحسينات مادية فى حياتهم منبثقة من تحقيق تسوية سلام عادل ودائم وشامل .

* ترسيخ الحد من الأسلحة وترتيبات الأمن الإقليمى الهادفة إلى تحقيق أمن متكافئ للجميع بأقل مستوى ممكن من التسلح والقوات العسكرية .

* تخفيف مأساة النازحين بسبب النزاع العربى - الاسرائيلى ، مع التركيز على مشروعات ملموسة لتحسين الظروف المعيشية لكل اللاجئين الفلسطينيين .

وبانتظار تحقيق سلام شامل ، تهدف المتعددة إلى تعزيز التعاون الإقليمى والتنمية الاقتصادية بمشاركة اسرائيل والعرب من خلال مشروعات ملموسة تشارك فيها الأطراف فى المنطقة .

* تعزيز توفير المياه للسكان فى المنطقة بدعم التعاون بين الأطراف فى الأنشطة التى ستؤدى إلى استخدام أفضل للمصادر الموجودة وتعزيز الإمدادات .

* تحسين البيئة فى المنطقة من خلال تعزيز التعاون فى مجالات الادارة البيئية وتلوث البحار ونوعية المياه والصرف الصحى وادارة الأراضى البور والتصحر .

وإدراكاً بأن التحقيق الكامل للأهداف المتضمنة فى هذا الاعلان ستيسره مشاركة كل الأطراف الإقليمية فى المتعددة خصوصاً سورية ولبنان ، ويدعوة كل هذه الأطراف لتأييد المبادئ المتضمنة فى هذا الاعلان والانضمام إلى المفاوضات المتعددة الأطراف فى موعد مبكر ، تبنت لجنة التوجيه المنبثقة عن المفاوضات المتعددة الأطراف التالى :

* مبادئ أساسية تحكم العلاقات بين الأطراف الإقليمية فى منطقة الشرق الأوسط .

إن الأطراف الإقليمية فى الشرق الأوسط وفى سعيها نحو سلام عادل ودائم وشامل فى منطقة الشرق الأوسط ، وفى تطلعها نحو مستقبل زاهر يتنسّى لجميع شعوب المنطقة المشاركة فيه ، ستقيم علاقاتها وفقاً للمبادئ الأساسية التالية :

* احترام كل بنود قرارى مجلس الأمن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨ والاعتراف بها .

* احترام ميثاق الأمم المتحدة .

* احترام السيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى والاعتراف بذلك .

* التسوية السلمية للمنازعات .

* احترام حقوق الانسان .

* التعاون فى المجالات الوظيفية ذات الصلة .

* الوفاء بنزاهة بالالتزامات وفق احكام القانون الدولى .

* حرية الوصول إلى الدفق الحر من المعرفة والمعلومات عبر الحدود الوطنية .

* تشجيع الحريات الفردية والجماعية ، والمبادرة الفردية والابتكار لشعوب المنطقة والتعهد بالديموقراطية والتعددية .

* وجوب الاعتراف باقتصاديات السوق كحكم رئيسى على القرارات المتعلقة بحركة البضائع والخدمات والأفكار .

ارشادات عامة للمفاوضات المتعددة الأطراف فى عملية السلام

تهنت لجنة التوجيه الآتى كارشادات عامة للمفاوضات والعملية المتعددة الاطراف .
* كجزء من عملية السلام التى بدأت فى مدريد عام ١٩٩١ ، فإن على المحادثات المتعددة الأطراف أن تكمل وأن تخلق مناخاً مناسباً لتقدم المفاوضات الثنائية ويجب أن تتقدم مجموعات العمل حسب ايقاعها الخاص .

* على المفاوضات المتعددة الأطراف أن تركز على تخطيط مشروعات ملموسة وتنفيذها .
* على كل مجموعة أن تفكر وتنفذ مشروعات واضحة وملزمة تلبى حاجات شعوب المنطقة .
* يجب أن تسعى العملية المتعددة الأطراف إلى تنظيم وتنسيق تمويل المشروعات الإقليمية المتفق عليها .
* يجب جدولة وتنسيق أنشطة الفردية من أجل زيادة تأثيرها إلى الحد الأقصى والحد من عدم فاعليتها .
* على مجموعات العمل المتعددة الأطراف أن تفحص الوسائل لإشراك وتوسيع دور القطاع الخاص فى التعاون الإقليمى .

* يجب أن تبدأ العملية المتعددة الأطراف فى تطوير رؤية لما ستكون عليه المنطقة بعد تحقيق السلام فى المسار الثانى، بما فيها دراسة المؤسسات الإقليمية التى قد تحتاجها المنطقة وتطويرها .

بيانات النيات فى شأن أهداف معينة للمفاوضات المتعددة الأطراف :

فى سياق تحقيق مصالحه وسلام عادل وشامل ودائم تضع لجنة التوجيه ضمن أشياء أخرى الأهداف التالية لمجموعات العمل المنبثقة عن المفاوضات المتعددة الاطراف :

* الحد من التسلح والأمن الإقليمى : منع النزاعات الناجمة عن اساءة الفهم أو إساءة التقدير عن طريق تبني معايير بناء الثقة والأمن والحد من الإنفاق العسكرى فى المنطقة، وخفض المخزون من الأسلحة التقليدية ومنع سباق التسلح التقليدى، والتحرك باتجاه هياكل قوة لا تتجاوز الحاجات الدفاعية المشروعة، وإنشاء منطقة خالية من كل أسلحة الدمار الشامل،

* البيئة : تنفيذ المشروعات الإقليمية لمعالجة تلوث البحار ونوعية المياه والصرف الصحى وإدارة الأراضى البرية والتصحر، وإنشاء مؤسسات إقليمية لمعالجة القضايا البيئية .

* اللاجئون : تطوير مركز معلومات عن أعداد اللاجئين وتقدير التكاليف المطلوبة للحلول المختلفة فى خصوصهم، والسعى لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية من دون التعصب أو الحكم المسبق على المفاوضات السياسية .

* التنمية الاقتصادية الإقليمية : إزالة العوائق أمام التعامل الاقتصادى الحر (حركة البضائع ورأس المال وقوة العمل) عبر الحدود، وتطوير المصادر الاقتصادية والمشروعات على أسس إقليمية وإنشاء مناطق تجارة حرة ومؤسسات للتعاون الاقتصادى الإقليمى .

* المياه : تنفيذ برامج لتحسين حصول سكان المنطقة على كميات مناسبة من المياه الجيدة، بما فى ذلك بنك المعلومات الخاص بمصادر المياه الإقليمية، وبرامج التعاون للمحافظة على المياه وتعزيز المخزون منها وخطط إدارة المياه الإقليمية " .

وثيقة رقم ١٣

اعضاء السلطة الفلسطينية الاولى
لإدارة مناطق الحكم الذاتي في غزة وأريحا
وقد تم تشكيلها وعلانها يوم ١٩٩٤/٥/٧

نقلت وكالة "اسوشيتد برس" لائحة وزعتها منظمة التحرير في الأرض المحتلة للأسماء المرشحة للمشاركة في السلطة الوطنية وهي مقسمة بين ١١ من الخارج و١٣ من الداخل على الشكل الآتي :

- ١ - "ياسر عرفات" : رئيساً
- ٢ - "أحمد قريع" (أبو العلاء) الاقتصاد
- ٣ - "نبيل شعث" العلاقات الدبلوماسية
- ٤ - "ياسر عمرو" : التعليم .
- ٥ - "انتصار الوزير" (أم جهاد) الشؤون الاجتماعية .
- ٦ - "سمير غوشة" : من دون حقيبة .
- ٧ - "نصر يوسف" : الشرطة .
- ٨ - "عبد الله الافرنجي" : من دون حقيبة .
- ٩ - "ياسر عبد ربه" : الاعلام .
- ١٠ - "محمد زهدى النشاشيبي" : الشؤون الفلسطينية في الأردن .
- ١١ - "فيصل الحسيني" : شؤون القدس .
- ١٢ - "زكريا الأغا" : من دون حقيبة .
- ١٣ - "جميل الطريفي" : الشؤون المدنية .
- ١٤ - "عبد العزيز الحاج" : الصحة .
- ١٥ - "سمير عبد الله" : البنية التحتية والتنمية .
- ١٦ - "محمد أشتيه" : البنية التحتية والتنمية .
- ١٧ - "هشام عبد الرزاق" : من دون حقيبة .
- ١٨ - "ماهر المصرى" : من دون حقيبة .
- ١٩ - "ابراهيم شيعان" : الاسكان .
- ٢٠ - "جويد الغصين" : المال .
- ٢١ - "انطوان صنصور" : التعليم .
- ٢٢ - "قريع ابو مدين" : الشؤون القانونية .
- ٢٣ - "أحمد بيوض التميمي" : من دون حقيبة .
- ٢٤ - "عكرمة صبري" : الشؤون الدينية .

البروتوكول الاقتصادي التنفيذي الذي وقع في "باريس" نهاية أبريل ١٩٩٤ بين "أحمد قريع" مسؤول الاقتصاد الفلسطيني و "ابراهيم شوحاط" وزير المال الاسرائيلي .

وقع مدير الدائرة الاقتصادية لمنظمة التحرير الفلسطينية "أحمد قريع" (ابو علاء) ووزير المال الاسرائيلي "ابراهيم شوحاط" امس في باريس على بروتوكول يحدد اسس العلاقات الاقتصادية بين مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني واسرائيل :

مقدمة

ينظر الطرفان إلى الميدان الاقتصادي باعتباره أحد الأركان الأساسية في علاقاتهما المشتركة بقصد تعزيز اهتمامهما بتحقيق سلام عادل دائم وشامل وسيتعاون الطرفان في هذا المجال لإقامة قاعدة اقتصادية سليمة لهذه العلاقات التي ستخضع في الميادين الاقتصادية المختلفة لمبادئ الاحترام المتبادل للمصالح الاقتصادية لكل منهما وتبادل الامتيازات التجارية (reciprocity) والعدالة والانصاف .
يرسى هذا البروتوكول الأساس لتعزيز القاعدة الاقتصادية للجانب الفلسطيني وممارسته لحقه في اتخاذ القرار الاقتصادي وفقا لخطة التنمية الخاصة به وأولوياته . ويقر الطرفان بالروابط الاقتصادية لكل منهما مع أسواق أخرى وبالحاجة لإقامة بيئة اقتصادية أفضل لشعبيهما ومواطنيهما .

المادة الاولى

اطار ومدى هذا البروتوكول

١ - يشبث هذا البروتوكول الاتفاق التعاقدى الذى سينظم العلاقات الاقتصادية بين الطرفين وسيشمل الضفة الغربية وقطاع غزة أثناء الفترة المؤقتة . وسيجرى التنفيذ طبقا للمراحل التى تضمنها "اعلان المبادئ فى شأن ترتيبات الحكم الذاتى المؤقت" الموقع فى واشنطن فى ١٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٣ و"المحاضر الرسمية التى أقرت" (Agreed Minutes) . لذا سيبدأ فى قطاع غزة ومنطقة أريحا وفى مرحلة لاحقة سيطبق أيضاً على بقية الضفة الغربية وفقاً لشروط "الاتفاق المؤقت" (Interim Agreement) ولأى ترتيبات أخرى يتم الاتفاق عليها بين الطرفين .

٢ - سيدمج هذا البروتوكول، بما فى ذلك ملاحقه ، ضمن "الاتفاق على قطاع غزة ومنطقة أريحا" المشار إليه فى هذا البروتوكول بـ "الاتفاق" وسيصبح جزءاً منه ويتم تفسيره تبعاً لذلك وتشير هذه الفقرة فقط إلى قطاع غزة ومنطقة أريحا .

٣ - سيصبح هذا البروتوكول نافذ المفعول عند التوقيع على "الاتفاق" .

٤ - لأغراض هذا البروتوكول يعنى مصطلح "مناطق" المناطق التى تقع فى نطاق السلطة القضائية

لـ"الإدارة الفلسطينية" "palestinian Authority" طبقاً لشروط "الاتفاق" المتعلقة بالسلطة القضائية المحلية (territorial jurisdiction) ويمكن للسلطة القضائية الفلسطينية في الاتفاقات اللاحقة أن تشمل مناطق أو مجالات أو وظائف وفقاً لـ "الاتفاق المؤقت" لذا، لأغراض هذا البروتوكول، وحاشما ينطبق، سيُفسر مصطلح "مناطق" بكونه يعنى الوظائف والمجالات، تبعاً للحالة المعينة، مع التعديلات اللازمة .

المادة الثانية

اللجنة الاقتصادية المشتركة

- ١ - سيؤسس كلا الطرفين "لجنة اقتصادية مشتركة فلسطينية - اسرائيلية" (سيطلق عليها فى ما يأتى "الـجى إى سى") لتابعة تنفيذ هذا البروتوكول ولاتخاذ قرار فى شأن المشاكل المرتبطة به التى يمكن أن تنشأ من حين لآخر ويمكن لكل طرف أن يطلب مراجعة أى قضية متعلقة بهذا "الاتفاق" من قبل "الـجى إى سى" .
- ٢ - ستؤدى "الـجى إى سى" مهام اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي المشار إليها فى "الملحق الثالث" لـ "إعلان المبادئ" .
- ٣ - ستتألف "الـجى إى سى" من عدد متساو من الأعضاء عن كل طرف ويمكن أن تؤسس لجانا فرعية حسب ما تراه ضرورياً . إضافة إلى اللجان الفرعية المحددة فى هذا البروتوكول . ويمكن للجنة الفرعية أن تضم خبراء حسب الحاجة .
- ٤ - ستتوصل "الـجى . إي . سى" ولجانها الفرعية إلى قراراتها بالاتفاق وستضع قواعدها الاجرائية والإدارية، بما فى ذلك وتيرة ومكان أو أماكن اجتماعاتها .

المادة الثالثة

ضرائب الاستيراد وسياسة الاستيراد

- ١ - ستكون سياسات الاستيراد والجمارك لكلا الطرفين متوافقة مع المبادئ والترتيبات المفصلة فى هذه المادة.
- ٢ - (١) - ستملك "الإدارة الفلسطينية" كل الصلاحيات والمسؤوليات فى مجال سياسة وإجراءات الاستيراد والجمارك المتعلقة بما يأتى :
 - (١) السلع المدرجة فى القائمة "أى ١" (A1) . المرفقة بهذه الوثيقة باسم "الملحق ١" (Appendix 1)، المنتجة محلياً فى الاردن وفى مصر خصوصاً وفى بلدان عربية أخرى، التى سيتمكن الفلسطينيون من استيرادها بكميات متفق عليها من قبل الطرفين بما يلبي حاجات السوق الفلسطينية وفق التقديرات الواردة فى الفقرة (٣) أدناه .
 - (٢) السلع المدرجة فى القائمة (أى ٢) المرفقة بهذه الوثيقة باسم "الملحق ٢" من البلدان العربية والإسلامية وبلدان أخرى ، التى سيتمكن الفلسطينيون من استيرادها بكميات يتفق عليها من قبل الطرفين بما يلبي حاجات السوق الفلسطينية وفق التقديرات الواردة فى الفقرة (٣) أدناه .

(ب) ستتضمن سياسة الاستيراد التي تتبعها "الادارة الفلسطينية" بالنسبة للقائمتين "أي١" و"أي٢" أن تقرر في صورة مستقلة وتغير من حين لآخر رسوم الجمارك والضرائب الشرائية (purchases taxes) والضرائب التي تجبى (levies) والرسوم (excises) والرسوم (charges) الأخرى، وتنظيم الشروط الاساسية العامة وسيستند تقدير القيمة (valuation) لأغراض الجمارك إلى اتفاق الـ«غات» ١٩٩٤ إعتباراً من تاريخ العمل بها في إسرائيل . وإلى ذلك الحين تبعاً لنظام «بروكسيل لتحديد القيمة التقديرية» (بي.دي.في.) (Brussels Definition of Valuation) وسيقوم تصنيف السلع على مبادئ "النظام المتوافق لتوصيف وتشفير البضائع (the Harmonized Commodity Description and Coding System) بالنسبة للواردات المشار لها في المادة السابعة من هذا البروتوكول (الزراعة) ستطبق شروط هذه المادة .

٣ - لاغراض الفقرة ٢ (أ) أعلاه ستقدر حاجات السوق الفلسطينية من قبل لجنة فرعية مؤلفة من خبراء وستستند هذه التقديرات على أفضل معلومات متوافرة على صعيد المعدلات السابقة للاستهلاك والانتاج والاستثمار والتجارة الخارجية لـ"المناطق" وستقدم اللجنة الفرعية تقديرها في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ التوقيع على "الاتفاق" وستخضع هذه التقديرات لمراجعة (and updated) كل ستة أشهر من قبل اللجنة الفرعية، على أساس أحسن معلومات متوافرة بالنسبة لآخر فترة تتوافر فيها المعلومات المطلوبة، ويؤخذ في الاعتبار كل المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ذات الصلة .

وإلى حين التوصل إلى اتفاق في شأن حاجات السوق الفلسطينية ستعتمد كتقديرات أولية تقديرات الفترة السابقة التي أدخلت عليها تعديلات تأخذ بالاعتبار النمو السكاني والزيادة في صافي الدخل القومي للفرد (per GNP - capita) في الفترة السابقة .

٤ - ستملك "الادارة الفلسطينية كل الصلاحيات والمسؤوليات كي تقرر في صورة مستقلة وتغير من حين لآخر رسوم الجمارك والضرائب الشرائية (purchase taxes) والضرائب التي تجبى (levies) والرسوم (excises) والرسوم (charges) الأخرى على السلع المدرجة في القائمة "ب" المرفقة بهذه الوثيقة تحت اسم "الملحق ٣" التي تشمل مواد غذائية أساسية وبعلاً أخرى لبرنامج التنمية الاقتصادية الفلسطينية يستوردها الفلسطينيون لـ"المناطق" .

٥ - (أ) بالنسبة لكل السلع غير المحددة في القوائم "أ" و"ب" و"٢" و"ب" وبالنسبة للكميات التي تزيد على المستوى المحدد وفقاً للفقرتين ٢ (أ) و٣ أعلاه (التي يطلق عليها في ما يأتي - "الكميات" (Quantities) ستعتبر رسوم الجمارك والضرائب الشرائية (purchase taxes) والضرائب التي تجبى (levies) والرسوم (excises) والرسوم (charges) الأخرى السائدة في إسرائيل عند تاريخ توقيع "الاتفاق" بمثابة الحد الأدنى بالنسبة لـ"الادارة الفلسطينية" ويمكن لـ"الادارة الفلسطينية أن تقرر أي زيادات في الرسوم المفروضة على هذه السلع والكميات التي تزيد عن المستوى المحدد التي يستوردها فلسطينيون لـ"المناطق" .

(ب) بالنسبة لكل السلع غير المحددة في القائمتين (أ) و(١) و(٢) وبالنسبة للكميات التي تزيد عن "الكميات" ستستخدم إسرائيل و"الادارة الفلسطينية" لكل الواردات نظام الاستيراد نفسه ، كما

تنص عليه الفقرة ١٠ أدناه، بما فى ذلك (inter alia standards) ومنح الأذونات وبلد المنشأ وتقدير القيمة لأغراض الجمارك، وغيرها.

٦ - سيقوم كل طرف بإشعار الطرف الآخر فوراً بشأن التغييرات التى يجرىها فى الرسوم وفى أمور أخرى متعلقة بسياسة وضوابط وأجراءات الاستيراد ، التى يقرها ضمن صلاحياته ومسؤولياته كما هو مفصل فى هذه المادة . بالنسبة للتغييرات التى لا تستوجب التطبيق حال اتخاذ القرار ستكون هناك عملية من الإشعار المسبق والمشاورات المتبادلة التى ستأخذ فى الاعتبار كل الجوانب والمضامين الاقتصادية .

٧ - ستفرض "الادارة الفلسطينية" ضريبة القيمة المضافة بنسبة واحدة على السلع المنتجة محلياً والخدمات وعلى الواردات من قبل الفلسطينيين على السواء (بغض النظر عما إذا كانت مشمولة بالقوائم الثلاث المذكورة سابقاً) ، ويمكن أن تثبت بنسبة تتراوح من ١٥ فى المئة إلى ١٦ فى المئة .

٨ - ستخضع السلع المستوردة من الاردن ومصر وبلدان عربية أخرى وفق الفقرة ٢ (أ) (١) أعلاه (القائمة ١) لقواعد المنشأ المتفق عليها من قبل لجنة فرعية مشتركة فى غضون ثلاثة أشهر من تاريخ التوقيع على "الاتفاق" وإلى حين التوصل إلى اتفاق ستعتبر السلع "منتجة محلياً" فى أى من تلك البلدان إذا كانت متوافقة مع كل النقاط التالية :

أ - (١) أن تكون قد نشأت أو أنتجت أو صنعت كلياً فى ذلك البلد، أو تم تحويلها فعلياً هناك إلى سلع جديدة أو مختلفة ، ليكون لها اسم أو هوية أو استعمال جديد متميز عن السلع أو المواد التى حولت منها .

(٢) أن تكون استوردت مباشرة من البلد المذكور .

(٣) ألا تقل قيمة أو كلفة المواد المنتجة فى ذلك البلد، زائداً تكاليف التصنيع المباشر فيه عن ٣٠ فى المئة من القيمة التصديرية للسلع . يمكن مراجعة هذه النسبة من قبل اللجنة المشتركة المشار إليها فى الفقرة ١٦ بعد مرور سنة على توقيع "الاتفاق" .

(٤) أن ترفق السلع بشهادة منشأ معترف بها دولياً .

(٥) لن تعتبر أى سلع سلعاً جديدة أو مختلفة فعلياً ولن تعتبر أى مادة ذات محتوى محلى بمجرد خضوعها لعملية تجميع أو رزم بسيطة، أو تخفيفها بالماء أو بمواد أخرى ، مما لا يغير فى صورة أساسية خواص السلع المذكورة .

٩ - سيتمتع كل طرف المستوردين التابعين له أذونات استيراد طبقاً لمبادئ هذه المادة وسيكون مسؤولاً عن تطبيق متطلبات وإجراءات منح الأذونات السائدة فى وقت إصدار الأذونات . وسيتم التوصل إلى ترتيبات مشتركة لتبادل المعلومات المتعلقة بقضايا منح الأذونات .

١٠ - باستثناء المواد المدرجة فى القائمتين "أ" و"ب" والكميات المحددة لها ، التى تملك "الادارة الفلسطينية" كل الصلاحيات والمسؤوليات بشأنها سيحافظ كلا الطرفين على سياسة الاستيراد نفسها (باستثناء رسوم ضرائب الاستيراد والرسوم الأخرى بالنسبة للسلع المدرجة فى القائمة "ب") والضوابط بما فى ذلك التصنيف وتقدير القيمة وإجراءات الجمارك الأخرى، المستندة إلى المبادئ التى تحدد القواعد العالمية،

وكذلك سياسات منح الأذونات والمقاييس للسلع المستوردة نفسها ، كما هي مطبقة من جانب إسرائيل على صعيد استيرادها ويمكن لإسرائيل من حين إلى آخر أن تجرى تغييرات فى أى من المسائل المذكورة أعلاه ، على ألا تشكل التغييرات فى الشروط العامة حاجزا لا يخضع للتعرفة وأن تكون مستندة إلى اعتبارات الصحة والسلامة وحماية البيئة بالتوافق مع المادة ٢٢ من "اتفاق الحواجز الفنية" (Agreement on Technical Barriers) أمام التجارة فى "القانون النهائي" لـ "دورة اوروغواي للمفاوضات التجارية" (Uruguay Round Trade Negotiations) ستعطى إسرائيل "الادارة الفلسطينية" اشعارا مسبقا باجراء أى تغييرات من هذا القبيل وستنطبق شروط الفقرة ٦ اعلاه .

١١- (أ) ستحدد "الادارة الفلسطينية" رسوم الجمارك والضريبة الشرائية على السيارات المستوردة التى يتم تسجيلها لدى "الادارة الفلسطينية" رسوم الجمارك والضريبة الشرائية على السيارات المستوردة التى يتم تسجيلها لدى "الادارة الفلسطينية" وستكون المقاييس المطلوب توافرها فى السيارات هى تلك المطبقة يوم التوقيع على "الاتفاق" التى يتم تغييرها وفق الفقرة ١٠ (أ) اعلاه .

لكن يمكن أن تطلب "الادارة الفلسطينية" عبر اللجنة الفرعية الخاصة بالنقل تطبيق مقاييس مختلفة فى حالات خاصة وسيتم استيراد السيارات المستعملة فقط إذا كانت سيارات للركاب أو سيارات ركاب ذات استخدام مزدوج من طراز لا يزيد عمره على ثلاث سنوات قبل سنة الاستيراد وستحدد اللجنة الفرعية الخاصة بالنقل الاستيراد وستحدد اللجنة الفرعية الخاصة بالنقل الاجراءات اللازمة لفحص مثل هذه السيارات المستعملة والتأكد من أنها تستوفى شروط المقاييس المطبقة فى سنة انتاج السيارة .

وستناقش قضية استيراد سيارات تجارية من طراز يسبق سنة الاستيراد فى اللجنة الفرعية المشتركة المذكورة فى الفقرة ١٦ ادناه .

(ب) يمكن لكل طرف أن يحدد شروط نقل ملكية السيارات المسجلة لدى الطرف الآخر إلى ملكية أو استعمال شخص مقيم لديه ، بما فى ذلك دفع الفرق بين ضرائب الاستيراد ، إن وجد ، واختبار السيارة والتأكد من توافقها مع المقاييس المطلوبة فى حينه من قبل ادارة التسجيل الخاصة به ، ويمكنه منع نقل ملك السيارات .

١٢- (أ) ستكون المقاييس الاردنية ، المثبتة فى "الملحق ١" المرفق بهذه الوثيقة ، مقبولة بشأن استيراد المنتجات النفطية إلى "المناطق" حالما تستوفى معدل المقاييس الموجودة فى بلدان الاتحاد الاوروبى ، أو مقاييس الولايات المتحدة ، التى تحدد مؤشراتها بما يتلاءم مع الظروف جغرافية لإسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية .

وستحال الحالات المتعلقة بمنتجات نفطية لا تستجيب لهذه المواصفات إلى لجنة خبراء مشتركة للتوصل إلى حل مناسب . ويمكن للجنة أن تقرر فى صورة مشتركة أن تقبل مقاييس مختلفة لاستيراد البنزين الذى يستوفى المقاييس الأردنية على رغم أن بعض مؤشراتها لا تستوفى

مقاييس المجموعة الأوروبية أو الولايات المتحدة وستعطى اللجنة قرارها فى غضون ستة أشهر .
والى حين صدور قرار اللجنة ولمدة لا تزيد على ستة أشهر من تاريخ التوقيع على "الاتفاق" يمكن
لـ"الإدارة الفلسطينية" ان تستورد إلى "المناطق" البنزين للسوق الفلسطينية فى المناطق «وفق
حاجات هذه السوق على أن :

- ١ - يعلم هذا البنزين بلون متميز لتفريقه عن البنزين المسوّق فى اسرائيل .
- ٢ - تتخذ "الإدارة الفلسطينية" كل الخطوات الضرورية لضمان عدم تسويق هذا البنزين فى
اسرائيل .

(ب) لا يزيد الفرق بين السعر النهائى للبنزين المسوّق للمستهلكين فى اسرائيل ،المستهلكين فى
"المناطق على ١٥ ٪ من سعر الاستهلاك النهائى الرسمى فى اسرائيل."
(ج) إذا استوفت مقاييس البنزين المصرى شروط الفقرة (أ) أعلاه يمكن السماح باستيراد البنزين
المصرى .

١٣- إضافة إلى نقاط الخروج والدخول المعينة وفق المادة المتعلقة بـ"الممر" فى الملحق ١ من الاتفاق
لأغراض تصدير واستيراد السلع يملك الجانب الفلسطينى الحق فى استخدام كل نقاط الخروج والدخول فى
اسرائيل المعينة لهذا الغرض . وسيعطى للاستيراد والتصدير من قبل الفلسطينيين عبر نقاط الخروج والدخول
فى اسرائيل معاملة تجارية واقتصادية متساوية .

- ١٤ - فى نقاط الدخول عند نهر الاردن وفى قطاع غزة :
- (أ) شحن البضائع :

ستتمتع "الإدارة الفلسطينية" بمسؤولية وصلاحيات كاملة فى نقاط الجمارك الفلسطينية (منطقة
الشحن) لتطبيق سياسة الجمارك والاستيراد المتفق عليها كما هو محدد فى هذا البروتوكول بما فى
ذلك التفتيش وجمع الضرائب والرسوم الأخرى عندما تكون مستحقة الدفع .
سيكون مسؤولو الجمارك الاسرائيليون موجودين وسيستلمون من مسؤولي الجمارك الفلسطينيين
نسخة من الوثائق اللازمة التى تتعلق بالشحنة المعينة وسيحق لهم ان يطلبوا اجراء تفتيش
بحضورهم على السلع وجباية الضريبة على السواء .

سيكون مسؤولو الضرائب الفلسطينيون مسؤولين عن متابعة الاجراءات الجمركية بما فى ذلك
التفتيش وجباية الضرائب المستحقة .
فى حال الاختلاف فى شأن منح ترخيص لإخلاء أى شحنة طبقا لهذه المادة ستعطل الشحنة لغرض
تفتيشها لمدة أقصاها ٤٨ ساعة تتولى خلالها لجنة فرعية مشتركة حل القضية على أساس
الشروط المعينة فى هذه المادة .

وستطلق الشحنة فقط بناء على قرار اللجنة الفرعية .

(ب) ممر الجمارك المخصص للمسافرين :

سيتولى كل طرف ادارة الاجراءات الجمركية الخاصة به للمسافرين ، بما فى ذلك التفتيش وجباية

الضرائب. سينفذ التفتيش وجباية الضرائب المستحقة فى ممر الجمارك الفلسطينى مسؤولو جمارك تابعون لـ "الادارة الفلسطينية".

سيواجه مسؤولو الجمارك الاسرائيليون فى صورة غير منظورة فى ممر الجمارك اللفلسطينى وسيحق لهم أن يطلبوا إجراء تفتيش للسلع وجباية الضرائب المستحقة .
فى حالة الاشتباه سيجرى التفتيش من قبل المسؤول الفلسطينى فى غرفة منفصلة بحضور مسؤول الجمارك الاسرائيلى .

١٥ - سيستند اعفاء العائدات من كل ضرائب ورسوم الواردات بين اسرائيل و"الادارة الفلسطينية" إلى مبدأ مكان التسليم النهائية إضافة لذلك ستخصص هذه العائدات الضريبية لـ "الادارة الفلسطينية" حتى إذا تم الاستيراد من قبل مستوردين اسرائيليين وذلك عندما يكون مكان التسليم النهائية المثبت بوضوح فى وثائق الإستيرادات هو شركة مسجلة من قبل "الادارة الفلسطينية" وتنشط تجاريا فى "المناطق" . ستنجز هذه العملية المتعلقة باعفاء العائدات فى غضون ستة أيام عمل من تاريخ جباية الضرائب والرسوم المذكورة.

١٦ - "اللجنة الاقتصادية المشتركة" أو لجنة فرعية تقوم بتشكيلها لأغراض هذه المادة ستتعامل ضمن اختصاصاتها الأخرى مع ما يأتى :

(١) اقتراحات فلسطينية لإضافة مواد إلى القوائم "أ" و "ب" اقتراحات لإجراء تغييرات فى الرسوم وفى إجراءات وتصنيف ومقاييس الإستيراد ومتطلبات منح الأذونات لكل الإستيرادات الأخرى .

(٢) تقدير حاجات السوق الفلسطينية ، كما ورد فى الفقرة ٣ أعلاه .

(٣) استلام إشعار بالتغييرات وإجراء مشاورات ، كما ورد فى الفقرة ٦ أعلاه .

(٤) الموافقة على قواعد المنشأ ، كما ورد فى الفقرة ٨ أعلاه ، ومراجعة تطبيقها .

(٥) تنسيق تبادل المعلومات ذات الصلة بأمور منح الأذونات ، كما ورد فى الفقرة ٩ أعلاه .

(٦) مناقشة ومراجعة أى قضايا أخرى تتعلق بتنفيذ هذه المادة وحل المشاكل التى تنشأ منها .

١٧ - سيكون لـ "الادارة الفلسطينية" الحق فى إعفاء العائدين الفلسطينيين الذين سيمنحون إقامة دائمة فى "المناطق" من ضرائب الاستيراد على الأمتعة الشخصية بما فى ذلك الأدوات المنزلية وسيارات الركاب ما دامت للاستعمال الشخصى .

١٨ - ستطور "الادارة الفلسطينية" نظامها للإدخال المؤقت للمكائن والآليات الضرورية التى تستخدم من قبل "الادارة الفلسطينية" وفى خطة التنمية الاقتصادية الفلسطينية .

فى ما يتعلق بمكائن وآليات أخرى، غير مدرجة فى قوائم "أ" و "ب" و "ج" سيكون الإدخال المؤقت جزءاً من سياسة الاستيراد كما تم الاتفاق عليه فى الفقرة ١٠ أعلاه، إلى أن تتخذ اللجنة الفرعية المشتركة المذكورة فى الفقرة ١٦ قراراً فى شأن نظام جديد تقترحه "الادارة الفلسطينية" سيتم تنسيق الإدخال المؤقت عبر اللجنة الفرعية المشتركة .

١٩ - ستعفى التبرعات العينية لـ "الادارة الفلسطينية" من الجمارك وضرائب الاستيراد الأخرى إذا كانت

موجهة ومستعملة لمشاريع تنمية محددة أو لأغراض انسانية غير تجارية .
ستكون "الادارة الفلسطينية" مسؤولة على وجه الحصر عن التخطيط والإدارة لمساعدات الجهات المانحة
للشعب الفلسطيني . ستناقش "اللجنة الاقتصادية المشتركة" القضايا المتعلقة بالعلاقات بين الشروط في هذه
المادة وتطبيق المبادئ المذكورة في الفقرة أعلاه .

المادة الرابعة

القضايا النقدية والمالية

- ١ - ستتشىء السلطة الفلسطينية سلطة مالية في المناطق . سيكون للسلطة المالية صلاحيات ومسؤوليات
عن تنظيم وتطبيق السياسات المالية ضمن الوظائف المذكورة في هذه المادة .
- ٢ - ستقوم السلطة المالية الفلسطينية بمهام المستشار الاقتصادي والمالي الرسمي للسلطة الفلسطينية .
- ٣ - ستكون السلطة المالية الفلسطينية الوكيل المالي الوحيد للسلطة الفلسطينية ومؤسسات القطاع العام
على المستويين المحلي والدولي .
- ٤ - سيودع إحتياط النقد الأجنبي (من ضمنه الذهب) للسلطة الفلسطينية ومؤسسات القطاع العام فقط
لدى السلطة المالية الفلسطينية ويخضع لإدارتها .
- ٥ - ستكون السلطة المالية الفلسطينية الملجأ الأخير للإقراض للنظام المصرفي في المناطق .
- ٦ - ستكون للسلطة المالية صلاحية ترخيص المتعاملين بالعملة الأجنبية وتسيطر (تنظيم ومراقبة) على
المعاملات بالنقد الأجنبي في المناطق ومع بقية العالم .
- ٧ - (أ) سيكون للسلطة المالية دائرة لمراقبة المصارف مسؤولة عن صحة عمل واستقرار والقدرة
الايفائية وسيولة البنوك العاملة في المناطق .
(ب) ستؤسس دائرة مراقبة المصارف مراقبتها على أساس من المبادئ والمقاييس التي تنعكس في
الاتفاقات الدولية خصوصا مبادئ "لجنة بازل" .
(ج) ستكون دائرة المراقبة بمراقبة أعمال كل مصرف من هذا القبيل ، ومن ضمن ذلك :
- تنظيم كل أنواع النشاط المصرفي ، من ضمن ذلك النشاط الخارجي .
- الترخيص لمصارف المؤسسة محلياً وللفروع والمصارف التابعة والمشاريع المشتركة ومكاتب تمثيل
المصارف الأجنبية ومنح الموافقة على فئة أصحاب الأسهم ذوى الغالبية المسيطرة .
- المراقبة والتفتيش على البنوك
- ٨ - ستقوم السلطة المالية الفلسطينية بإعادة ترخيص كل من الفروع الخمسة للمصارف الاسرائيلية التي
تعمل حالياً في قطاع غزة والضفة الغربية، ذلك حالما تخضع مناطق تواجدها أو مواضعها في تلك المناطق
لسيطرة السلطة الفلسطينية . وسيتعين على هذه الفروع أن تخضع لقواعد وأنظمة السلطة المالية الفلسطينية
الخاصة بالمصارف الاجنبية وذلك بناء على "اتفاق بازل" وستطبق المواد "د" و"هـ" و"واو" من المادة العاشرة
ادناه على تلك الفروع .

٩ - (أ) سيكون على أى مصرف اسرائيلى آخر يريد فتح فرع أو مصرف تابع فى المناطق أن يتقدم بطلب ترخيص من السلطة المالية الفلسطينية وسيعامل على قدم المساواة مع المصارف الأجنبية الأخرى، وذلك فى حال انطباق ذلك على المصارف الفلسطينية الراغبة فى فتح فرع أو مصرف تابع فى اسرائيل.

(ب) منح الرخص من قبل السلطين سيخضع للترتيبات اللاحقة المستندة إلى "اتفاق بازل" والتي سيسرى مفعولها ابتداء من تاريخ التوقيع على الإتفاق، ويخضع أيضاً إلى القواعد العامة والتنظيمات السائدة لدى السلطة المضيفة بخصوص فتح فروع ومصارف تابعة للمصارف الأجنبية .

فى هذا المجال فإن التعبيرين فى المقطع "١٠" " السلطة المضيفة" والسلطة الأصلية" ينحصران فقط بينك اسرائيل والسلطة المالية الفلسطينية .

(ج) على المصرف الراغب فى فتح فرع أو إنشاء مصرف تابع، التقدم بطلب إلى السلطة المضيفة، بعد أن يحصل أولاً على موافقة سلطته الأصلية . وعلى السلطة المضيفة إخطار السلطة الأصلية بشروط الرخصة وتعطى موافقتها النهائية ما لم تعترض السلطة الأصلية .

(د) ستكون السلطة الأصلية مسؤولة عن المراقبة الموحدة والشاملة للمصارف من ضمنها الفروع والمصارف التابعة فى المنطقة الواقعة تحت سيطرة السلطة المضيفة لكن توزيع مسؤوليات المراقبة بين السلطين المضيفة والأصلية فيما يخص المصارف التابعة سيخضع لـ "اتفاق بازل" .

(هـ) ستقوم السلطة المضيفة بانتظام بالكشف على نشاطات الفروع والمصارف التابعة فى المنطقة الخاضعة لها . وللسلطة الأصلية الحق فى القيام بكشوف على الارض فى الفروع والمصارف التابعة فى المنطقة المضيفة إلا أن مسئولية المراقبة من قبل السلطة الأصلية للمصارف التابعة ستكون حسب "اتفاق بازل" على ذلك فإن كل من السلطين ستقوم بإعطاء الأخرى نسخاً عن تقارير الكشف وأي معلومات ذات علاقة بالقدرة الإيقائية واستقرار وسلامة المصارف والفروع والمصارف التابعة .

(و) بنك اسرائيل والسلطة المالية الفلسطينية سينشآن آلية للتعاون وتبادل المعلومات على القضايا التى تمس المصالح المشتركة .

١٠ - (أ) الشاقل الاسرائيلى الجديد " سيكون احدى وحدات التداول فى المناطق وسيكون وسيلة شرعية للدفع للأغراض كافة من ضمنها المعاملات الرسمية . وستقبل السلطة المالية الفلسطينية وكل الهيئات التابعة لها والسلطات المحلية والبنوك التعامل بأى من عملات التداول ومن ضمنها الشاقل الجديد عندما تعرض وسيلة للدفع فى أية معاملة .

(ب) سيستمر الطرفان فى التحالف ضمن اللجنة الاقتصادية المشتركة على إمكان استحداث عملة فلسطينية متفق عليها بينهما أو ترتيبات مؤقتة للعملة للسلطة الفلسطينية .

١١ - (أ) متطلبات السيولة على كل الايداعات فى البنوك العاملة فى المناطق ستحدد وتعلن من قبل

السلطة المالية الفلسطينية .

ب) ستقبل البنوك فى المناطق الايداعات بالشاقل الاسرائيلى الجديد . ولن تكون متطلبات السيولة على الأنواع المختلفة من الايداعات بالشاقل الجديد (او الايداع المرتبط بالشاقل الجديد) أقل من ٤ فى المئة إلى ٨ فى المئة وذلك حسب نوع الايداع . وستستدعى التغييرات فى اسرائيل فى متطلبات السيولة التى تتجاوز الواحد فى المئة للايداعات بالشاقل الاسرائيلى الجديد (أو الإيداعات المرتبطة به) تغييرات موازية فى النسب المذكورة أعلاه .

ج) المراقبة والتفتيش على تنفيذ متطلبات السيولة كافة ستقوم بها السلطة المالية الفلسطينية .
د) الاحتياطات والموجودات السائلة المطلوبة حسب هذا البند ستودع لدى السلطة المالية الفلسطينية حسب قواعد ونظم تحددها هى أما العقوبات على مخالفة متطلبات السيولة فستحددها السلطة المالية الفلسطينية .

١٢ - ستقوم السلطة المالية الفلسطينية بتنظيم وإدارة نظام شباك الحسوم وتوفير التمويل المؤقت للبنوك العاملة فى المناطق .

١٣ - أ) ستقوم السلطة المالية الفلسطينية بالمقاصة أو الترخيص بها ، لمقاصة التحويلات المالية بين البنوك العاملة فى المنطقة وكذلك مع دور المقاصة الأخرى .

ب) مقاصة التحويلات والمعاملات المالية بين البنوك العاملة فى المناطق والبنوك العاملة فى اسرائيل ستجرى من قبل بيتى المقاصة الاسرائيلى والفلسطينى على أساس من يوم العمل نفسه ، وحسب الترتيبات المتفق عليها .

١٤ - سيسمح الطرفان بعلاقات مراسلة بين بنوك كل منهما .

١٥ - للسلطة المالية الفلسطينية الحق فى تحويل فائض الشاقل الاسرائيلى الجديد المستلم من البنوك العاملة فى المناطق إلى عملة أجنبية لدى بنك اسرائيل ، التى يتعامل بها بنك اسرائيل ما بين البنوك فى السوق الداخلية ، وذلك ضمن حدود عليا للمبالغ يتم تحديدها على فترات زمنية وحسب الترتيبات المفصلة فى مقطع "١٦" ادناه .

١٦ - أ) المبلغ الفائض من الشاقل الاسرائيلى الجديد ، بسبب متغيرات ميزان الدفع ، الذى سيكون للسلطة المالية الفلسطينية حق تحويله إلى عملة أجنبية مساوى :

واحد) تقديرات كل "الواردات" الاسرائيلية من البضائع والخدمات من المناطق ، التى يجرى تسعيرها على أساس سعر السوق (الذى يشمل الضرائب) التى تم دفعها بالشاقل الاسرائيلى الجديد ،
ثاقصا:

- الضرائب المستحصلة من قبل السلطة الفلسطينية على كل "الواردات" الاسرائيلية من المناطق والتى تم خصمها إلى اسرائيل بالشاقل الاسرائيلى الجديد و :

- الضرائب المستحصلة من قبل اسرائيل على كل "الواردات" الاسرائيلية من المناطق والمدرجة فى سعرها فى السوق ، التى لم يتم خصمها لصالح السلطة الفلسطينية ،

ناقصا:

- تقديرات كل "الصادرات" الاسرائيلية من البضائع والخدمات إلى المناطق المسعرة حسب سعر السوق (ومن ضمنه الضرائب) التي تم دفع ثمنها بالشاقل الاسرائيلي الجديد، ناقصا :
- الضرائب المستحصلة من قبل السلطة الفلسطينية على هذه "الصادرات" والداخلية في سعرها في السوق.
- الضرائب المستحصلة من قبل السلطة الفلسطينية على تلك "الصادرات" والداخلية في سعرها في السوق، والتي لم يتم خصمها لصالح اسرائيل .

زائدا:

- ثلاثة متراكم المبالغ الصافية من العملة الأجنبية التي حولت سابقا إلى الشاقل الاسرائيلي الجديد، كما هي مسجلة في غرفة التعامل في بنك اسرائيل
- ب) التبادلات والمبالغ المذكورة سيجرى احتسابها اعتبارا من تاريخ توقيع الاتفاق .

ملاحظات على البند ١٦

- اولا) تقديرات "الصادرات والواردات" للبضائع والخدمات المذكورة ستشمل ضمن ما تشمل خدمات العمل والاتفاق بالشاقل الاسرائيلي الجديد من قبل السياح والاسرائيليين في المناطق في اسرائيل .
- ثانيا) الضرائب والاستقطاعات المعاشية على "الواردات" من خدمات العمل، التي تعطى إلى الجانب "المستورد" وتخصم لصالح الجانب "المصدر" لن تشملها في تقديرات المبالغ التي سيتم تحويلها ، لأن عائدات "الصادرات" من خدمات العمل ستسجل في احصاءات تشملها، بالرغم من أنها لن تحتسب للأفراد الذين يقدمون تلك الخدمات .

- ١٧- ستعقد السلطة المالية الفلسطينية وبنك اسرائيل اجتماعا سنويا ليبحث وتحديد المبلغ السنوي من الشاقل الاسرائيلي الجديد القابل للتحويل خلال السنة التقويمية المقبلة ويجتمعان مرتين في السنة لتعديل المبلغ
- ١٨- أ) تحويل العملات الأجنبية بالشاقل الاسرائيلي الجديد وبالعكس من قبل السلطة المالية الفلسطينية سيجرى من خلال غرفة التحويلات في بنك اسرائيل، وذلك حسب أسعار السوق لنسب التحويل .
- ب) لن يضطر بنك اسرائيل خلال أي شهر واحد إلى تحويل أكثر من خمس المبلغ نصف السنوي المذكور في البند "١٧" .

- ١٩ - لن يجرى تحديد سقف للتحويلات السنوية إلى الشاقل الاسرائيلي الجديد من قبل السلطة المالية الفلسطينية لكن وبهدف تجنب تقلبات غير مرغوب فيها في سوق التحويل الخارجي ، سيتم الاتفاق خلال الاجتماعات السنوية ونصف السنوية المذكورة في البند "١٧" على سقف شهرية لهذه التحويلات .
- ٢٠ - البنوك في المناطق سيكون لها تحويل الشاقل الاسرائيلي الجديد إلى عملات التداول الأخرى والعكس بالعكس .

- ٢١ - سيكون للسلطة الفلسطينية السلطات والصلاحيات والمسؤوليات تجاه تنظيم ومراقبة نشاطات رأس المال في المناطق، من ضمنها الترخيص لمؤسسات سوق رأس المال والشركات المالية وصناديق التوظيف.

المادة الخامسة

الضرائب المباشرة

- ١- تقرر اسرائيل والسلطة الفلسطينية وتنظمان في صورة مستقلة كل على حدة السياسة الضريبية المتصلة بالضرائب المباشرة الخاصة بكل منهما بما يشمل ضريبة الدخل على الافراد والمؤسسات وضريبة العقار والضرائب والرسوم البلدية .
- ٢ - لكل من مصلحة الضرائب الحق في فرض الضرائب المباشرة المستحقة على النشاطات الاقتصادية ضمن منطقتيهما .
- ٣- يمكن لأى من السلطتين فرض ضرائب إضافية على المقيمين في دائرتيهما (الافراد والمؤسسات) الذين يقومون بنشاطات اقتصادية في المنطقة التابعة للطرف الاخر .
- ٤- ستنقل اسرائيل إلى السلطة الفلسطينية مبلغا يساوى :
 - أ - ٧٥ في المئة من الدخل الضريبي الذي يجمع من فلسطينى قطاع غزة ومنطقة اريحا العاملين في اسرائيل .
 - ب - المبلغ الكامل من الدخل الضريبي المجموع من فلسطينى قطاع غزة ومنطقة اريحا العاملين في المستوطنات .
- ٥ - يوافق الطرفان على مجموعة من الاجراءات الخاصة بكل المسائل المتعلقة بالازدواج الضريبي .

المادة السادسة

الضرائب غير المباشرة على المنتج المحلى

- ١- تفرض مصلحتا الضرائب الاسرائيلية والفلسطينية وتجمعان في كل من المنطقتين التابعتين لهما ضريبة القيمة المضافة وضرائب المشتريات على المنتج المحلى وكذا أى ضرائب اخرى غير مباشرة .
- ٢- سيكون معدل ضريبة المشتريات ضمن المنطقة الواقعة تحت نفوذ أى من سلطتى الضرائب متماثلة فى ما يتصل بالمنتج المحلى والبضائع المستوردة .
- ٣ - معدل ضريبة القيمة المضافة فى اسرائيل حاليا هو ١٧ فى المئة وسيكون المعدل الفلسطينى ١٥ فى المئة أو ١٦ فى المئة .
- ٤ - تقرر السلطة الفلسطينية مستوى العائدات السنوية القصوى للشركات الواقعة تحت سلطتها المعنى من الضرائب على ان يكون السقف الأعلى ١٢ ألف دولار اميركى .
- ٥ - تعود ضريبة القيمة المضافة على الشركات المسجلة لأغراض القيمة المضافة إلى سلطة الضرائب فى المنطقة المسجلة فيها الشركة المعنية .
- تسجل الشركات نفسها لأغراض ضريبة القيمة المضافة لدى سلطة الضرائب فى المنطقة التى يقع فيها مقرها أو فى المنطقة التى تعمل فيها .
- يجرى ترتيب تخليص عائدات ضريبة القيمة المضافة بين السلطتين الاسرائيلية والفلسطينية المكلفتين

بتحصيل ضريبة القيمة المضافة وفق الشروط الآتية :

- أ - ينطبق تخليص ضريبة القيمة المضافة على العمليات المالية بين الشركات (الأعمال) المسجلة لدى مصلحة ضريبة القيمة المضافة في المنطقة التي تقيم فيها تلك الشركات .
- ب - تنطبق الإجراءات الآتية على تخليص ضريبة القيمة المضافة المحصلة من العمليات المالية للشركات المسجلة لأغراض ضريبة القيمة المضافة :
 - (١) لكي تكون الاجراءات مقبولة لغرض التخليص سيجرى استخدام فواتير خاصة ذات علامات واضحة لهذا الغرض للعمليات المالية بين الشركات المسجلة لدى الجانب الآخر .
 - (٢) يمكن ان يكون نص الفواتير بالعبرية أو العربية أو الانكليزية وتجري أرشفتها في أى من اللغات الثلاث المذكورة وشرطه ان تكون الأرقام بالعربية وليس الهندية .
 - (٣) ستكون مدة صلاحية هذه الفواتير لغرض الحسم الضريبي ستة اشهر اعتبارا من تاريخ الإصدار .
 - (٤) يجتمع ممثلون عن الجانبين مرة في الشهر في اليوم العشرين منه لكي يقدم الطرف إلى الآخر لائحة بالفواتير المقدمة إليه لإجراء الحسم الضريبي وذلك بغية إتمام عملية تخليص ضريبة القيمة المضافة . تتضمن اللائحة التفاصيل الآتية المتعلقة بكل فاتورة :
 - (أ) رقم الشركة المسجلة التي اصدرتها
 - (ب) اسم الشركة المسجلة التي اصدرتها
 - (ج) رقم الفاتورة .
 - (د) تاريخ الإصدار .
 - (هـ) قيمة الفاتورة .
 - (و) اسم مستلم الفاتورة
 - (٥) تسدد قيمة طلبات التخليص خلال ستة ايام من الاجتماع عن طريق دفع جانب إلى الجانب الآخر قيمة الميزان الصافي للطلبات المقدمة إليه .
 - (٦) يقدم كل طرف إلى الآخر عند الطلب الفواتير بهدف التدقيق . كل مصلحة ضرائب مسؤولة عن تقديم الفواتير لأغراض التدقيق لمدة ستة أشهر بعد تسلمها .
 - (٧) يتخذ كل طرف الخطوات الضرورية للتأكد من صحة الفواتير المقدمة له من الطرف الآخر بهدف التخليص .
 - (٨) يجرى حسم قيمة طلبات ضريبة القيمة المضافة المقدمة للتخليص التي يُكتشف أنها غير صالحة من دفعة التخليص التالية .
 - (٩) عندما يبدأ تشغيل النظام الكمبيوترى المتداخل (بين الجهتين) الخاص بعمليات الحسم الضريبي للشركات المتصلة بتخليص ضريبة القيمة المضافة سيحل ذلك محل اجراءات التخليص المحددة في الفقرات الفرعية من (٤) إلى (٨) .
 - (١٠) تتبادل مصلحة الضرائب لوائح الشركات والأعمال المسجلة لدى كل منهما ، كما يقدم الطرف

إلى الآخر عند الطلب الوثائق الضرورية للتأكد من العمليات المالية .
(١١) يؤسس الجانبان لجنة فرعية تناط بها مهمة تطبيق الترتيبات المتعلقة بتخليص عائدات ضريبة القيمة المضافة المدرجة أعلاه .

٦ - يجرى تسليم سلطة الضرائب الفلسطينية ضريبة القيمة المضافة التي تحصلها السلطات الاسرائيلية من المؤسسات والمنظمات الفلسطينية التي لا تبتغى الربح المسجلة لدى السلطة الفلسطينية وذلك لقاء عمليات مالية تقوم بها في اسرائيل . وينطبق على هذه المؤسسات والمنظمات نظام التخليص المبين في الفقرة ٥ أعلاه .

المادة السابعة

العمالة:

١- يحاول الطرفان الابقاء على تنقل العمالة العادي بينهما على ان يحتفظ كل طرف منهما بحقه في تحديد مدى تنقل هذه العمالة وشروط هذا التنقل إلى داخل منطقته بين الحين والآخر . وإذا أقدم طرف من الطرفين على تعليق تحرك العمالة العادي، يقوم بإعلام الطرف الآخر فوراً بالتعليق ، ويحق للطرف الآخر طلب بحث الموضوع في اللجنة الاقتصادية المشتركة.

ويتم تشغيل العمالة الذين ينتمون إلى أحد الطرفين في منطقة الطرف الآخر عن طريق مكتب التشغيل الخاص بالطرف الآخر وطبقاً للتشريعات المعمول بها لدى الطرف الآخر . ويحق للطرف الفلسطيني ان ينظم تشغيل العمالة الفلسطينية في اسرائيل عن طريق مكتب التشغيل الفلسطيني، وسيقوم مكتب التشغيل الاسرائيلي بالتعاون والتنسيق في هذا المجال .

٢ - أ - ان يتم توفير الضمان الاجتماعي للفلسطينيين العاملين في اسرائيل بموجب نظام الضمان الوطني ضد العطل والضرر المتأثرين من العمل في اسرائيل . وضد افلاس صاحب العمل وفي ما يتعلق بإجازة الحمل .

ب - تخفيض رسوم التأمين الوطني التي تحسم من الأجر لضمان التغيب بسبب الحمل طبقاً لمدي خفض ضمان الأمومة . وستزاد الحسومات من الأجور المساوية التي تنقل إلى السلطة الفلسطينية، إذا تم فرضها أو استيفاءها طبقاً لذلك .

ج - تتفق مؤسسة الضمان الوطني الاسرائيلية مع السلطة الفلسطينية أو مع مؤسسة الضمان الاجتماعي الفلسطينية المناسبة أو ذات الاختصاص حول تطبيق الاجراءات الخاصة بهذا الامر .

٣ - أ- تنقل اسرائيل إلى السلطة الفلسطينية، شهرياً ما يساوي الحسومات من الأجور التي تفرضها التشريعات الاسرائيلية، إذا فرضت هذه الحسومات، وإلى مدى ما تجمعها اسرائيل منها . وستستخدم السلطة الفلسطينية هذه الأموال المنقولة إليها في سبيل التقدمات الاجتماعية والخدمات الصحية التي تقررها السلطة الفلسطينية بالنسبة إلى الفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل وأسرهم .

وستكون الحسومات المساوية المنقولة تلك التي يجمعها (الطرف الاسرائيلي) بعد تاريخ توقيع الاتفاق، من أجور الفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل ومن مستخدميهم ولن تتضمن هذه المبالغ:

(١) ما يتم دفعه للخدمات الصحية في أماكن العمل .

(٢) ثلثي التكاليف الفعلية الخاصة بإدارة الشؤون المتعلقة بالفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل، والتي يتكبدها قسم المدفوعات في مكتب التشغيل الاسرائيلي .

٤ - تنقل اسرائيل شهرياً إلى مؤسسة فلسطينية، تنشئها السلطة الفلسطينية لكي تتولى امر ضمان التقاعد، ما تحسبه وتجمعه من ضمان التقاعد، بعد انشاء هذه المؤسسة واتمام الوثائق المذكورة في الفقرة ٦ . وتجمع هذه الحسومات من اجور الفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل ومن مستخدميهم طبقاً للنسب المدرجة في الاتفاقات الجماعية الاسرائيلية ذات الصلة بالموضوع ويُحسم من الاموال المنقولة ثلثا التكاليف الفعلية لإدارة امر هذه الحسومات التي يتكبدها مكتب التشغيل الاسرائيلي . وستستخدم الاموال المنقولة هذه لتوفير ضمان التقاعد الخاص بهؤلاء العمال . وستواصل اسرائيل تحمل مسؤولية حقوق التقاعد الخاصة بالفلسطينيين والمستخدمين في اسرائيل والتي تم تجميعها في اسرائيل ومنها قبل وضع هذه الفقرة الرابعة موضع التنفيذ.

٥ - لدى تسلم الحسومات تصبح السلطة الفلسطينية والمؤسسات الاجتماعية ذات الاختصاص التابعة لها مسؤولة بالكامل عن حقوق التقاعد وعن المنافع الاجتماعية الأخرى الخاصة بالفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل، والتي تتجمع من الحسومات المنقولة المتعلقة بهذه الحقوق والمنافع، وذلك طبقاً للتشريعات والترتيبات الفلسطينية وتبعاً لهذا تعفى اسرائيل ومؤسساتها الاجتماعية ذات الاختصاص، كما يعفى أصحاب الأعمال الاسرائيليون من أى مسؤولية بخصوص أى مطالبة شخصية أو حقوق أو منافع ناشئة من هذه الحسومات المنقولة أو مما جاء في الفقرات ٢ إلى ٤ أعلاه .

٦ - وقبل النقل المشار اليه، تقدم السلطة الفلسطينية أو المؤسسة ذات الاختصاص إلى اسرائيل الوثائق اللازمة المطلوبة لإعطاء الالتزامات المذكورة سابقاً صفة أو صيغة قانونية، بما في ذلك التدابير التنفيذية التي يتفق عليها الطرفان والخاصة بالمبادئ المذكورة في الفقرات ٣ إلى ٥ أعلاه .

٧ - يحق لاسرائيل إعادة النظر في الترتيبات المذكورة أعلاه الخاصة بحسومات المساواة و/ أو حسومات التقاعد ، وتغيير هذه الترتيبات إذا قررت محكمة ذات اختصاص في اسرائيل ان هذه الحسومات أو أى جزء منها يجب ان تدفع لأفراد أو يجب أن تستخدم في سبيل الضمان أو المنافع الاجتماعية في اسرائيل أو أن هذه الحسومات غير قانونية وفي حالة كهذه ، تقتصر مسؤولية الطرف الفلسطيني على الحسومات المنقولة فعلياً وذات الصلة بالحالة (بالعمال الذين تم الحسم من أجورهم) .

٨ - تحترم اسرائيل أى اتفاق يتم التوصل اليه بين السلطة الفلسطينية أو بين أى منظمة أو نقابة تمثل الفلسطينيين المستخدمين في اسرائيل من جهة ، وبين منظمة تمثل المستخدمين أو أصحاب الأعمال في اسرائيل بخصوص المساهمات التي تدفع إلى منظمات من هذا القبيل حسب أى اتفاق جماعي .

٩ - أ - يحق للسلطة الفلسطينية دمج نظام الضمان الصحي القائم الخاص بالفلسطينيين المستخدمين في إسرائيل وبأسرهم، في نظام خدمات التأمين الصحي التابع لها . وطالما يوجد هذا النظام ويبقى فاعلاً، سواء في حالة اندماجه مع نظام آخر أو في حالة بقاءه منفصلاً ، تحسم إسرائيل من أجور الفلسطينيين رسوم الضمان الصحي "الطابع الصحي" وتنقل المحسوم إلى السلطة الفلسطينية خدمة لهذا الغرض .

ب - يحق للسلطة الفلسطينية أن تدمج نظام الضمان الصحي الحالي، الخاص بالفلسطينيين الذين كانوا مستخدمين في إسرائيل والذين يتلقون حالياً تعويضات تقاعد عن طريق مكتب التشغيل الإسرائيلي ، في خدمات تقاعد عن طريق مكتب التشغيل الإسرائيلي في خدمات الضمان الصحي التابعة لها . وطالما استمر هذا النظام ، سواء على نحو مندمج أو منفصل ستحسم إسرائيل المبالغ الضرورية من رسوم الضمان الصحي (الطابع الصحي) من مدفوعات المساواة وستنقلها إلى السلطة الفلسطينية خدمة لهذا الغرض .

١٠ - تجتمع اللجنة الاقتصادية المشتركة بناء على طلب أى من الطرفين وتستعرض تطبيق هذه المادة كما تستعرض شؤوناً أخرى تتعلق بالعمالة والضمان الاجتماعي والحقوق الاجتماعية

١١ - سيستعرض الجانبان معاً أى حسومات لم تذكر سابقاً ، إذا وجدت حسومات من هذا القبيل أو وجدت عن طريق اللجنة الاقتصادية المشتركة وسيكون أى اتفاق بين الطرفين حول هذه الحسومات إضافياً أو إضافة على ما سبق إدراجه (من مواد) حتى الآن أعلاه .

١٢ - يحق للفلسطينيين المستخدمين في إسرائيل أن يرفعوا الخلافات الناشئة عن العلاقات بين المستخدم وبين صاحب العمل، وأى أمور أخرى، إلى محاكم العمل الإسرائيلية من ضمن الصلاحيات الممنوحة لهذه المحاكم .

١٣ - تحكم هذه المادة العلاقات الخاصة بالعمالة بين الطرفين في المستقبل ولا تلغى أو تنقص من أى حقوق عمالة سابقة لتاريخ التوقيع على البروتوكول .

المادة الثامنة

الزراعة

١ - سيكون نقل المنتوجات الزراعية بين الطرفين حراً وغير خاضع للرسوم الجمركية والضرائب الاستيراد شرط التقيد بالاستثناءات والترتيبات التالية :

٢ - تكون المصالح الرسمية الموجبة بحماية النباتات والحيوانات لدى كل من الطرفين مسؤولة، ضمن حدود الصلاحيات الممنوحة لها لدى كل من الطرفين ، عن الصحة الحيوانية وعن المنتوجات الحيوانية والإحيائية وعن النباتات أو أى جزء منها بالإضافة إلى مسؤولياتها الخاصة باستيراد أو تصدير النباتات والحيوانات .

٣ - تبنى العلاقات بين المصالح الرسمية الموجبة بحماية الحيوانات والنباتات لدى الطرفين على التبادلية طبقاً للمبادئ التالية تعددها التى ستطبق في كل المجالات الواقعة من ضمن الصلاحيات الممنوحة لهذه

المصالح لدى الطرفين :

أ - تهذل إسرائيل والسلطة الفلسطينية قصارى جهدهما لكن تحافظا على المستويات البيطرية وتحسنها .

ب - تتخذ إسرائيل والسلطة الفلسطينية التدابير كافة بغية التوصل إلى مستويات متوافقة متساوية بخصوص السيطرة على الأمراض الحيوانية ، بما فى ذلك تلقيح الحيوانات والطيور على نحو شامل عام وفرض الحجر الصحى واتخاذ تدابير المكافئة و"القمع" والتقييد بمستويات السيطرة الأخرى .

ج - تتخذ ترتيبات متبادلة بغية الحؤول دون دخول الأمراض والحشرات الضارة بالنباتات وبغية القضاء على هذه الأمراض والحشرات والآفات وبخصوص مستويات التحكم بالمنتجات النباتية الأخرى .

د - تنسق المصالح الرسمية الموجبة بحماية الحيوانات والنباتات فى إسرائيل ولدى السلطة الفلسطينية فى ما بينها وتبادل المعلومات على نحو منتظم بخصوص الأمراض الحيوانية ، وبخصوص الآفات والأمراض الزراعية (النباتية) ، وتنشئ آلية للإعلام الفورى المتبادل يظهر أى من هذه الأمراض والآفات .

هـ - تخضع التجارة بين الطرفين بالحيوانات والمنتجات الحيوانية والاحيائية للمبادئ والتعريفات المدرجة فى العيضة الحالية من مبادئ الصحة الحيوانية الوطنية التى تعدل وتجدد بين الحين والآخر (التي سبشار إليها بعد الآن بالأحرف أى إيه إيتش سي) .

و - يجرى نقل المواشى والمنتجات الحيوانية والاحيائية من لدن طرف وعبر المنطقة الخاضعة لسلطة الطرف الآخر ، على نحو يهدف إلى الحؤول دون انتشار الأمراض من وإلى المنقول (الشحنة المنقولة) فى غضون عملية النقل . ويشترط السماح لنقل من هذا القبيل ان تكون الشروط البيطرية ، التى اتفق عليها الطرفان والخاصة باستيراد الحيوانات ومنتجاتها والمنتجات الإحيائية من الاسواق الخارجية ، مستوفاة . وعلى هذا يتفق الطرفان على الترتيبات التالية :

٦ - يحق للخدمات البيطرية الرسمية لدى كل من الطرفين إصدار أذونات استيراد بيطرية لاستيراد الحيوانات والمنتجات الحيوانية والاحيائية إلى داخل المناطق الخاضعة لسلطته .

ويتبنى الطرفان الاجراءات التالية منعاً لدخول الأمراض الحيوانية من لدن أطراف ثالثة :

أ - تخضع أذونات الاستيراد خضوعاً تاماً للشروط البيطرية المهنية الخاصة بالمستوربات المماثلة إلى إسرائيل التى تكون سارية المفعول وقت اصدار الاذونات وتحدد الأذونات بلد المنشأ والشروط المطلوبة التى يجب أن تتضمنها الأذونات بلد المنشأ والشروط المطلوبة التى يجب أن تتضمنها الشهادات البيطرية التى يجب أن تصدرها السلطات البيطرية فى بلد المنشأ ، والتى يجب أن ترافق كل شحنة من الشحنات .

ويحق لكل طرف من الطرفين اقتراح تعديل أو تغيير هذه الشروط ويوضع التفسير موضع التنفيذ

بعد إعلام الطرف الآخر به بعشرة ايام ما لم يطلب الطرف الآخر عرض التغيير المقترح على اللجنة البيطرية الفرعية المنصوص عليها في الفقرة ١٤ (والتي سيسار إليها بعد الآن بالأحرف في اس سي). وإذا كان التغيير المقترح أكثر صرامة من الشروط المعمول بها فإنه يوضع موضع التنفيذ بعد عشرين يوماً من إعلام الطرف الآخر به، ما لم يقرر الطرفان خلاف ذلك عن طريق اللجنة البيطرية الفرعية (في اس سي). أما إذا كان التغيير أكثر ليونة من الشروط السائدة المعمولة بها، لا توضع موضع التنفيذ إلا إذا وافق عليها الطرفان في اللجنة البيطرية الفرعية أو عن طريقها لكن إذا كان التغيير مستعجلاً وتتطلبه حماية الحيوانات وحماية الصحة العامة، يوضع موضع التنفيذ فوراً بعد إعلام الطرف الآخر به ويبقى ساري المفعول ما لم يقرر الطرفان خلاف ذلك، أو حتى يقرر الطرفان خلاف ذلك عن طريق اللجنة البيطرية الفرعية .

ب - تتضمن الشهادات البيطرية الرسمية الشروط الخاصة بـ "أ" و "ب" من لوائح (أو أي) من الأمراض المحددة في مبادئ الصحة الحيوانية الوطنية (أي إيه إتش سي) . وعندما تسمح هذه المبادئ بمتطلبات بديلة بخصوص المرض نفسه ، يجري تبني المتطلبات الأكثر صرامة ، سالم توافق اللجنة البيطرية الفرعية على خلاف ذلك .

ج - إذا وجدت أمراض معدية لا تتضمنها لائحة "أ" و "ب" من لوائح أي إيه إتش سي (مبادئ الصحة الحيوانية الوطنية) أو إذا أصبحت هذه الأمراض موضع شبهة ، على أسس عملية ، في الدول المصدرة ، يجري بحث شروط الاستيراد البيطرية الضرورية التي تصبح مطلوبة ويصبح إدراجها مطلوباً في الشهادات البيطرية الرسمية . في اللجنة البيطرية الفرعية وإذا عرضت آراء عملية مهنية مختلفة في اللجنة يؤخذ بالأكثر صرامة وتشدداً من هذه الآراء .

د - لا يسمح باستيراد اللقاحات الحية إلا إذا وافقت على ذلك اللجنة البيطرية الفرعية .

هـ - يتبادل الطرفان، عن طريق اللجنة البيطرية الفرعية المعلومات الخاصة بترخيص الاستيراد بما في ذلك تقييم الوضع الصحي (المرضي) وتقييم المقدرة على الحفاظ على الصحة الحيوانية في الدول المصدرة ويبنى التقييم على المعلومات الرسمية وعلى معلومات أخرى متوافرة .

و - لا يسمح بدخول المناطق الخاضعة لسلطة أي من الطرفين لأي شحنة لا تتقيد بالمتطلبات المذكورة أعلاه.

٧ - يخضع نقل المواشي والطيور والمنتجات الحيوانية والبيولوجية بين المناطق الخاضعة لسلطة أي من الطرفين وعبر هذه المناطق، إلى القواعد الفنية التالية :

أ - يجري النقل في سيارات مختومة بالخاتم الرسمي الخاص بالهيئة المولجة بالخدمات البيطرية في مكان المنشأ، على أن يكون بوسع أي شخص رؤية الكلمات "نقل حيوانات" أو "منتجات ذات منشأ حيواني على السيارات ، باللغتين العربية والعبرية وعلى أن تكون الكلمات مكتوبة بخط ملون على قاعدة بيضاء (أو على خلفيه بيضاء) .

ب - ترافق كل شحنة شهادة بيطرية تصدرها الهيئة المولجة بالخدمات البيطرية في مكان المنشأ، يذكر

ففيها أن الحيوانات المشحونة أو منتجاتها خضعت للمعاينة وأنها خالية من الأمراض المعدية وأن منشأها مكان لا يخضع للحجر الصحي ولا يخضع نقل الحيوانات فيه إلى أى قيود .

٨ - يخضع تنقل المواشى والطيور والمنتجات الحيوانية والإحيائية إلى اسرائيل من المناطق الفلسطينية وبالعكس ، إلى الأذونات البيطرية التي تصدرها الهيئة الرسمية الموجبة بالخدمات البيطرية في الطرف الذي يتلقى المنقول ، وذلك تقيداً بمستويات "أو أى اي" المستخدمة في هذا النوع من النقل في العالم . ويجرى نقل كل شحنة من الشحنات في سيارة مناسبة معلمة ترافقها شهادة بيطرية تأخذ الشكل الذي تتفق عليه الهيئتان الموجبتان بالخدمات البيطرية لدى الطرفين ولا تصدر هذه الشهادات إلا على أساس وجود أذن (بالاستيراد) من الطرف الذي يتلقى الشحنة

٩ - يجرى تبنى الاجراءات التالية منعاً لدخول الآفات والأمراض النباتية إلى المنطقة :

أ - يخضع نقل النباتات وجزء منها (بما في ذلك الفاكهة والخضر) كما يخضع التحكم بما يبقى في هذه النباتات من رواسب المبيدات ، ونقل المواد التي تستخدم في توليد النباتات والعلف الحيواني إلى التفتيش الذي يتولاه الطرف المتلقى لهذا كله على أن يجرى التفتيش من دون تأخير ومن دون الإضرار بالمشحونات وأن تتولاه الهيئة الموجبة بحماية النباتات لدى الطرف المتلقى للمشحونات .

ب - يحق للطرف المتلقى للمشحونات ان يخضع نقل النباتات وأجزاء منها (بما في ذلك الفاكهة والخضر) ونقل المبيدات، بين المناطق وعبر اسرائيل إلى تفتيش نباتى صحى من دون تأخير أو إلحاق الضرر بالمشحونات .

ج - يحق للهيئة الفلسطينية الرسمية الموجبة بحماية النباتات إصدار أذونات لاستيراد النباتات وأجزاء منها والمبيدات من الاسواق الخارجية وتستند هذه الأذونات إلى المتطلبات والمستويات السائدة وتتقيد بها .

وتحدد هذه الأذونات الشروط المطلوب تضمينها الشهادات الصحية النباتية الرسمية (التي سيشار إليها بعد الآن بالحرفين بى سى) والمستندة إلى المستويات والمتطلبات التي يتضمنها الميثاق الدولي لحماية النباتات (أى بى بى سى) والتي تتبناها "منظمة أوروبا ومنظمة البحر الابيض المتوسط لحماية النباتات (اى بى بى او) ، على ان ترافق الشهادات كل شحنة من الشحنات .

تصدر الشهادات الصحية النباتية الرسمية الهيئة الموجبة رسمياً بحماية النباتات في بلد المنشأ وترفع الخلافات أو الحالات المشتبه فيها إلى اللجنة الفرعية الموجبة بحماية النباتات .

١٠ - لا يخضع وصول المنتجات الزراعية الخاصة بكل طرف من الطرفين إلى اسواق الطرف الآخر إلى أى قيود أو تحديد . لكن يحظر مؤقتاً قيام أى طرف ببيع المواد التالية إلى الطرف الآخر : الطيور والبيض والبطاطا والخيار بأنواعه والبنندوة (الطماطم) والبطيخ بأنواعه. ويجرى إلغاء هذه القيود المؤقتة بالتدريج وعلى نحو مطرد ازديادى إلى ان تزال هذه القيود في آخر المطاف بحلول عام ١٩٩٨ ، كما يبين الجدول رقم (١) .

- ١١ - يحق للفلسطينيين تصدير منتجاتهم الزراعية إلى الأسواق الخارجية من دون قيود وعلى أساس شهادات منشأ صادرة عن السلطة الفلسطينية .
- ١٢ - يتجنب الطرفان استيراد المنتجات الزراعية من أطراف ثالثة التي ربما أضرت بمصالح المزارعين لدى كل من الطرفين، وذلك من دون التفلت من الالتزامات الناشئة عن الاتفاقات الدولية السارية المفعول حالياً .
- ١٣ - يتخذ كل من الطرفين الإجراءات الضرورية، في المناطق الخاضعة لسلطته للحد من حدوث الضرر الذي قد يلحقه النشاط الزراعي ببيئة الطرف الآخر .
- ١٤ - يشكل الطرفان لجناً فرعية تابعة للهيئتين أو للهيئات الرسمية المولجة بحماية الحيوانات والنباتات لدى الطرفين تتولى امر تحديث المعلومات ودراسة المسائل والسياسات والإجراءات الخاصة بحماية الحيوانات والنباتات ويتفق الجانبان على أي تشييرات أو تعديلات في ما جاء في هذه المادة .
- ١٥ - يشكل الطرفان لجنة فرعية من الخبراء في شؤون قطاع الحليب ومشتقاته كافة بغية تبادل المعلومات والبحث في انتاج الطرفين في هذا القطاع وتنسيق هذا الانتاج بغية حماية مصالح الطرفين ومن الناحية المبدئية ، ينتج كل طرف من الطرفين حسب ما يملكه الاستهلاك المحلي لديه .

العام	الطيور بالطن	البعض بالكيلو	البطاطا بالكيلو	الخيار بأنواعه بالطن	الطماطم بالطن	البطيخ بأنواعه بالطن
١٩٩٤	٥٠٠٠	٢٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠	١٠٠٠٠
١٩٩٥	٦٠٠٠	٤٠	١٣٠٠٠	١٣٠٠٠	١٦٠٠٠	١٣٠٠٠
١٩٩٦	٧٠٠٠	٥٠	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	١٩٠٠٠	١٥٠٠٠
١٩٩٧	٨٠٠٠	٦٠	١٧٠٠٠	١٧٠٠٠	٢٢٠٠٠	١٧٠٠٠
١٩٩٨	غير محدد	غير محدد	غير محدد	غير محدد	غير محدد	غير محدد

جدول رقم (١)

ملاحظة : تشير الأرقام أعلاه إلى الكميات المجمعة الصادرة من الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل والعكس . وتقوم السلطة الفلسطينية بإعلام إسرائيل عن النسب من المنتجات الفلسطينية الخاصة بكل منطقة من هاتين المنطقتين .

المادة التاسعة الصناعة

- ١ - يتبادل الطرفان بحرية تامة السلع الصناعية من دون أي قيود بما في ذلك الرسوم الجمركية وضرائب الاستيراد على أن يخضع هذا كله إلى أحكام التشريعات الخاصة بكل طرف من الطرفين .
- ٢ - (أ) يحق للطرف الفلسطيني استخدام مختلف الطرق والوسائل لتشجيع نشوء ونمو الصناعة الفلسطينية والترويج لهذا عن طريق تقديم المنح والقروض والمساعدات الخاصة بالأبحاث والتطوير، عن طريق الاعفاءات الضريبية المباشرة كما يحق للطرف الفلسطيني استخدام الطرق

- والوسائل الأخرى التى تستخدمها إسرائيل فى سبيل تشجيع الصناعة .
- ب - يتبادل الطرفان المعلومات حول الطرق والوسائل التى يستخدمانها فى تشجيع الصناعة لدى كل منهما .
- ج - لا يسمح فى التبادل التجارى بين الطرفين، بأى إعادة للضرائب غير المباشرة المدفوعة أو للمنافع والمساعدات الأخرى (الدعم الآخر) الخاصة بالبيع .
- ٣ - يبذل كل طرف من الطرفين قصارى جهوده لتجنب إلحاق الضرر بصناعة الطرف ويأخذ كل طرف فى الاعتبار، اهتمامات الطرف الآخر فى رسم سياسته الصناعية .
- ٤ - يتعاون الطرفان فى منع الممارسات الاحتياطية الخادعة والتجارة بالسلع التى ربما ألحقت ضرراً بالصحة والسلامة والبيئة، وبالسلع التى لم تعد صالحة للاستهلاك .
- ٥ - يتخذ كل طرف من الطرفين التدابير اللازمة الضرورية ، فى المنطقة الخاضعة لسلطته لمنع أسباب الضرر الذى قد تلحقه صناعته ببيئة الطرف الآخر .
- ٦ - يحق للفلسطينيين تصدير منتجاتهم الصناعية إلى الأسواق الخارجية من دون قيود وعلى أساس شهادات منشأ صادرة عن السلطة الفلسطينية .
- ٧ - تجتمع اللجنة الاقتصادية المشتركة بغية النظر فى المسائل المرتبطة بهذه المادة .

المادة العاشرة

السياحة

- ١- تنشئ السلطة الفلسطينية هيئة سياحية فلسطينية تقارن سلطات فى المنطقة الفلسطينية منها الآتى:
- أ - تنظيم الخدمات والمواقع والصناعات السياحية والترخيص بها وتصنيفها والإشراف عليها .
- ب - الترويج للسياحة الأجنبية والمحلية ، وتطوير الموارد والمواقع السياحية الفلسطينية .
- ج - الإشراف على النشاطات الخاصة بالسياحة والأجنبية والمحلية .
- ٢ - يتولى كل طرف من الطرفين ، بموجب الصلاحيات المنوطة به فى منطقتيه، حماية المواقع التاريخية والآثرية والثقافية والدينية وكل المواقع السياحية الأخرى الواقعة ضمن حدود منطقتيه، وحراستها وضمان صيانتها والغاية منها كأماكن يزورها الناس
- ٣ - يحدد كل طرف من الطرفين الساعات والأيام المعقولة لزيارة كل المواقع السياحية بغية تسهيل لزيارة هذه المواقع فى ساعات وأيام متعددة مختلفة مع الأخذ فى الاعتبار المناسبات الدينية والوطنية ويتولى كل طرف من الطرفين الاعلان عن هذه الساعات والأيام فى الاعتبار البرامج السياحية التى تم الارتباط بها .
- ٤ - يسمح للباصات السياحية أو لأى وسائل نقل سياحية أخرى يأذن بها أى طرف من الطرفين وتشغلها شركات مسجلة ومرخصة لدى هذا الطرف، بدخول المنطقة التابعة لسلطة الطرف الآخر وبمتابعة الرحلة السياحية فى هذه المنطقة شرط تقييد هذه الباصات أو وسائل النقل الأخرى بالمواصفات الفنية الخاصة بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية (السارية المفعول أو المتبناة حالياً)، على ان تعلم هذه الوسائل كلها كسيارات سياحية .

٥ - يتولى كل طرف من الطرفين حماية بيئة ومحيط المواقع السياحية الواقعة فى منطقة سلطته وبالنظر إلى أهمية الشواطئ والنشاطات البحرية بالنسبة إلى السياحة يبدل كل طرف قصارى جهوده لكى يضمن أن يكون تخطيط البناء وتنفيذه والتعمير على شاطئ البحر الأبيض المتوسط لا سيما فى المرافئ (كعسقلان أو غزة) يجرى على نحو لا يلحق الضرر بمحيط الشاطئ كله وبالبلجات وببيئة الشاطئ وبالبلجات وبوظائفها الخاصة بالطرف الآخر .

٦ - يحق للشركات والوكالات السياحية التى يرخص لها أى طرف من الطرفين الوصول على قدم المساواة، إلى التسهيلات والمنافع وأسباب الراحة السياحية طبقاً لأنظمة السلطات التى تشغل هذه التسهيلات والمنافع وأسباب الراحة السياحية .

٧ - أ - يحق لكل طرف من الطرفين الترخيص بإنشاء وكالات السفر والشركات السياحية وتعيين الأدلاء السياحيين وإقامة النشاطات السياحية الأخرى (التى سيشار إليها بعد الآن باسم الوحدات السياحية) طبقاً لأنظمة والقوانين التى يتبناها كل طرف من الطرفين .

ب - يسمح للوحدات السياحية التى يرخص بها كل طرف من الطرفين أن تنظم رحلات سياحية تشمل المناطق الواقعة تحت سلطة الطرف الآخر شرط أن يكون هذا السماح وأن تكون هذه الرحلات خاضعة للأنظمة والمستويات والمتطلبات المهنية التى يتفق الطرفان فى اللجنة الفرعية المذكورة فى الفقرة ٩ .

والى أن يتوصل الطرفان إلى اتفاق من هذا القبيل يسمح للوحدات السياحية الناشطة حالياً فى المناطق الفلسطينية التى يسمح لها حالياً بتنظيم رحلات سياحية تشمل إسرائيل . وسيستمر السماح للوحدات السياحية الإسرائيلية المرخصة بتنظيم رحلات سياحية تشمل المناطق الفلسطينية وبالإضافة إلى هذا يسمح لأى وحدة سياحية تخص طرفاً من الطرفين وتشهد السلطات السياحية لدى الطرف الآخر بأنها مستوفية للمتطلبات والمستويات المهنية والمتطلبات والأنظمة والقوانين المرعية، أن تنظم رحلات سياحية تشمل أراضى الطرف الآخر .

٨ - ينظم كل طرف مسألة تعويض السياح عن الضرر الجسدى أو الضرر اللاحق بالمتعلقات المتأتى من أعمال العنف السياسى فى المناطق الواقعة تحت سلطته .

٩ - تعقد اللجنة الاقتصادية المشتركة أو لجنة فرعية تابعة لها، متخصصة فى الشأن السياحى اجتماعاً بناء على طلب أى طرف من الطرفين بغية التباحث فى تطبيق بنود هذه المادة وحل المشاكل التى قد تنشأ . كما تبحث اللجنة الفرعية وتنظر فى المسائل السياحية التى تعود بالفائدة على الطرفين، وتروج للبرامج الترويجية لكى تستخدمها الوحدات السياحية لدى الطرفين بغية تحسين المستوى المهنى لهذه الوحدات السياحية الخاصة بالطرف الآخر، أو التى تنتمى إلى الطرف الآخر عن طريق اللجنة .

ملاحظة : يتفق الطرفان على تبنى الصيغة النهائية للجملة الأخيرة فى الفقرة ٤ طبقاً للصيغة النهائية للكلمات المستخدمة فى المواد ذات الصلة بالموضوع فى البروتوكول .

مسائل تتعلق بالضمان

١ - تنقل إلى السلطة الفلسطينية الصلاحيات والمسؤوليات والسلطات الخاصة بمجال الضمان كله في المناطق الفلسطينية بما في ذلك الترخيص لشركات ووكالات الضمان بالعمل والإشراف على نشاطاتها كافة .
٢ - أ - تهيين السلطة الفلسطينية نظاماً اجبارياً لضمان حقوق ضحايا حوادث السيارات (الطرق) يحدد سقف التعويض ويستند إلى المبادئ الآتية :

(١) مسؤولية كاملة صريحة صارمة عن وفاة ضحايا حوادث السيارات أو تضررهم البدني، بصرف النظر عما إذا كان سائق السيارة مخطئاً، وعما إذا كان الآخرون مخطئين أو مساهمين في ارتكاب الخطأ ، وعلى أساس أن يكون السائق مسؤولاً عن الأشخاص الذين يسافرون في سيارته وعن المشاة الذين تؤذيهم سيارته .

(٢) فرض الضمان على جميع السيارات التي تعمل بمحرك على أساس أن يغطي الوفاة والضرر البدني الخاصين بجميع ضحايا حوادث السيارات بمن فيهم السائقون .

(٣) ان عدم وجود سبب للإهمال الذي يسبب الوفاة أو التضرر البدني الناشئ عن حوادث السيارات .

(٤) إيجاد صندوق قانوني (يسمى لاحقاً في هذه المادة باسم الصندوق) لتعويض ضحايا حوادث السيارات الذين لا يستطيعون مطالبة شركة تأمين بأى تعويضات للأسباب الآتية :

- (i) السائق المسؤول عن التعويض مجهول .
- (ii) السائق غير مغطى بأى ضمان أو ان ضمانه لا يغطي المسؤولية أو الالتزام المطلوب .
- (iii) شركة الضمان عاجزة عن تغطية مسؤولية أو التزام السائق .

ب - تحمل الكلمات في هذه المادة المعنى نفسه الذى تحمله التشريعات المعمول بها وقت التوقيع على الاتفاق الخاصة بضمان السيارات المسيرة بمحرك على نحو اجبارى وتعويض ضحايا حوادث السيارات.

ج - يتطلب أى تغيير أو تعديل ، يقوم به أى طرف من الطرفين فى الأنظمة والقوانين الخاصة بتطبيق المبادئ المذكورة أعلاه ، إعلام الفريق الآخر مسبقاً . وأى تعديل أو تغيير ، قد يؤثر على نحو كبير على الطرف الآخر يجب أن يسبقه إعلام التغيير أو التعديل .

٣ - أ - وبعد التوقيع على الاتفاق تنشيء السلطة الفلسطينية صندوقاً خاصاً بالمنطقة (يسمى بعد الآن فى هذه المادة باسم "الصندوق الفلسطينى" من أجل الغايات المذكورة بالتفصيل فى فقرة ٢(أ) (٤) أعلاه ومن أجل الغايات المذكورة بالتفصيل فى ما يأتى وسيتحمل الصندوق الفلسطينى المسؤولية القانونية الخاصة بصندوق تعويض ضحايا حوادث السيارات فى الضفة الغربية وقطاع غزة (وسيطلق على هذا الصندوق فى ما تبقى من هذه المادة اسم "الصندوق الحالى") طبقاً للقوانين المعمول بها فى ذلك الوقت.
وبناء على هذا ، لا يعود الصندوق الحالى مسؤولاً عن أى التزامات خاصة بالحوادث التى تحصل فى

المنطقة اعتباراً من تاريخ توقيع الاتفاق .

ب - ينقل الصندوق الحالي إلى الصندوق الفلسطيني بعدما يبدأ الصندوق الفلسطيني بتحمل أو بممارسة مسؤولياته . رسوم الضمان المدفوعة إلى الصندوق الحالي من شركات التأمين على السيارات المسجلة في المناطق (الفلسطينية) وعلى أساس نسبي إلى الفترة غير المنتهية من كل وثيقة ضمان .

٤ - أ - تكون وثائق التأمين الاجباري الخاصة بالسيارات التي تصدرها الشركات المرخصة المأذونة لدى كل طرف من الطرفين صالحة في مناطق الطرفين وبناء على هذا لا يطلب إلى سيارة مسجلة لدى طرف من الطرفين ومغطاة بوثيقة ضمان ان تحصل على تغطية ضمان إضافية من أجل التنقل في المناطق الخاضعة لسلطة الطرف الآخر وتغطي وثائق التأمين هذه الإلتزامات كافة طبقاً للتشريعات السائدة في مكان وقوع الحادث .

ب - ينقل الصندوق الفلسطيني إلى الصندوق الاسرائيلي شهرياً ، وعن كل سيارة مضمونة ، مبلغاً يعادل ٣٠ في المئة من المبلغ الذي تدفعه إلى الصندوق الاسرائيلي شركة ضمان مسجلة في إسرائيل للنوع نفسه من السيارات ولفترة الضمان نفسها - (التي يجب ألا تقل عن ٩٠ يوماً) وذلك لتغطية جزء من الإلتزامات التي قد تنشأ بسبب حوادث سيارات في اسرائيل يكون سببها سيارات غير مضمونة مسجلة لدى السلطة الفلسطينية .

ج - إذا رغب ضحية من ضحايا حوادث السيارات في طلب تعويض من شركة ضمان مسجلة لدى الطرف الآخر، أو من صندوق الطرف الآخر أو إذا قام ضحية من ضحايا حوادث السيارات أو شركة ضمان مسجلة لدى الطرف الآخر دعوى قضائية ضد صاحب سيارة يحق لهؤلاء جميعاً تكليف الصندوق الخاص بطرفه لينوب عنه من أجل تحقيق هذه الغاية وبحق للصندوق المفوض على هذا النحو ان يتصل بالموضوع لدى الطرف الآخر، أو عن طريق صندوق الطرف الآخر .

٦ - في حال حصول حادث سيارة لم يعرف فيه رقم السيارة أو هوية السائق يعرض الصندوق الذي ينتمي إلى الطرف الذي له سلطة في مكان أو موقع الحادث الضحية حسب التشريعات المعمول بها لديه .

٧ - يكون الصندوق الخاص بكل طرف من الطرفين مسؤولاً تجاه الضحايا من الطرف الآخر، بخصوص الضمان الاجباري ويضمن هذا الصندوق التزامات الشركة أو الشركات التابعة لطرفه .

٨ - يضمن كل طرف من الطرفين التزامات صندوقه بموجب هذه المادة .

٩ - يتفاوض الطرفان، في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ توقيع الاتفاق على اتفاق تحديد (مدفوعات) بين الصندوق الحالي والصندوق الفلسطيني بخصوص الحوادث التي حصلت في المناطق قبل تاريخ التوقيع على الاتفاق بصرف النظر عما إذا كانت طلبات التعويض رفعت أو لم ترفع . ولن يشمل اتفاق التحديد تعويض الاسرائيليين الذين وقعوا ضحية الحوادث التي حصلت في المناطق قبل تاريخ التوقيع على الاتفاق .

١٠ - أ - يؤلف الطرفان، فور التوقيع على الاتفاق لجنة فرعية مؤلفة من خبراء (تسمى بعد الآن في هذا الاتفاق للجنة الفرعية) تعالج المسائل الخاصة بتطبيق هذه المادة التي تتضمن :

(١) الاجراءات الخاصة بمعالجة طلبات التعويض المرفوعة من الضحايا لدى طرف من الطرفين إلى

شركات الضمان أو إلى الصندوق لدى الطرف الآخر .

(٢) الإجراءات الخاصة بنقل الأموال بين الصندوقين لدى كل من الطرفين كما جاءت على ذكره

الفقرة ٤ (ب) أعلاه .

(٣) تفاصيل اتفاق التحديد بين الصندوق الحالي والصندوق الفلسطيني كما تم تفصيله في

الفقرة التاسعة (٩) أعلاه .

(٤) أى مسألة ذات صلة بالموضوع يشير بها أى طرف من الطرفين .

ب - تصبج اللجنة الفرعية دائمة بالنسبة إلى المسائل التى تغطيها هذه المادة .

ج - يتبادل الطرفان ، عن طريق اللجنة الفرعية المعلومات (ذات الصلة بالموضوع) بخصوص تطبيق

محتويات هذه المادة بما فى ذلك تقارير الشرطة والمعلومات الطبية والاحصاءات ذات الصلة

بالموضوع والرسوم الخ . . ويقدم الطرفان إلى بعضهما البعض أى مساعدة مطلوبة بهذا

الخصوص .

١١ - يحق لأى طرف من الطرفين إعادة النظر فى الترتيبات التى تنص عليها هذه المادة بعد عام واحد

من تاريخ التوقيع على الاتفاق .

١٢ - يحق لشركات الضمان لدى الطرفين طلب الترخيص بالعمل من السلطات ذات الاختصاص لدى

الطرف الآخر ، طبقاً للأنظمة والقوانين التى تحكم شركات الضمان الاجنبية لدى الطرف الآخر .

واتفق الطرفان على عدم التمييز ضد طلبات من هذا القبيل .

تم الاتفاق فى اليوم التاسع والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩٩٤

عن منظمة التحرير الفلسطينية

عن حكومة اسرائيل

نص إعلان واشنطن بين الملك الأردني حسين ورئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين

فى ما يأتى النص الرسمى العربى لاعلان واشنطن الذى وقعه فى البيت الأبيض الملك حسين واسحق رابين والرئيس كلينتون بصفته " شاهداً " .

أ - بعد عدة أجيال من العداء والدم والدموع ، وفى أعقاب ما خلفته سنوات الألم والحروب ، فقد عقد جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" العزم على وضع حد لإراقة الدماء والاحزان . فبهذه الروح ، عقد اجتماع اليوم فى واشنطن بين جلالة الملك "الحسين" ملك المملكة الأردنية الهاشمية ورئيس الوزراء وزير الدفاع الاسرائيلى السيد "اسحق رابين" بناء على دعوة الرئيس "بيل كلينتون" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . وتشكل مبادرة الرئيس "كلينتون" هذه منعطفاً تاريخياً فى محاولات الولايات المتحدة الدؤوبة لتعزيز السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط ولقد كان لمشاركة الرئيس "كلينتون" الشخصية الفضل فى الاتفاق على مضمون هذا الإعلان التاريخى . وما التوقيع عليه إلا شاهد على رؤياه البعيدة وتفانيه من أجل قضية السلام .

ب - لقد أكد جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" من جديد أثناء اجتماعهما على المبادئ الخمسة التى تحكم فهمهما المشترك لجداول الأعمال المتفق عليه والذى يهدف إلى التوصل إلى إقامة سلام عادل ودائم وشامل بين الدول العربية والفلسطينيين واسرائيل .

١ - تسعى اسرائيل والأردن إلى تحقيق سلام عادل ودائم وشامل بين إسرائيل وجيرانها مثلما يسعيان إلى التوصل إلى معاهدة سلام بين البلدين .

٢ - سيواصل البلدان بشكل حثيث مفاوضاتهما للوصول إلى حالة سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن الدولى (٢٤٢) و(٣٣٨) فى سائر جوانبهما مثلما تقوم على الحرية والمساواة والعدالة .

٣ - تحترم اسرائيل الدور الحالى الخاص للمملكة الأردنية الهاشمية فى الأماكن المقدسة الإسلامية فى القدس ، وحينما تأخذ المفاوضات المتعلقة بالوضع النهائى لمدينة القدس مجراها ، فإن إسرائيل ستعطى أولوية عالية لدور الأردن التاريخى فى هذه المقدسات . وبالإضافة لذلك ، فقد اتفق الطرفان على العمل سوية لتعزيز العلاقات بين الديانات التوحيدية الثلاث .

٤ - يعترف البلدان بحقوقهما والتزامهما بالعيش بسلام مع بعضهما البعض كذلك مع باقى الدول ضمن حدود آمنة ومعترف بها . كما يؤكدان احترامهما واعترافهما بسيادة كل دول المنطقة ووحدة أراضيها واستقلالها السياسى .

٥ - يرغب البلدان فى تطوير علاقات حسن الجوار والتعاون بينهما وصولاً إلى تحقيق الأمن الدائم ولتفادى التهديدات واستخدام القوة بينهما .

ج - إن الصراع الطويل بين الدولتين يقترب من نهايته، وعليه فإن حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل قد طويت صفحتها .

د - وبناء على هذا الإعلان وعملاً بجدول الأعمال المشترك المتفق عليه، فإن كلا البلدين سيمتنع عن القيام بأعمال أو نشاطات من شأنها أن تؤثر سلباً على أمن الطرف الآخر أو أن تحكم مسبقاً على الوضع النهائي للمفاوضات ، وسيمتنع أى طرف عن تهديد الطرف الآخر باستخدام القوة أو السلاح أو أى وسيلة أخرى ضده ، وسيحول الطرفان دون وقوع أى تهديدات تخل بالأمن نتيجة أى عمل إرهابى مهما كان نوعه .

هـ - لقد أحيط جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" علماً بالتقدم الذى تحقق فى المفاوضات الثنائية على المسار الأردنى الإسرائيلى فى الأسبوع الماضى فى ما يتصل بالمخطوات التى اتفق عليها لتنفيذ جداول الأعمال الفرعية المتعلقة بالحدود وقضايا الأراضى والأمن والمياه والطاقة والبيئة وادى الأردن .

وإذا يدركان بنود جدول الأعمال المشترك المتفق عليه (الحدود ومسألة الأراضى) فقد أحيط علماً بأن اللجنة الفرعية للحدود قد توصلت إلى اتفاق فى تموز (يوليو) ١٩٩٤ محققة بذلك جزءاً من الدور المناط بها فى جدول الأعمال الفرعى كما أحيط علماً بأن اللجنة الفرعية للمياه والبيئة والطاقة . انسجاماً مع ما تستهدفه مفاوضاتها . قد وافقت على الاعتراف المتبادل بالخصص الحقة لكل من الطرفين فى مياه نهر الأردن ونهر اليرموك . كما اتفقا على أن يحترم ويمثل الطرفان بشكل كامل لما تتمخض عنه المفاوضات من حقوق فى التخصيصات وفقاً للمبادئ المقبولة والمتفق عليها وبالتوعية التى يوافق عليها الطرفان .

كما عبر جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" عن ارتياحهما العميق واعتزازهما بعمل اللجنة الثلاثية فى اجتماعها الذى عقد فى الأردن يوم الأربعاء الموافق ٢٠ تموز ١٩٩٤ والذى استضافه رئيس الوزراء الأردنى الدكتور "المجالى" بحضور وزير الخارجية "وارن كريستوفر" ووزير الخارجية "شمعون بيريز" وعبرا كذلك عن سعادتهما لمشاركة الولايات المتحدة والتزامها فى هذا المسعى .

و - يعتقد جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" بأنه لا بد من اتخاذ خطوات من أجل تجاوز الحواجز النفسية والاعتناق من تركة الحرب . إن الأردن وإسرائيل وهما يسعيان بتفاوض نحو تعميم مكاسب السلام على الجميع فى المنطقة، لعازمان على النهوض بمسؤولياتهما تجاه البعد الإنسانى فى مجال صنع السلام، ويدركان أن الاختلالات والتفاوتات الاقتصادية هى السبب الرئيسى للتطرف الناجم عن الفقر والبطالة وانحطاط كرامة الانسان، وبهذه الروح فقد أقر جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" مجموعة من الخطوات لترمز إلى المرحلة الجديدة.

١- الربط الهاتفى المباشر بين الأردن وإسرائيل ..

٢- ربط الشبكات الكهربائية بين الأردن وإسرائيل كجزء من تصور اقليمى .

٣- فتح نقطتى عبور جديدتين بين إسرائيل والأردن ، واحدة فى الطرف الجنوبى العقبة - ايلات والثانية فى نقطة فى الشمال يتفق عليها .

٤- ستعطى من حيث المبدأ حرية المرور بين الأردن وإسرائيل للسواح من رعايا الدول الثالثة .

٥- تسريع المفاوضات لفتح ممر جوى دولى بين البلدين .

٦- ستتعاون قوات الأمن العام فى الأردن واسرائيل على مكافحة الجريمة مركزة على التهريب وبخاصة تهريب المخدرات . وستدعى الولايات المتحدة الاميركية إلى الاشتراك فى هذا المجهود.

٧- تستمر المفاوضات المتعلقة بالشؤون الاقتصادية قهيدا للتعاون الثنائى المستقبلى بما فى ذلك إلغاء سائر أنواع المقاطعة الاقتصادية.

يجرى تنفيذ كل هذه الخطرات فى اطار خطط التنمية المتعلقة بالبنية التحتية على صعيد المنطقة ككل وبالترباط مع المفاوضات الثنائية بين الأردن واسرائيل فى مواضع الحدود والأمن والمياة والقضايا ذات الصلة دون المس بالنتيجة النهائية للمفاوضات المتعلقة بالبنود المدرجة على جدول الأعمال الأردنى - الإسرائيلى المشترك المتفق عليه .

و - اتفق جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" على عقد اجتماعات دورية أو عندما تدعو الحاجة للنظر فى التقدم الذى تحرزه المفاوضات وقد أعربا عن عزمهما على رعاية عملية السلام بكل جوانبها وتوجيهها.

ح - وفى الختام ، فإن جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" يرغبان فى التعبير عن جزيل شكرهما وتقديرهما للرئيس "بيل كلينتون" وإدائته على جهودهما الدؤوية فى دفع قضية السلام والعدالة والرخاء لجميع شعوب المنطقة . ويرغبان فى توجيه الشكر إلى الرئيس شخصياً على توجيهه الحار بهما وعلى حسن ضيافته، واعترافاً بتقديرهما فإن جلالة الملك "الحسين" ورئيس الوزراء "رابين" قد طلبا من الرئيس "كلينتون" توقيع هذه الوثيقة كشاهد وكضيف لاجتماعهما .

وثيقة رقم ١٦

الفتوى التالية ، أبرز وأهم وثيقة إسلامية تحمل موقفاً فقهياً وسياسياً فى آن بشأن التسوية السياسية للقضية الفلسطينية ، والصراع العربى - الإسرائيلى . وقد صدرت منذ عام ١٩٩٠ وقبل بدء عملية السلام .

"نحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين فى هذه الظروف الصعبة أن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اغتصبوا فلسطين واعتدوا على حرمان المسلمين فيها وشردوا أهلها ودنسوا مقدساتها . ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق فى بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين ، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أى جزء منها أو تعترف لهم بأى حق فيها " .

الموقعون:

أستاذ جامعى مصرى	الشيخ يوسف القرضاوى
أستاذ جامعى مصرى	الشيخ محمد الغزالى
رئيس لجنة تطبيق الشريعة فى الكويت	د . خالد المذكور
مفتى سلطنة عمان	الشيخ أحمد بن محمد الخليلى
مجاهد سياسى فى فلسطين	الشيخ عبد الله عزام
زعيم الجماعة الإسلامية فى لبنان	د . فتحى يكن
من قادة الحركة الإسلامية بالكويت	جاسم الياسين
رئيس جمهورية أفغانستان	برهان الدين ربانى
رئيس حكومة أفغانستان	قلب الدين حكمتيار
زعيم حركة حماس الإسلامية بالجزائر	محفوظ النحناع
زعيم حركة النهضة الإسلامية بتونس	راشد الغنوشى
من قادة الإخوان المسلمين فى السودان	عصام أحمد البشير
من قادة الإخوان المسلمين بالسودان	صادق عيد الله الماجد
زعيم حزب الرفاه الإسلامى فى تركيا	نجم الدين أريكان
نائب المرشد العام للإخوان المسلمين فى مصر	مصطفى مشهور
وزير سابق فى تركيا	أغوزخان أصيل
قاضى باكستانى ورئيس جمهوريتها حالياً.	حسين أحمد

في ختام المؤتمر القومي العربي الخامس في بيان إلى الأمة حول التسوية المقترحة

إثر اختتام أعمال المؤتمر القومي العربي الخامس، والذي عقد في بيروت ما بين ٩ آيار - مايو إلى ١١ منه، صدر عن المؤتمرين «بيان إلى الأمة»، سجل فيه القضايا التي بحثها المؤتمرين وهي قضايا حياة تناولت قضية اليمن والصراع العربي - الصهيوني والأمن القومي والعلاقات العربية - العربية، والعلاقات العربية ودول الجوار.

وجاء في البيان، بأن انعقاد المؤتمر القومي العربي الخامس في عاصمة الأمل والأمل العربي، بيروت، شهادة جديدة على أنه بمقدار ما يستعيد لبنان عافيته فإن الأمة تستعيد فيه منبراً مثلاً من منابر الحرية والحوار والوعي وميداناً رئيسياً من مبادئ الكفاح والمقاومة ومقارعة الاحتلال ومشاريع الهيمنة والإلحاق التي تمسك للأمة ومستقبلها .

وإذ تصادف مع انعقاد المؤتمر الاندلاع المؤلم لاقتتال عسكري يهدد استمراره بالتحول إلى حرب اهلية طاحنة في اليمن ، فإن المؤتمر أصر على إعطاء الحدث اليمني المتفجر أهمية استثنائية، فخصص جلسات الأولى لمناقشة دلالته وأبعاده وسبل الخلاص من مأساته ، حيث طالب أعضاؤه بالإجماع بضرورة الوقف الفوري لهذا الاقتتال ودعوا الأمة بكل قواها ومؤسساتها والشعب اليمني الأصيل بكل فئاته وجماعاته الحية إلى تحمل المسؤولية في إيقاف هذا الانهيار المريع الذي تتلاقى على تأجيجه عناصر داخلية تتصل بتغليب العقلية الضيقة والمصالح الصغيرة على المصلحة الوطنية العليا، وبالتخلف الفاضح في مستوى الوعي بأساليب إدارة الاختلاف وفق قواعد الحوار والديمقراطية واحترام الرأي الآخر والاحتكام إلى المؤسسات ، ومع جهات خارجية هالها ان ترى اليمن موحدًا وديموقراطياً وقادراً على النهوض الاقتصادي والاجتماعي وعلى انتهاج سياسة وطنية وقومية متحررة من الوقوع في أسر القوى الدولية المهيمنة.

ولاحظ المؤتمر أن الحدث اليمني الأليم على ما يتضمنه من دلالات مرتبطة بالخصوصيات اليمنية إلا أنه في العمق يختزن مؤشرات خطيرة تتصل باحتمال انتشار مثيله في أكثر من قطر عربي حيث الحروب الاهلية إما معلنة بالفعل أو كامنة تنتظر الظروف المناسب للانفجار ، وهو أمر يكشف أن غياب لغة الحوار ونهج الاحتكام إلى المؤسسات الديمقراطية من جهة وعدم احترام تنوع الآراء والخصائص والروابط الاجتماعية داخل القطر الواحد من جهة أخرى ، يشكلان التربة الخصبة لتفشي هذا النمط من الحروب على الذات ، كما يفسحان المجال للتدخل الأجنبي كي تبلغ تأثيراته حدوده القصوى .

القضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني

كذلك تصادف موعد انعقاد المؤتمر العربي مع اتفاقي باريس والقاهرة بين الكيان الصهيوني وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وقد جاء في إطار استكمال اتفاق أوسلو - واشنطن والشروع في التنفيذ على قاعدة

استرضاء حكومة الكيان الصهيونى .

وإذا أكد المؤتمر على سلامة التوجه الذى أعلنه فى البيان الصادر عن دورته السابقة ، كما فى البيانات الصادرة عن أمانته العامة بخصوص مؤتمر مدريد واتفاق اوسلو - واشنطن ، سواء بصدد التحذير من المخاطر التى تنطوى عليها المسيرة الراهنة للمفاوضات بدءاً بمؤتمر مدريد ، أو بشأن التمسك بالحق الكامل للأمة وأجيالها المقبلة ، والذى لا يستطيع فرد أو قيادة أو مجموعة أو حتى جيل بمفرده أن يتنازل عنه، فإن المؤتمر قد لاحظ أن تعاظم الانتفاضة المجيدة لشعب فلسطين داخل الأرض المحتلة وبلوغ القمع الصهيونى لها أقصى أشكاله، كما تجلى فى مجزرة الحرم الابراهيمى ، وتصاعد الاعتراض الذى صدر عن أوساط وهيئات وشخصيات فلسطينية بارزة داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، قد جاء ليؤكد أن خيار اوسلو لم يكن خيار الشعب الفلسطينى الذى ما زال متمسكا بحقوقه فى أرضه وفى العودة وتقرير المصير . وهى الحقوق التى وصفتها الأمم المتحدة بأنها حقوق وطنية غير قابلة للتصرف .

ولاحظ المؤتمر أيضاً أن حجم رد الفعل الشعبى العربى والإسلامى ، لا سيما فى القطر العربى الأكبر فى الأمة (مصر) على مجزرة الحرم الابراهيمى ، هو مؤشر واضح على سلامة الموقف القومى والإسلامى من مسار التسوية المطروح من أساسه .

كما لاحظ المؤتمر أيضاً أن معالم هذا المسار الخطير قد أخذت تتضح يوماً بعد يوم ، خاصة فى اتجاه دفع الفريق الفلسطينى المشارك فى المسار إلى أن يصبح ملحقاً بالفريق الاسرائيلى فى مفاوضات مرتقبة مع أطراف عربية أفى اتفاق القاهرة) ، أو صوت توسيع دائرة التمهيد والترويج لمشروعات نظام شرق اوسطى ، يطمح الكيان الصهيونى إلى قيادتها وتوجيهها لمصلحته فى الهيمنة الكاملة على مقدرات المنطقة.

وسجل المؤتمر أنه مع التوقيع على البروتوكول الاقتصادى بين اسرائيل والمنظمة ، تكون اسرائيل قد خطت خطوة أخرى فى إضفاء الشرعية على الهيمنة الاقتصادية التى تقامسها على الكيان الفلسطينى الوليد ، وتشكيل مقوماته كجسر للعبور إلى الاقتصادات العربية المجاورة. كل ذلك إبان المرحلة الانتقالية، وقبل انتقال أية سلطات جوهرية للحكم الذاتى الفلسطينى ، من حيث السيادة على الأرض وعلى الموارد ، والمقدرة على اقامة الحدود الاقتصادية والجمركية بين فلسطين واسرائيل . ان النتائج الخطيرة التى تنذر بها تلك التطورات تشمل ما يأتى :

- ١- إعطاء الضوء الاخضر من قبل القيادة الفلسطينية للتطبيع بين اسرائيل والعرب، بما يعنى تخليها - بكل استخفاف - عن أقوى ورقة تفاوضية تملكها ، ويرتبط بها ما تبقى من أمل فى الحصول حتى على الحد الأدنى من الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى فى استعادة سيادته على الأرض والموارد .
- ٢ - إحكام الاندماج بين الاقتصادين الفلسطينى والإسرائيلى وجعل الكيان الفلسطينى ضاحية ملحقية بالمركز الصناعى الإسرائيلى .

٣ - ترسيخ دعائم الاستقلال لإسرائيل ، وفتح المجال لهيمنتها على النظام الإقليمى للمنطقة .
إن تفادى تلك المخاطر الجسيمة إنما يتحقق بتأكيد الصفة القومية أساساً للصراع العربى - الصهيونى ، واعتبار أن ما تنازلت عنه المنظمة من حقوق فلسطينية عربية إنما هو تنازل إذعان، ولذلك فلا شرعية قومية له

ولا يبرر لأى طرف عربى التراخى فى المقاطعة الاقتصادية وأشكال المجابهة الأخرى للعدوان الصهيونى المستمر فى الأراضى العربية المحتلة . بل أن المطلوب بإلحاح من الأطراف العربية - أكثر من أى وقت مضى - هو تعويض الاختراق فى الجدار الفلسطينى بتصميم مضاعف على المقاومة وزيادة التصلب فى الجدران العربية الأخرى .

وأكد المؤتمر على أن الموقف المبدئى الحازم المبني على رفض هذه الاتفاقات ، وأية اتفاقات مماثلة تفرط بالحقوق العربية وتنتهك أبسط قواعد التضامن والتنسيق العربى ، يفرض على القوى الحية فى الأمة الاضطلاع بمهمات محددة على أكثر من صعيد .

١- الاستمرار فى تعبئة الرأى العام الفلسطينى والعربى والاسلامى ، لتوضيح مخاطر مشروعات نظام شرق الاوسطى على هوية المنطقة العربية والاسلامية كما على مصالحها الحيوية .

٢- السعى إلى تأسيس لجان فاعلة فى كل قطر عربى وعلى جميع المستويات ، لمقاومة التطبيع السياسى والثقافى والاقتصادى مع العدو الصهيونى وإدانة كل المحاولات التى تجرى هنا وهناك ، على المستوى الرسمى أو على مستوى الأفراد ، للتدخل من أنظمة المقاطعة العربية لاسرائيل .

٣- السعى إلى تأسيس مؤتمر جامع للمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بالقضية الفلسطينية ، يُدعى إلى رسم استراتيجية عمل شعبى على الصعيد القومى ، ويكون أداة لخلق رأى عام شعبى مساند للنضال الوطنى الفلسطينى وضاعط على الحكومات العربية .

٤- التمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى التى أقرتها كل القرارات الدولية وبخاصة حق العودة وعروبة القدس التى يسعى اتفاق اوسلو- واشنطن - القاهرة إلى تقييدهما أو تجاهلهما ، والسعى إلى تشكيل لجان شعبية فاعلة فى كل قطر عربى وإسلامى لمتابعة هذين الامرين وتعبئة الطاقات والقوى حولهما .

٥- التاكيد على أن الشعوب العربية ، التى لا تشارك فى اتخاذ القرارات المصيرية ، ليست طرفا ، وبالتالي ليست ملزمة باتفاقات الإملاء والإذعان التى تعقدها حكومات عربية مع حكومة الكيان الصهيونى .

٦- التمسك بخيار الكفاح بمختلف الوسائل ، ضد الاحتلال الاسرائيلى ، وتوفير أقصى درجات المساندة الشعبية العربية للاقتفازة فى فلسطين وللمقاومة فى جنوب لبنان ، مع التاكيد الدائم على الارتباط الوثيق بين مقاومة المحتل من جهة وبين تعزيز الوحدة الوطنية داخل فلسطين ولبنان وكل قطر عربى من جهة أخرى . كما بينهما وبين اشاعة الحريات العامة واحترام حقوق الانسان .

الامن القومى

لقد تدارس المؤتمر الامن القومى العربى ولاحظ أن أمن الأقطار العربية ، منفردة ومجتمعة ، هو فى أدنى مستوياته ، ربما منذ حصلت أقطارنا على استقلالها السياسى . فالأقطار العربية مستهدفة من أخطار دولية واقليمية وداخلية ، وهذه الأخطار ليست مجرد احتمالات أو تصورات ، وإنما هى تقوم فى هذا الجزء أو ذاك من الوطن العربى الكبير . بل أن مقومات وجودنا القومى ذاتها تهددها هذه الأخطار فى الصميم ، إذ تستهدف وحدة الأراضى العربية وسلامتها ، ووحدة الكيان القومى للأمة العربية ، وسيادتنا القطرية والقومية على ثرواتنا وعلى قراراتنا .

فإذا كان الوجود القومى للأمة العربية ، ليس خياراً فكرياً نأخذ به أو نرفضه ، بل هو انتماء قومى نعيش واقعته وضروراته حاضراً ومستقبلاً ، فإن أمن الأمة العربية كل لا يتجزأ ووحدة الأمن القومى هى ، فى الوقت ذاته ، سبيل أمتنا ، كما هى سبيل دولتنا ، إلى أمنها القطرى. ولكل ذلك يؤكد المؤتمر على الخطورة البالغة لتغيب الإرادة القومية ، المنطلق الأساسى للأمن القومى العربى . فقد نتج عن هذا التغيب أخطر ظاهرة كشفت عن نفسها إثر انتهاء حرب الخليج ، وتتمثل فى إزالة " المرجعية القومية " لهذا الأمن . وهو ما أدى إلى أن يصبح الأمن القطرى منفصلاً من دائرة الأمن القومى وساعياً وراء الارتباط بمراكز اجنبية .

وإذ غابت أو غُيبت " المرجعية القومية " فى هذا الميدان الحيوى ، وهو ميدان الأمن القومى العربى ، فقد أدى ذلك إلى انهيار كامل لأساس " الشرعية القومية " التى كانت تمثل قوة الدفع للعمل العربى المشترك ، والتى كانت تمثل قيداً ، وحداً وأحياناً سداً ، فى مواجهة السياسات القطرية التى يمكن أن تشكل مساساً بـقيم الأمة العربية أو مصالحها أو أمنها .

ولقد جاء الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى بدوره لكى يضاعف من حدة الاختلال الاستراتيجى فى المنطقة ، وبصفة خاصة من الناحية العسكرية .

فلقد تفاقم الاختلال فى موازين القوى فى المنطقة لمصلحة اسرائيل ، وبخاصة نتيجة تزايد الدعم الأمريكى لاسرائيل على جميع المستويات وتعزيز علاقات اسرائيل العسكرية بدول أخرى ، فضلاً عن أن المشروعات المقدمة لضبط التسليح بالمنطقة تنحاز بشكل مطلق إلى اسرائيل ، وتكرس تفوقها على القوات العربية . بينما يفرض الحظر على تزويد بعض الدول العربية بالسلاح جنباً إلى جنب مع استمرار تفكيك الروابط الدفاعية العربية .

ويسجل المؤتمر أن القدرات الدفاعية العربية لم تتعزز رغم ارتفاع الاتفاق العسكرى حيث سعت دول عربية إلى اكتساب الصداقات من خلال شراء الاسلحة بدلا من دعم قواتها المسلحة . وإن العقيدة القتالية فى الدول العربية أصبحت مقتصرة على سد الثغرات وإيقاف الاختراقات بدلا من تبنى استراتيجية دفاعية أو هجومية متكاملة .

ويرى المؤتمر أنه فى ضوء الظروف بالغة الصعوبة التى يتعرض لها الأمن القومى العربى ، ضرورة اجراء تنسيق دفاعى بين عناصر المقاومة الفلسطينية واللبنانية والقوات المسلحة فى كل من لبنان وسوريا والاردن ، ودعم قدراتها الدفاعية ، ويدعو الدول العربية ذات الفائض فى معدات الدفاع إلى المساهمة فى ذلك .

ويشك المؤتمر فى أن القوات المسلحة فى الدول العربية ، وخاصة فى دول المواجهة ، تعى أهمية وضرورة استمرار العمل على دعم قدراتها الدفاعية لتظل كما كانت سنداً للمقاومة الوطنية ضد كل صنوف الاحتلال .

ويؤكد المؤتمر على أهمية الشروع فوراً فى تعزيز الصناعة العسكرية العربية بكافة الوسائل لا سيما رفع مستوى البحث والتطوير الوطنى للعلوم والتكنولوجيا ، والاستفادة من الأصول العربية الموجودة فعلاً فى هذا المجال ، مع محاولة الاستفادة من الكوادر الفنية فى الدول التى كانت تمثل جزءاً من الاتحاد السوفياتى سابقاً . وفى سياق ما تقدم فإن رفع الحصار عن كل من العراق وليبيا ضرورى لدعم القدرات الدفاعية العربية والأمن القومى العربى .

ملتقى الحوار العربى الثورى الديمقراطى

بيان

حول اتفاق غزة - أريحا المشنوم

الإعلان عن اتفاق بين ممثلى الكيان الصهيونى وبين القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية حول غزة وأريحا يعتبر حدثاً بالغ الخطورة وبالح الإساءة للنضال الوطنى الفلسطينى ولجمل النضال العربى .

إن هذا الإتفاق إنما يؤكد ويوضح سلفاً نتيجة أعمال مبدأ المفاوضات مع العدو الصهيونى ويجعلها محكومة بحل استسلامى تصفى للقضية الفلسطينية وللصراع العربى - الصهيونى وهو طعنة كبرى فى ظهر الثورة الفلسطينية ، وفى ظهر الإنتفاضة الباسلة ، ومدعاة انقسام فلسطينى خطير يهدد بالتحول إلى حرب أهلية فلسطينية على أرض فلسطين وخارجها ، تؤدى إلى تأييد الإحتلال الصهيونى لفلسطين والإمعان فى تشريد الشعب الفلسطينى وتمزيقه وتضييع هويته القومية والنضالية .

إن القضية الفلسطينية هى أكبر من أن ينفردها فرد أو مجموعة أفراد وإنها قضية الشعب الفلسطينى كله كما أنها قضية قومية ليس من المسموح أن ينفردها طرف لوجده ، ولا يملك أحد حق التخلي عن الحقوق القومية فى فلسطين ، وعن القدس التي هى ملك لكل العرب والمسلمين .

إن ملتقى الحوار العربى الثورى الديمقراطى يؤكد شجبه للإتفاق المشنوم ، ويدعو إلى العودة عنه ، وعدم الأخذ به ، وإلى اعتباره باطلاً من الأساس .

وهو يؤكد التزامه بالشوايت الوطنية والقومية بما فى ذلك ميشاق منظمة التحرير الفلسطينية الذى يعتبر أحد هذه الشوايت والتي تؤكد كلها أن صراعنا مع العدو الصهيونى هو صراع وجود وليس صراع حدود .

إن ملتقى الحوار العربى الثورى الديمقراطى يدعو إلى وحدة كل القوى الفلسطينية العربية الراقضة للإتفاق ، ويؤكد تضامنه معها ودعمه لها فى نضالها لإسقاط الإتفاق ومنع آثاره المدمرة . كما يدعو إلى وقف المفاوضات التي بدأت فى مدريد وانتقلت إلى واشنطن ، والتي سمحت أن يعقد فى ظلها مثل هذا الاتفاق ، لتجرى إعادة تقويم الموقف بين الدول العربية ، وتحقيق حد أدنى من التضامن العربى الذى يمكن الموقف العربى من رفض شروط العدو الصهيونى وحماية الأمريكيين ، هذه الشروط التي يقدم اتفاق (غزة - أريحا) نموذجاً لها .

وفى مواجهة هذا الإتفاق تبرز مهمة دعم الإنتفاضة الباسلة وبخاصة والشعب العربى الفلسطينى بعامة ، ومهمة دعم المقاومة الوطنية والإسلامية فى لبنان ، وكل أشكال الكفاح المسلح ضد العدو الصهيونى ، فى طليعة المهمات الملحة أمام كل فصائل حركة التحرر العربية وجماهير الأمة العربية .

لجنة التنسيق والمتابعة

الدورة الخامسة عشر

الفهرس

ص	
٧	الإهداء
٩	مقدمة
١٥	مدخل عام
١٩	الفصل الأول : العوامل الدافعة لـ (عملية السلام)
٢١	الجزء الأول : العوامل الموضوعية (الشرق الأوسط قاعدة الهرم الدولي)
٣٧	الجزء الثاني : عوامل ذاتية (الطريق إلى أوسلو)
	الفصل الثاني : إعلان المبادئ الإسرائيلية - الفلسطينية
٥٩	(وثيقة إستسلام أقل من كامب ديفيد)
٦٨	الجزء الأول : الاتفاق فى نظر القانون .. والشرعية الدولية
٧٤	الجزء الثاني : الاتفاق أمنياً .. وعسكرياً
٨٠	الجزء الثالث : نظرة اقتصادية على الاتفاق
٩٣	الجزء الرابع : قراءة أدبية وأيديولوجية للاتفاق
١٠٠	الجزء الخامس : الاتفاق - تحليل سياسى
	الفصل الثالث : مشروع النظام الشرق الأوسطى
١١١	(أميركا وإسرائيل تعيدان إنتاج وتجديد سايكس - بيكو)
١١٣	الجزء الأول : المصطلح والمشروع : المفاوضات المتعددة الأطراف
١٤١	الجزء الثاني : رؤية عربية تحليلية
١٦٧	ملاحق وإشارات
١٧٧	وئائق

إصدارات المركز

السلام الفتاك (سلام أشد هولاً من الحروب)	محمد خليفة
البديل الإسرائيلي للعروبة	سيد زهران ومصباح قطب
(المشروع الصهيوني للسوق الشرق أوسطية)	تقديم : أمين هويدى
غزة أريحا - المأزق والخلاص	عبد القادر ياسين
التسوية المستحيلة	جورج المصطفى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
الإسلام السياسى وظاهرة العنف	عصام عامر
أزمة الإنتماء فى مصر	تقديم : د. محمد عصفور
عروبة مصر بين التاريخ والسياسة	عبد الخالق فاروق
البديل الناصرى (قراءة فى أوراق التنظيم الناصرى)	د. حسن أبو طالب
كارثة المعونة الأمريكية لمصر	سيد زهران
حلايب - نزاع الحدود بين مصر والسودان	جمال محمد غيطاس
المياه العربية (بين بوادر العجز ومخاطر التبعية)	أحمد محجوب الشال
سلام أم استسلام	عبد الله مرسى العتالى
(دراسة فى مشروعات معاهدات السلام بين إسرائيل والحكومات العربية)	د. أحمد الصاوى
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
التطرف الدينى .. ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبد الخالق فاروق
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
(عن الناصرية والناصرين) حوار مع د. جمال الأتاسى	مجدى رياض
الإخوان والعسكر	حيدر طه
من يحمى عروش الخليج (النقط والتهمة)	د. أحمد ثابت
بان أمريكا ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة مؤلفين
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
القوى الخارجية والإتجاهات الإقليمية فى السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
الحكومة والسياسة فى الإسلام	طارق، جاكولين إسماعيل
التناقض فى تواريخ وأحداث الثورة	ترجمة : سيد حسان
	محمد قاسم
كشف المستور من قبائح ولاية الأمور	د. أحمد الصاوى

برلنتى والمشير (القصة الحقيقية)	سيد زهران
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
حوارات عن عبد الناصر	سليممان الحكيم
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليممان الحكيم
إعدام صحفى	سميد حبيب
عمود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
عملية السرب الأحمر «إغراق إيلات»	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل «إلى كوهين»	جمال الدين حسين

السكة الإسلامية فى مصر	د . رأفت النبى راوى
الأعشاب الطبية	موسى الخطيب
الصوت والضوضاء	د. مصطفى عبد المطلب
ماهى السينما	صلاح أبو سيف
عزة فى الفضاء	أم كلثوم إبراهيم

● السلسلة القومية ●

الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د . أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية ... الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	جورج المصطفى
فلسطين الانتفاضة .. جدل الأمة والوطن	د . أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د . السيد الزيات
الناصرية والتجديد .. نحو برنامج طموح	مجدى رياض

● السلسلة الإسلامية ●

رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق : د. محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدى رياض
الحركة الإسلامية فى مصر (واقع الثمانينات)	صالح الوردانى
كيف تقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن	محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قيس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله
نظرات فى نزول القرآن على سبعة أحرف	محمد محمود عبد الله

● أدب ●

هذه الليلة الطويلة .	د. أحمد صدقى الدجاني (مسرحية)
حكايات الديب رماح	خيرى عبد الجواد (قصص قصيرة)
ليس هناك ما يبهج	عبد خال (قصص قصيرة)

لا أحد (قصص قصيرة) عبده خال
 ملكة القروء (مسرحية) محمود عبد الحافظ
 أحران رجل لا يعرف الهكاء (قصص قصيرة) خالد غزالي
 الشاعر والحرامي (قصص قصيرة) عزت الجريري
 رشفات من قهوتي الساخنة (قصص قصيرة) محمد محي الدين
 في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع (دراسة) محمد الطيب

● شعر ●

من فصول الزمن الرديء درويش الأسويوطي
 إذهب قبل أن أبكى د. لطيفه صالح
 اللعبة الأبدية (مسرحية شعرية) محمد الفارس
 غربة الصبح محمد الفارس
 الغربة والعشق مجدي رياض
 عطر النغم الأخضر عمر غراب
 غابات نادر ناشد
 السماء تعتزل النبوءة نادر ناشد
 هذه الروح لى نادر ناشد
 فى مقام العشق نادر ناشد
 ندى على الأصابع نادر ناشد

خدمات إعلامية وثقافية "إشترابات"

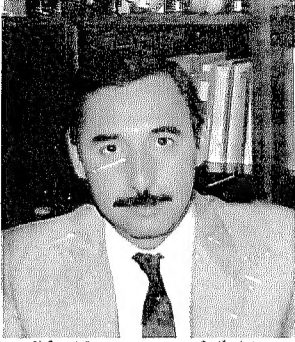
ملخصات الكتب : عرض وتلخيص لأهم الكتب السياسية والفكرية ، العربية والعالمية .
 وثائق : تتناول نشاطات ووثائق الأحزاب والقوى السياسية فى الوطن العربى .
 النشرة الدولية : تتناول ما ينشر فى الدوريات الأجنبية .
 دراسات عربية : دراسات وأبحاث وملفات متخصصة ، تحليل سياسى لأهم الأحداث .
 معلومات - ملفات صحفية مؤقته : لكافة القضايا والموضوعات .

الآراء الواردة بالإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز

مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر .. مؤسسة ثقافية مستقلة تستهدف المشاركة فى استنهاض الوعي العربية عامه .. وتعميق وتأكيذ الانتماء والوعي القومى بصفة خاصة .. ضمن إطار المشروع الحضارى العربى الاسلامى المستقل ، وفى رحاب هذا المشروع وعلى ضفافه يسعى المركز نحو تحقيق أهدافه التالية :

- * إصدار مجموعة من سلاسل الكتب تحتوى دراسات متخصصة فى مجالات متعددة تشمل القضايا الدينية وقضايا الأمة العربية وكافة المعارف الانسانية .
- * المشاركة فى تدعيم الصلات الثقافية بين الوطن العربى الكبير وذلك من خلال انتاج المركز والاستفادة من خبرات وابداعات أبناء هذا الوطن .. بالإضافة إلى التعاون مع مراكز الأبحاث فى الوطن العربى وخارجه .
- * تقديم الخدمات المتنوعة للباحثين والمبدعين فى كافة مجالات الاعلام والدراسات والبحوث والترجمة والطباعة والأدب والفنون .

وتبقى كلمة أخيرة



المؤلف - محمد خليفة

- كاتب وصحافي ، عمل مع مجلة الشراع وصحيفة السفير (بيروت) وصحيفة الحياة (لندن) ومجلتي اليوم السابع والمنبر (باريس) وصحيفة الراية (قطر) كما عمل رئيساً لتحرير مجلتي البديل العربية والفرنسية في (باريس).
- من مؤلفاته :
 - الإسلام والمسلمون في بلاد البلقان
 - حوار معرفي شامل مع أحمد بن بلة
 - الإسلام والمسلمون في السويد وشمال أوروبا .
- يقيم حالياً في السويد ، وهو عضو في الاتحاد الكتاب السويديين .
- مواليد حلب ، سوريا عام ١٩٥١
- ليسانس الحقوق ، جامعة دمشق
- شارك في الحركة السياسية العربية ورافق تطوراتها المتلاحقة منذ منتصف الستينيات عن قرب وبعد ومن بينها تجربة تنظيمية داخل حركة فتح استمرت عدة سنين .

..... إنهم يخطئون خطأ جسيماً، أولئك الذين يظنون (ظن السوء) أن القضية الفلسطينية انتهت بعد صفقة أوسلو . وأن الصراع العربي - الاسرائيلي قد خمد بعد المصالحات والاتفاقات السابقة واللاحقة بين النظم العربية والعدو الاسرائيلي. ذلك أن الأمة العربية ، صاحبة الولاية الشرعية والأصيلة على فلسطين ، لم تحضر ولم تشارك في مفاوضات التسوية منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فهي غائبة ، والأحرى أنها مغيبة قسراً وقهراً منذ سنين طويلة .. والذين ذهبوا إلى مدريد وأوسلو وواشنطن وتل أبيب (وسواها) بدلاً منها وبإسمها زاعمين أنها (ماتت)، وأبرزوا وكالات وتفويضات منها لهم ، تعطيهم الحق في التصرف بأموالها وتصفية تركتها وميراثها ، هي وكالات وتفويضات مزورة شكلاً ومضموناً!

إن الكل يعلم أن الأمة العربية : مغيبة نعم ، وأنها مقهورة وأسيرة نعم .. ولكنها ليست ميتة أبداً ، وأن القوى التي تسلطت عليها واغتصبت تمثيلها ، زائلة حتماً ، وأن كل ما بنى وترتب على الباطل سيظل باطلاً بلا تقادم ، وأنه في النهاية لن يصح إلا الصحيح ، والصحيح هو :

إن ما (أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة)